

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الإخوة منتوري - قسنطينة 1

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية
رقم التسجيل 114/DS/2021
الرقم التسلسلي 08/AR/2021

الأدب النبوي في الابداع المهجري
رواية: خالد - النبي - مرداد
أنموذجا

بحث مقدّم لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب العربي
(شعبة الأدب الحديث والمعاصر)

إشراف الأستاذ الدكتور:
محمد بن زاوي

إنجاز الباحثة:
شهرزاد بهناس

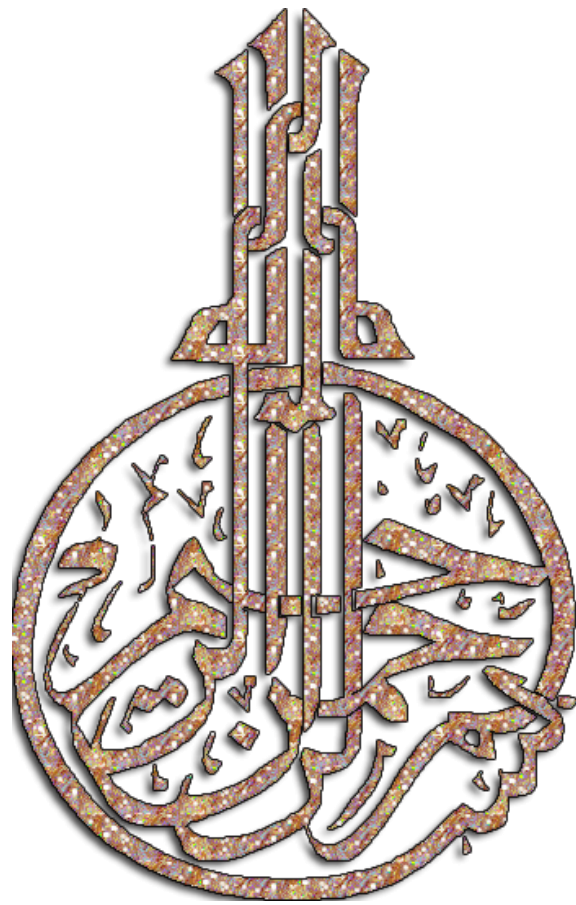
أعضاء لجنة المناقشة

رئيسا
مشرفا ومقررا
عضوا مناقشا
عضوا مناقشا
عضوا مناقشا
عضوا مناقشا

جامعة الإخوة منتوري - قسنطينة 1
جامعة الإخوة منتوري - قسنطينة 1
جامعة الإخوة منتوري - قسنطينة 1
جامعة عباس لغرور - خنشلة
جامعة عباس لغرور - خنشلة
جامعة 20 أوت - سكيكدة

الأستاذ الدكتور. رشيد قريع
الأستاذ الدكتور. محمد بن زاوي
الأستاذ الدكتور. دياب قديد
الأستاذ الدكتور. عمر عيلان
الأستاذ الدكتور. يوسف لطرش
الأستاذ الدكتور. عبد القادر نطور

السنة الجامعية: 1441 - 1442 هـ / 2020 - 2021 م



إهداء

إلى روح أبي الراحل... أنحنى أمامك عرفانا بالجميل، يا حضنا احتواني في كل
محي وأزماتي.

إلى أمي الغالية، يا نبع الحنان، يا هبة الرحمن.

إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد وكان وراء إنجاز هذا البحث.

شكر وتقدير

أبدأ بالشناء العطر على أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور. محمد بن زاوي، الذي تفضّل وتكرّم بالإشراف على هذا البحث، فكان لنصائحه وتوجيهاته العلمية القيّمة الفضل في تقويمه، ولجميل صبره ورحابة صدره الحافز القوي الذي دفعني بكل ثقة لإنجاز هذا العمل، متخطية كثيرا من العقبات التي اعترضتني... فله مني كل الاحترام والتقدير والامتنان.

كما أشكر قسم الآداب واللغة العربية بجامعة منتوري - قسنطينة1، لما له من فضل في خروج هذا البحث على صورته النهائية.

والله أسأله صواب القصد وسواء السبيل

فهو سبحانه وليّ التوفيق،،،،،،،،

المقدمة

تضاربت آراء المشتغلين بشؤون الأدب حول ماهيته، رغم أنه رافق مسيرة البشريّة منذ الأزل، وشكّل نافذة على عصور غابرة، نعيشها بكل تفاصيلها التي أبدعها أديباؤها حسيا ومعنويا. وهو اليوم يُواصل حضوره في واقعنا؛ تارة يعكس أحواله، وتارة يحاول أن يشقّ طريقا إلى فهمه وإدراكه، وتارة يُعرض عنه ليخلق عالما مختلفا يفتح على كل الاحتمالات ويشرّع دنياه مدّ الحلم والخيالات..

فلم يعرف (الأدب) القرار كما لم يعرفه الإنسان، ولم يقنع إلاّ بحقيقة واحدة هي أن الثبات وهم في حياة لم يرتض لها خالقها إلاّ التقلّب والتبدّل طلبا للأصلح والأجدر والأفضل. بحث دائم يضج بنتائج متواترة ومتغيّرة؛ متكاملة حينها، ومتداخلة حينها آخرا، وقد تكون متناقضة حينها ثالثا. وتستمر المحاولات بين عشرة ومضاء إلى ما لا وصول، لأن الوصول قطعا يعني النهاية، ولا نهاية إلاّ الموت!

وله أن يتخذ من الأشكال الفنية ويطوّع من الأجناس الأدبية ما هو كفيلا بتحقيق الغايات وإدراك المقاصد..

وليس الإبداع والكتابة ضربا من الخيال المنفرط، أو طريقا لإبحار في رحلة من الغيبات والعبث الفكريين، بل هما رحلة استشراف للنفس البشرية وما يتملّكها من غموض وتناقض وتوافق مع معطيات الحياة؛ الحب والكره، الصدق والكذب... فالكاتب أو المبدع إنسان في المقام الأول، غير أنه أشد حساسية؛ يتأثر بوقائع الأحداث والحياة، يعيشها ويتألم من أحداثها وتصبغها وقائعها

التي قد يمر عليها الكثيرين مروراً سريعاً، وهكذا يستطيع عكسها في طابع في يزوج بين الخيال والواقع، معتمداً على معطيات اللغة وتقنيات القصة والرواية، أو موسيقى الكلمات وإيجائها في الشعر، كيما يحرك مشاعر القارئ وأحاسيسه.

وقد تخطت قدرة أدباء المهجر الزمن والمجموعة الاجتماعية الواحدة إلى البشرية جمعاء، وتعدت كتاباتهم الآني العارض إلى ما يمكن أن يبقى ويحظى باهتمام أجيال لاحقة، حين رصدوا قلق القرن العشرين، الذي شهدت بدايته ثورات واسعة وحروباً علمية وعدم استقرار اقتصادي، وتلاقياً مفاجئاً بين شعوب وحضارات بقيت إلى ذلك الحين معزولة عن بعضها البعض، فيما تسبب انهيار أنظمة تقليدية وامبراطوريات ومستعمرات في أنحاء واسعة إلى زعزعة بنية الحياة المنظمة وأساسها، وشعور بالغرابة واليأس والاستياء نتج عنه أزمة روحية في نواحي العالم كله.*

كما يبدو أن الدراسات الاستشرافية ليست أبداً ترفاً علمياً، بل واجباً وممارسة تكون الإنذار المبكر الذي يكشف مواطن الخلل لتفادي الخطأ ووضع الحلول للمشكلات الطارئة.

وفي شريعتنا الإسلامية دعوة صريحة إلى استشراف الغد والإعداد للمستقبل؛ تضيئها السنة النبوية الشريفة وتوصلها نصوص القرآن الكريم؛ ولنقرأ قوله تبارك وتعالى في سورة الحشر:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ

بِمَا تَعْمَلُونَ (18) ﴾

*. وهي دعوة لقراءات نقدية، حيث مساحات البحث تفسح المجال لإبراز هذه الثروة الفكرية والإنسانية والأدبية.

وتبشّرنا سورة التوبة بأن المستقبل للإسلام، فيقول تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ

المُشْرِكُونَ (33)﴾.

وتتذكّر كيف عالج سيدنا يوسف - عليه السلام - باستشراف مستقبله مدروس، الفقر الذي كان سيحل بأهل مصر، وذلك حين استبصر أنّها ستواجه أزمة اقتصادية طاحنة، فأنبأ صاحبه أن مصر ستمر بسبع سنين من الخصب والنماء والاكتفاء الذاتي في المحاصيل والمزروعات، ثم تواجه بعدها سبع سنين من القحط والجفاف، ثم قدّم الحل الذي ذكره تبارك وتعالى في سورة يوسف:

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا

تَأْكُلُونَ (47) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا

تَحْصِنُونَ (48) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصُرُونَ (49)﴾

كما تنبأت الأحاديث النبوية بدورها إلى أن المستقبل سيكون لهذا الدين وبه، فنقرأ لابن

حبان في صحيحه (1632/1631)، هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((لِيُبَلِّغَنَّ هَذَا الْأَمْرَ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبْرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ

اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بَعِزٌّ عَزِيزٌ أَوْ بَدُلُّ دَلِيلٌ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَدُلًّا يُدِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ.))

وتوضّح أحاديث أخرى مبلغ ظهور الإسلام ومدى انتشاره، ومنها هذا الحديث الذي

رواه مسلم في صحيحه (171/8) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ

لِي مِنْهَا.))

ولا يخفى ما صار ينتشر في عصرنا من جدل بين الدينين وبعضهم من ناحية، وبين اللادينيين من ناحية أخرى، بشأن ما صار يطلق عليه ظاهرة الإعجاز العلمي والغيبي. لتصبح حاجتنا إلى منهج علمي وفق أسس رصينة أمر أساسي، في عالم اليوم الذي يضح بقضايا وأحداث متسارعة ومتطورة؛ قد تكون محمودة أو مذمومة أو بينهما، وهذا لتفادي النقص وإصلاح الخلل وتطوير المتوقف عنده في القضايا مستقبلا، وإلى اجتهاد منظم يستشرف مجموعة من التنبؤات المشروطة، تصوغ افتراضات من شأنها التنبيه إلى المشكلات المحتملة والمساعدة في تجنبها واقتناص الفرص المتاحة.

ولعل عنوان هذا البحث (الأدب النبوي في الإبداع المهجري. رواية: خالد - النبي - مرداد أنموذجا) هو مفتاحه:

فالأدب، عرفه الإنسان منذ القديم وجعل منه مع مرور الزمن فنا رفيعا يحمله أحاسيسه ويرسم فيه صور حياته وخصائص شعوبه.

أما النبوي، فهي الصفة الخالصة لهذا البحث وتميَّزه عن غيره من الأغراض الأدبية.

وكلمة **المهجري**، تحدُّها في نهايات القرن التاسع عشر امتدادا إلى القرن العشرين.

ويمتلك الأدب المهجري الذي وعى دوره ومسؤوليته، الإمكانيات والرؤيا لرسالة نبؤئية تفهم وتستوعب وتضم وتفسر عن بعد دون أن تضيع في التفاصيل المضللة، وترى أفضل دون خوف أو تردّد أو تهديد من الرقابة أو السلطات الدينية والسياسية؛ فالثقافة تتطلّب الحوار الجاد، والحوار ينمو في تربة الاختلاف التي تسمح بلقاء الآخر دون تسلط واستبداد.

لذا حاولنا رسم صورة حيادية عن أولئك المفتشين عن الحرية والمعنى في عالم آخر خارجي، وعوالم داخلية يتطلّب السفر إليها جهدا أكبر من العودة إلى الوطن الجغرافي.. وذلك عبر كتاباتهم النبؤئية المتمرّدة الذائعة الصيت.

فكانت البداية مع (أمين الريحاني)، صاحب أول رواية أنجلوفونية من أديب عربي (كتاب خالد The Book of khalid)، عكس عبر صفحاتها قلق العصر..

ومع (جبران خليل جبران) في رائعته العالمية (النبي The Prophet)، بمضمونه الاجتماعي والمثالي والتأملي.

ومع (ميخائيل نعيمة) في (مرداد)، الذي عاد فيه زمنيا إلى بداية الخليقة ومكانيا إلى الشرق، ليصوغ قصة خيالية تأخذ من فلك نوح مدخلا لها.

فيما تألّفت فصول البحث من مقدمة ومدخل وأربعة فصول وخاتمة:

تُهدّ المقدمة لمنهج الدراسة والخطة المتّبعة، وقبلها للأسباب التي دفعتنا إلى اختيار الموضوع

وتحديدا لأدباء المهجر الثلاثة.

ويؤصل المدخل لمفهوم الأدب النبوي، ثم يقف عند هذا الأدب ويعرض لأهم النصوص في

هذا الميدان القديمة منها والحديثة، العربية منها والغربية.

ونقدّم الفصول الثلاثة للنص وصاحبه.

ويتطرق الفصل الرابع لعلاقة كتبهم مع الثقافة العربية وكذا الغربية؛ حيث نحس تلك الرغبة

في تحديد ثوب أدب الرواية العربية الحديثة، وأيضا التواصل به مع التراث العربي والإنساني القديم.

كما يكشف عن أبرز الدوافع الوجدانية والاجتماعية والتاريخية والفنية لكتابة هذا النوع

الأدبي؛ حيث تطفو على سطح الرؤى أحلام الحرّية وآلام الحيرة والقلق ورغبات الثورة والتمرد والرغبة

في تصوير بعض الجوانب الاجتماعية المتردّية وفضح الظلم وإدانة الاستعمار والنقد السياسي.

وتعرض الخاتمة ملخصا شاملا لأهم نتائج الدراسة، يمكن لها أن تجيب عن بعض

التساؤلات الإيديولوجية، ومدى عمق تلك الكتابات وأهدافها وفائدتها وإضافتها للمجتمع العربي.

تليها قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها، وأفادتنا في بحثنا، مرتبة ترتيبا ألفبائيا.

ولقد اقتضت طبيعة البحث الاستعانة بعدة مناهج بدلا من منهج واحد؛

فكان المنهج التاريخي رائدها في المدخل، لضرورته في تقصي الحقائق العلمية وتوثيقها.

وفرضت المناهج الوصفية والنفسية والاجتماعية نفسها في الفصل الأول؛ أثناء عرض

جوانب من شخص وفكر الكاتب، ولعناصر الزمان والمكان والحوار والتناص... في روايته.

وكان المنهج الفني وسيلتي في الفصل الثاني، لاستحلاء بعض القضايا النقدية التي وردت

في ثنايا آرائهم المختلفة.

بهذه المقدمة، التي تحاول أيضا أن تفهم الأدب وتُدرك ماهيته ومهمته، مهَّدتُ لقراءة موجزة

عن منحز متباين الملامح مترامي الأطراف.

وكما يُقال، فالفكر نتاج المجتمع، لكن هذا لا يعني استقلال الحركة الفكرية العربية الحديثة

عن عملية التفاعل الثقافي العالمي، فالعرب جزء من التاريخ الإنساني العام، ساهم ويساهم في

الحضارة العالمية، بخضوعه لمنطق التطور الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والفكري؛ يتعرَّض

للهبوط والتراجع، وأيضا للنهوض واستيعاب الحياة..

ويبقى لمقاربات (سهيل بديع بشروئي) النقدية الجديدة، كما في كتابه (الأدب اللبناني

بالإنجليزية ورسالة القرن العشرين، كتاب خالد لأمين الريحاني مثالا)، الصادر عن المؤسسة العربية

للدراستات والنشر ببيروت سنة 2000م، أكبر الأثر في تجاوز أفكار سابقة، يكتفي أصحابها بأنهم

أدباء المهجر بنشر أفكار كفرية، والسرققة عن كتَّاب غربيين، كما فعل (كعدي فرهود كعدي)، في

كتابه (ميخائيل نعيمة بين قارئيه وعارفيه)، الصادر في طبعته الأولى ببيروت سنة 1971م، والذي

صوَّر فيه ابن عمته (ميخائيل نعيمة) كشخص عديم الموهبة، ويرى بعدها في كتابه (جبران خليل

جبران في الميزان)، سنة 1992م، أنَّ (جبران) يفتقر لفلسفة خاصة به..

ولعلَّ الفِكرَ العرفاني الحي لهؤلاء المهجريين، ورسالتهم الروحية المتحرّرة من الشروط الأيديولوجية التي تفتّش عن الذات وتبحث عن الكونية، قد كشفت عن إرث إنساني خالد، ينبعث يوما بعد يوم من مرقده، يعزّينا في محتتنا، ويدفعنا إلى العمل بنصائحهم، لئُصيب الأهداف التي تنصبها الأحوال الراهنة أمام أعيننا.

لذلك يجعل لهم (سهيل بديع بشروئي)، مكانة خاصة بين رموز عصر التنوير، الذين ضاقت عندهم الفجوة بين التنظير والتطبيق، وتميّزوا بروح تأملية نقدية، احترفت الأدب لإيمانها العميق بأنّها تقدّم شيئا جديدا غير معهود في أدب العربية الحديث، ونموذج مهجري سهل جميل، يتخلّى عن الخطاب المباشر، ويجعل من خياله الفسيح نسيجا لصور متنوّعة ورسالة واضحة.

وبعد، لا يفوتني أن أكرّر شكري وامتناني لأستاذي المشرف، الدكتور. محمد بن زاوي، الذي لم ييخل عليّ بخبرته الثرية، وحرص منذ الوهلة الأولى أن يترك لي كامل الحرية في إبداء آراء مناسبة، ما اعتبره مصدر ثقة أعتز بها كثيرا.

كما أتقدّم بخالص شكري وامتناني للسادة الأساتذة الأفاضل أعضاء اللجنة، الذين أعدهم بالاستفادة من ملاحظاتهم للارتقاء بمستوى هذا البحث.

والله أسأله صواب القصد وسواء السبيل فهو سبحانه وليّ التوفيق.

وفي الأخير، لا يمكنني الزعم أنّي قد أوفيت هذا البحث حقه، وحسي الجهد المخلص لوجه

الحق، سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

المدخل

التأصيل التاريخي و المعرفي
للأدب النبوي

تمهيد تاريخي

تاريخ الهجرة العربية

المهجر الجديد

المهجر بين الأمس واليوم

مدرسة المهجر وأدبائها

الجماعات الأدبية العربية في المهجر بداية القرن العشرين

1- الرابطة القلمية

2- العصبة الأندلسية

3- رابطة منيرفا

4- الرابطة الأدبية

قراءة في مصطلح الأدب المهجري

فسيفساء الأدب المهجري

الحياة المهجرية

إنجازات الحركة الأدبية المهجرية

الخصائص الفنية للأدب المهجري

أزمة الانشطار الروحي عند أدباء المهجر

تمهيد تاريخي:

كان في العصر الجاهلي طائفة تزعم أنها تطَّلَع على الغيب، وتعرف ما يأتي به الغد بما يلقي إليها توابعها من الجن، وكان واحدها يسمّى كاهنا كما يسمى تابعه الذي يوحى إليه باسم «الرَّيِّيّ»، وتسمى لغتهم (سجع الكهّان).

وكانوا يَكْثُرُونَ في اليمن وفي بيوت عبادتها الوثنية، فكانت لهم قداسة دينيّة، ويُلجأ إليهم، ويُتخذون حَكَّامًا في الخصومات والمنافرات، ويُستشارون ويُصدر عن آرائهم في كثير من الشؤون؛ كوفاء زوجة أو قتل رجل أو نحر ناقة أو قعود عن نصرّة أحلاف أو نخوض لحرب... ومن ثمّ كان العرب يقصدون كثيرين منهم من مناطق بعيدة.

وفي ذلك ما يدل على الصلة القديمة بين وثنية عرب الجنوب وعرب الشمال، وتلقانا في كتب التاريخ والأدب أسماء الكثيرين، منهم: ورقة بن نوفل، وقس بن ساعدة الأيادي، وشقّ بن أنمار بن نزار، وأكثم بن صيفي، وأمّية بن أبي الصلت، وسطيح (واسمه ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن الغسّاني وكان مقره بلاد الشام)، ومسلمة بن ثمامة بن كثير بن حبيب الحنفي، وعزّاف اليمامة رباح بن عجلة، وعزّاف نجد الأبلق الأسدي، وزيد بن عمرو بن نفيل، والمأمور الحارثي، والكاهن الخزاعي، وعلاف بن شهاب التميمي، والشاعر زهير بن أبي سلمى، وسويد بن عامر المصطلق، ووكيع بن سلمة بن زهير الأيادي، وأبو قيس صرمة بن أبي

أنيس، وعامر بن الضرب العدواني، والمتلمّس بن أمية الكناني، وخالد بن سنان العبسي والأسود بن كعب العنسي...

وتُعد الشعثاء، وكاهنة ذي الحُلصة، والكاهنة السعدية، والزرقاء بنت زهير، والغيطلة القرشية، وكاهنة سهم، والكاهنة سجاح التميمية، وزبراء كاهنة بني رثام أشهر الكاهنات في العصر الجاهلي،¹ وأندرت (زبراء) قومها بالغارة عليهم فقالت: "واللوح الخافق، والليل الغاسق، والصبح الشارق، والنجم الطارق، والمزن الوادق."²

وقد يبالغ القصاص فيسمون لبعضهم صورا خيالية، فمن ذلك أن (شقّ ابن الصعب) كان شقّ إنسان أو شطره؛ فله عين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة، وأن (سطيح) لم يكن فيه عظم سوى جمجمته وأن وجهه كان في صدره ولم يكن له عنق وربما كان أحذب!

ونرى أهمية الوقوف على بعض المصطلحات التي ارتبطت بالكهنة، والتي كان الخلط واضحا بينها في أذهان العرب، رغم معرفتهم الفطرية بمعنى كل من هذه الكلمات، وذلك إن دلّ على شيء، فإنما يدل على احتواء (الكاهن) في الجاهلية على كل هذه المعاني:

¹ - أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، الرياض: دارعالم الكتب، 1424هـ/2003م، ج 2، ص 220 وما بعدها.

وينظر: أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب، السيرة النبوية. ترجمة: عادل أحمد عبد الوجود، تحقيق: علي محمد معوض. الرياض: مكتبة العبيكان، 2011م، ج 1، ص 200 وما بعدها.

² - أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبريّ، تاريخ الرّسل والملوك (تاريخ الطبري)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، 1387هـ/1967م، ط 2، ج 2، ص 270 وما بعدها..

العَرَّاف: المنجّم الذي يدّعي علم الغيب، ومن هنا فالكهانة والعرافة يدل كلاهما على المعرفة.

الحكيم: العالم بالأمور والمتقن؛ ومن هنا سمّي أحد الكهنة بمحكّم اليمامة، وقد يكون شاعرا

أو قائدا أو شيخ قبيلة.

المتنبّي: من يدّعي النبوة.

وتجدر الإشارة أن موضوع النبوة له أهمية كبرى، لا في الفكر الصوفي فحسب، وإنما في

الفكر الإسلامي والإنساني عموما؛ ولذلك يصح القول أن النبوة ظاهرة عامة كلية، أي أنّها غير

مخصوصة بشعب دون آخر، وهي ظاهرة شائعة على مستوى العالم بأسره منذ أقدم العصور، فلا

يوجد شعب لم يعرف بشكل أو بآخر وحي الآلهة، حتى أن البعض لم يكتف بالربط بين النبوة

والدين والوجود، وإنما جعل النبوة نزوعا طبيعيا في الإنسان، واستعدادا قائما في العقل، ومملكة في

النفس الإنسانية تمكّنها من الحدس أو سبق النظر بالمستقبل.¹

ولعله من أقرب المصطلحات إلى الكهانة؛ فكان يقال للكاهن، تكهّن وعرّف وحكّم وتنبأ،

ومنها جاء الخلط بين الكاهن والعرفّ والحكيم والمتنبّي.

وإذا صحّت أطروحة انحدار الشعر العربي من سجع الكهّان، فإن اعتماده الوزن والبحر

والقافية يثبت من جديد علاقته بالسحر. وهنا نلامس معتقدا كونيا في الأصل الخفي للموسيقى؛

فكلمة «charme» الفرنسية مثلا، التي تعني (سحر)، تنحدر من الأصل اللاتيني

¹ - علي مبروك، النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ، محاولة في إعادة بناء العقائد، بيروت: دار التنوير،

«carmen» الذي يعني (سجع)، وكلمة «incantation» وهي التعزيمة أو الدعوة السحرية،

مشتقة من الجذر «cantare» الذي يعني أنشد أو غنى.¹

وفي حديث عن (ابن عباس)، أن الشيطان لما طُرد من الجنة وأنزل إلى الأرض، سأل الله

تبارك وتعالى أن يجعل له قرآنا فأعطاه الشعر:

"لما نزل إبليس إلى الأرض قال: يا رب أنزلتني وجعلتني رجيمًا (...). فاجعل لي قرآنا، قال:

الشعر وسجع الكهان."²

كهان: جمع كاهن، من كهنَ له يَكهنُ ويكهنُ وكهنَ كهانَةً وتكهنَ تكهنًا وتكهنًا: قضى له

بالغيب؛ بمعنى تخمين أحداث المستقبل قبل وقوعها. ورجل كاهنٌ من قوم كهنَةٍ، وحرفته الكهانة:

الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار.³

¹ - Edmond Doutte, *Magie et religion dans l'Afrique du nord*, Alger, 1908. Maisonneuve Geuthner, Paris, 1984, p 105.

² - أبو حامد الغزالي، *مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب*، تحقيق: محمد رشيد القباني، بيروت: دار إحياء العلوم، 1987، ص 26.

وينظر: أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود القزويني، *عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات*، تحقيق: فاروق سعد، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1973م، ص 388.

وينظر: أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، *قصص الأنبياء المسمى (عرائس المجالس)*، بيروت: دار الكتب العلمية، ترجمة، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، 2017م، ص 55.

³ - أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرُّؤيضي الإفريقي، *لسان العرب*، مادة كهن، ج 7، بيروت: دار صادر، 2003م.

أما سَجَع الكَهَّان، فجاء مصطلحا مركبا تركيبا إضافيا؛ المضاف مفردا نكرة، المضاف إليه جمعا معرفة، وكان السجع واحد عند مجموع الكهان.

والسجع: من سَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعاً: استوى واستقام وأشبهه بعضه بعضا، والسجع: الكلام المَقْفَى، والجمع أسجاع وأساجيع؛ وكلام مُسَجَّع. وسَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعاً وسَجَّعَ تَسْجِيعاً: تَكَلَّمَ بكلام له فَوَاصِلُ كفَوَاصِلِ الشَّعْر من غير وزن، وصاحبه سَجَاعَةٌ. وهو من الاستواء والاستقامة والاشتباه كأن كل كلمة تشبه صاحبها؛ قال ابن جني: سمي سَجْعاً لاشتباهه أو آخره وتناسب فَوَاصِلِهِ وكسَّره على سُجُوع، فلا أدري أرواه أم ارتجله، وحكي أيضاً سَجَعُ الكَلَامِ فهو مسجوعٌ، وسَجَّعَ بالشيء نطق به على هذه الهيئة. والأسْجُوعَةُ: ما سُجَّعَ به. ويقال: بينهم أسْجُوعَةٌ.¹

وبالرجوع إلى الدلالة اللغوية لكلمة (شعر) نجدتها تعني الفطنة، لكنها تعني أيضا القافية، من الجذر (قفا) الذي يُطلق كذلك للدلالة للضرب على القفا وعلى تَتَبُّع الأثر. والقيافة ضرب من التنبؤ بالغيب تمكن صاحبها من التعرف إلى الشيء انطلاقا من مشاهدة أثره،² ما يشير إلى وجود قرى بين الشعر والكهانة والعرافة.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ج 7، مادة سجع.

² - القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ص 344 - 345.

وألوان السجع كثيرة، ومنها (السجع الديني)، كما في وصف (ربيعة بن ربيعة) ليوم النشور:
"يومٌ يُجمع فيه الأولون والآخرون، يسعد فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون." ويقسم بصدق
قوله:

"والشفق والغسق، والفلق إذا اتسق، إن ما أنبتك به لحق."¹

ويصف (شق بن صعب) ذات اليوم بقوله:

"يوم تجزى فيه الولايات، يدعى فيه من السماء بدعوات، يسمع منها الأحياء والأموات،
ويجمع فيه الناس للميقات، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات." ويقسم لسائله بأنه يقول الحق:
"ورب السماء والأرض، وما بينهما من رفع وحفض، أن ما أنبتك به لحق، ما فيه أمض."²
ويتكهن أحد الكهنة ويدعى (شافع بن كليب الصديقي) بظهور النبي محمد -صلى الله عليه
وسلم- فيقول:

"قَدِمَ على تُبَّعِ الآخر ملك اليمن قبل خروجه للقتال شافع بن كليب الصديقي، وكان كاهنا،
فقال له تُبَّع: هل تجد لقوم مُلكا يزيد عليه؟ قال: أجده لبار مبرور، ورائد بالقهور، ووصف في
الزبور، فضلت أمته في السُّفُور، يفرِّج الظلم بالنور، أحمد النبي، فإذا هو يجد صفة النبي صلى الله
عليه وسلم."³

1- الطبري، تاريخ الملوك والرسل، ج 2، ص 261.

2- المرجع نفسه، ج 2، ص 264.

3- المرجع نفسه، ج 2، ص 268.

وقد اختلط الأمر على بعض قريش في أول نزول الذكر الحكيم، فقرنوه بسجع كهنتهم، وردَّ عليهم القرآن الكريم بمثل قوله عزَّ وجل:

﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (40) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (41) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ

قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (42) ﴾¹

ولعل من أبرز سمات الكهانة، الإيماء إلى ما يريدون ودخول الرمز في كثير من أقوالهم؛ فيأتي الكاهن المعنى من بعيد موظفا ألفاظا غامضة، يأخذ الناس في تأويلها كلِّ بما يرى حسب فهمه وظروفه، وهكذا يضمن خلود أقواله.

وهذه امرأة من سهم يقال إن صاحبها جاءها ذات ليلة فأنقبض تحتها وقال:

"شعوب شعوب، تصرع فيه كعب لجوب."²

ويقولون إن قريشا لم تستطع فك رموز هذا السجع حتى كانت وقعة أحد بالشعب.

ومَّا يلاحظ أيضا على سجع الكهان، كثرة الأقسام والإيمان بالكواكب والنجوم والرياح والسحب والليل الداجي والصبح المنير والأشجار والبحار وكثير من الطير، لاعتقادهم في هذه الأشياء قوى وأرواحا خفيَّة، ومنها قول (سلمى بن أبي حية):

"والأرض والسماء، والعقاب والعنقاء، واقعة ببقعاء، لقد نقرَّ المجد بني العُشراء للمجد والسناء."³

1- سورة الحاقة، من الآية: 40 - إلى الآية: 42.

2- الطبري، تاريخ الملوك والرسول، ج 2، ص 253.

3- المرجع نفسه، ج 2، ص 257.

وَدَّعَى (مسلمة بن حبيب) النبوة، وكان يشار إليه بلقب (مسيلمة الكذاب) من قبل المسلمين تحقيرا له، وشتوا عليه حرب إبادة، فقتلوه وأبادوا أصحابه في ما يسمى بحديقة الموت، ومن أقواله: "والشمس وضحاها في ضوئها وجلالها، والليل إذا عداها يطلبها يغشاها فأدركها حتى أتاها وأطفأ نورها ومحاهها."¹

ويعيدنا سجع (مسيلمة) بوضوح إلى هذه الآيات القرآنية الكريمة:

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (1) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (2) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (4)﴾²

ولكن النصوص التي وصلتنا من سجع الكهان تعتبر قليلة نسبيا قياسا إلى عدد الكهان الذين ذكروهم كتب التاريخ والأدب، والذين يزيد عددهم على خمسين كاهنا. ويعود ذلك على الأرجح لأسباب كثيرة، منها:

1- ضياع معظم هذه النصوص واندثارها بموت أصحابها، سيما أنها لم تدون وإنما تناقلها

الناس شفويا.

2- محاربة الإسلام لكهنة الجاهلية، إلا من انطوى تحت لواء الإسلام، كما اتفقت المذاهب

الفقهية الأربعة على تحريم إنشاد الشعر في المسجد إذا خالف الشرع.³

3- عدم إقبال الناس عليها، لأنها تخالف الكثير من المعتقدات الدينية.

1- الطبري، تاريخ الملوك والرسول، ج 2، ص 270 وما بعدها.

2- سورة الشمس، (من الآية: 1 - إلى الآية: 4).

3- عبد الرحمن الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، ص ص 289 - 290.

4- أن تلك النصوص تحمل لعنات حسب اعتقاد الناس آنذاك.

5- وبالمقابل فإن نظرة الناس إلى الكهّان على أنهم طبقة متميّزة، جعلتهم يتعاملون معهم

باحترام وخوف بالغين.

فيما بلغ السمو الروحي عند طائفة من المسلمين أن هجرت الدنيا وزخرفها، وعكفت على

العبادة، متطلّعة في يدي الخالق عازفة عما في أيدي الخلائق، وتعارف الناس على تسمية هذه

الطائفة بالمتصوّفة.

وقد كان التصوف منتشرًا بين اليهود، ويسمى بالتنبؤ، ويسمى الواصل من السالكين عندهم

نبيا.

والتصوف تجربة ذوقية كشفية تنكشف فيها الحجب عن العابد، وفي كل هذا تصدر عنه

إشارات وعبادات تنبئ عن أحواله ومقاماته.

ولم يُبق الزمان من كتب (الحلاج) إلاّ كتاب (الطواسين)، الذي سبق إعدامه عشية الخامس

والعشرين مارس سنة (309هـ/922م) بعد اتّهامه بالزندقة. وكان بمثابة سيرة ذاتية وفكرية، تميّزت

بخصوصية الدلالات التعبيرية للمصطلح الصوفي، التي تختلف بين حال ومقام وبين مقام وآخر،

ويبقى أن تلمّس نظرية الوجود في ثنايا أقوال (الحلاج) المتناثرة وأشعاره الرمزية وطواسينه الغامضة

ليس بالأمر اليسير، وإن تحقّق ذلك فلن يكون إلاّ بعد مجازفة مضنية في التأويل؛ حيث طريق

الكشف والإلهام والذوق هو الطريق الصحيح لا طريق الاسترشاد بالعقل والبرهان:

مَنْ رَامَهُ بِالْعَقْلِ مُسْتَرْشِدًا أَسْرَحَهُ فِي حَيْرَةٍ يَلْهُو¹

والمرء في هذا الطريق مرهون بالإشراقات الإلهية التي تنير له ما خفي عنه، إلا أن ارتحانه ليس سلبيا بالمطلق، إذ لا بدَّ من تهيئة النفس عبر ترويض البدن بالصلاة والصيام وغير ذلك من مجاهدات، فمن طلب الحق بنور الإيمان كان كمن طلب الشمس بنور الكواكب.

والإيمان هنا ليس العقل بالتأكيد، أو ليس العقل البرهاني على الأقل، بل هو العقل (البياني)؛

فثمة حجاب آخر أمام العرفان غير حجاب العقل، هو حجاب الشريعة عبر تحنيط نصوصها.

وقد عاش الشيخ الأكبر (محي الدين ابن العربي) في الحقبة الأندلسية، بين فئة تراه قطب

الأولياء وأخرى تراه شيخ الملحدين. وانطوت سيرته على تنبؤات خفية عبر أسلوب خطابي مراوغ

وجدل صوفي، يأخذ القارئ خارج العمل نفسه إلى حيث الحياة والكون وواقعه غير المدرك، دافعا

الإنسان للنظر إلى الأمور نظرة كالدوسكوبية ترى الأمور في حالة تغير دائم لا تخضع للثبات.

وتضمّنت رسالته الظاهرية والباطنية سواء في (الفتوحات المكية) أو في (فصوص الحكم) دعوة

للتأمل في (الذات) وفي (الآخر)، باعتبار (الآخر) مكّلا وضروريا لفهم الذات والاستمرارية

¹ - أبو المغيث الحسين بن منصور بن محمد البيضاوي الحلاج، ديوان الحلاج ويلييه كتاب الطواسين.

تحقيق:

كامل مصطفى الشيبني وبولص نوي البسوعي، بيروت: منشورات الحمل، ط3، 2007م، ص 48.

الحضارية على هذا الكوكب، وقد يكون هذا الآخر هو الله - سبحانه وتعالى - كما تنص عليه ظاهر الأديان، أو الكون بأشمله بما فيه الذات وفكرة الألوهية.

وكان يعترف بأنه يتبع دين الحب، وأنه سيبحث عنه عند اليهود أو النصارى أو المسلمين، فلا يوجد دين أرقى من آخر، فيما قامت عقيدته على وحدة الوجود:

"العالم صورة الله، والله روح العالم المدبّر له، فهو الإنسان الأكبر."¹

وعلى الرغم من أن (ابن عربي) لم يُعدم في حياته كما أعدم فيلسوف بغداد (الحلاج)، لكن تمّ إعدام إنتاجه الفكري بعد موته، وعلى فترات متعددة من تاريخ الأمة الإسلامية، وكأن ظاهرة (الحلاج) التي استؤصلت قد عادت لتظهر بعد حوالي ثلاثة قرون لتطرح نفس القضايا الملحة التي يتعرّض لها المفكرون والفلاسفة المسلمون وغير المسلمون.

ويطرح الشاعر والمفكر الصوفي (محمد بن عبد الجبار بن الحسن النّفري)، في مخطوطته الشهيرة والوحيدة (المواقف والمخاطبات)، حيث إنه لم يدوّن ما كان يقول واكتفى بإلقائه شفهيًا لمريديه، سؤالًا مزدوجًا على العالم: كيف أعرف العالم؟ وكيف أكتبه؟

كان كل شيء يؤكّد أن ثديه الأول في رضاع الكتابة ينحدر من سلالة الكشف، وأن ثديه الآخر ينحدر من سلالة اللاهائية؛ كان يكتب بحثًا عن الحقيقة، والحقيقة مقيمة في كل مكان، وهي

¹ - الشيخ محيي الدين بن العربي، فصوص الحكم، تحقيق وشرح: أبو العلا عفيفي، بيروت: دار الكتاب العربي، دت، ص 111.

في داخل الإنسان أولاً، وهي إذا توأم الكتابة. وهنا تكمن مخاطرة الكتابة عند (النقري)، كجزء من الطريق إلى المعرفة، وجزء من المعرفة نفسها. فهي من جهة خرق للسائد المعرفي، وهي من جهة ثانية افتتاح لمسالك جديدة نحو عرفان جديد. غير أن معرفة لا جهل فيها لا معرفة فيها، ومعنى ذلك أن المعرفة لا تنتهي أو لا تكتمل، وأن الحقيقة بحث متواصل واكتشاف دائم؛ نستشرفها، نستشفها، نستضيء بها، غير أننا لا نقبض عليها بشكل نهائي ومطلق، كأنما تقترب فيما تبتعد، وتبتعد فيما تقترب. فهي ليست ثمرة جاهزة للقطاف، بل فضاء مفتوح نساfer فيه؛ نتساءل، نتخيل، نستقصي، نكتشف. وكأننا نعوض عن فقر الواقع بغنى المخيلة.

عاش (النقري) في القرن الرابع الهجري، ولم يكن يعلم أنه وبعد قرون من وفاته، ستكون إحدى مكاشفاته في كتابه نموذجاً عالياً ومدخلاً من مداخل من يتقوّل بالحدّثة في الأدب وبخاصة الحدّثة الشعرية، وأن عبارة (كلما اتسعت الرؤيا ضاقت العبارة) قد دفعت البعض إلى مجازاة منهجه في الماورائيات والحياة.¹

لكنّه يبقى كغيره من أهل التصوف، قد عاصر محنة (الحلاج)، والتي دعتهم إلى التحفّظ والكتمان والتقوية الشديدة.

ولما كان العقل المجرّد قاصراً عن النفاذ إلى جوهر الدين وإدراكه، جاء اضطراب الشاعر والفيلسوف العباسي (أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان القضاعي التنوخي

¹ - النقري - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. تاريخ الاطلاع: 2017/10/6م.

<https://ar.wikipedia.org/wiki/النقري>

المعري)، في مسألة النبوات والبعث بعد الموت. واعترف أكثر النقاد بشاعريته وإنسانيته، ووضعه في المحل الأرفع، وجعلوا له مقاما فريدا بين شعراء العربية؛ لا من حيث أسلوبه وفنه فحسب، ولكن من حيث روحه ونظرته وتأمله في الحياة والأحياء من حوله. وعده المستشرقون شاعرا عالميا سبق زمانه بآرائه العقلية والأخلاقية والسياسية والدينية.

ونجد له في المكتبة العربية عدد ملحوظ من المؤلفات والتصنيفات، ومنها كتابه (الفصول والغايات)، الذي اختلف المؤرخون في تسميته، فمنهم من قال (الفصول والغايات في معارضة السور والآيات)، باعتباره العنوان الأقرب إلى روح (أبي العلاء) الناقد وروح الكتاب من جهة أخرى. ومنهم من قال (الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ)، مزيلين عنه بذلك غبار التهمة.

أمّا الأشعار والمؤلفات الصوفية لـ (محمد بن محمد بن حسين بهاء الدين البلخي)، المتوفى سنة 1273م¹، والمعروف باسم (مولانا جلال الدين الرومي)، فقد تركت تأثيرا واسعا في العالم الإسلامي، وترجمت بعض أعماله في العصر الحديث من الفارسية إلى كثير من لغات العالم، ولقيت صدًى واسعا جدا.

وتعتبر قصائد (الثنوي) أو (مثنويه المعاني)، من أهم كتب التصوف الشعرية، بلغت عدد أبياتها (25632) بيتا، موزعة بين أجزاءه الستة.

¹ - جلال الدين الرومي - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. تاريخ الاطلاع: 2015 /12/18م

https://ar.wikipedia.org/جلال_الدين_الرومي

ويُسميها بعض المتصوّفة بالكتاب المقدّس الفارسي. قال فيها (جلال الدين الرومي) بوحدة الوجود، ووحدة الشعوب والأديان، وشغف الشعر، وعمق الحب المدفون في كل فرد، وضمت (424) قصة تشرح معاناة الإنسان للوصول إلى حبه الأكمل الذي هو الله:

"فما دام الخالق قد قال يد الله فوق أيديهم، فقد أعلن أن أيدينا هي يداه."¹

ولنعرج الآن عند عالم الماورائيات الفرنسي (ميشيل دي نوستردام Michel de Nostredame)، (1503م/1566م)، الذي عُرف أكثر بالشكل اللاتيني لاسمه (نوستراداموس - Nostradamus).

تذكر الروايات أن موهبة (نوستراداموس) التنبؤية بدأت تظهر بوضوح عام 1512م، وكان (نوستراداموس) حينها يناهز التاسعة من عمره، حين خرّ على ركبتيه أمام شاب إيطالي كان يرعى الخنازير في الطريق، خالعا عليه لقب قداستك! وفعلا صار هذا الشاب قداسة البابا (سيكستوس الخامس).²

وذهب البعض إلى الاعتقاد بأنه نبي، حيث إنه انتهى قبل وفاته من كتابة تسعمائة وأثنتين وأربعين (942) نبوءة (Prophecie)، جمعها في كتاب اسمه (القرون)، ونشره لأول مرة عام

¹ - جلال الدين الرومي، المثنوي. ترجمة: إبراهيم الدسوقي شتا، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2002م. ص2.

² - نوستراداموس - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. تاريخ الاطلاع: 2017/2/15.

<https://ar.wikipedia.org/wiki/نوستراداموس>

1555م. قام بكتابة أحداثه على شكل رباعيات غير مفهومة، كعادة الكتب التي تحتوي إشارات غيبية وإعجازات عديدة وتلؤنات لفظية مثيرة.

وكلمة (قرن) هنا لا تعني مائة سنة بل مائة نبوءة، اعتقد أنها سوف تحدث في زمانه وإلى نهاية العالم الذي توقع أن يكون في عام 3797م، وكان بعضها يتعلق بأحداث شديدة الأهمية في التاريخ، نحو مثال (هتلر):

وَحَوْشٌ، أَصَابَهَا الْجُوعُ بِالسَّعَارِ، تَعْبُرُ النَّهْرَ ..

ضِدَّ (هَسْتَر)، يَكُونُ أَغْلَبَ أَرْضِ الْمُعْرَكَةِ ..

يُسْحَبُ هُوَ الْقَائِدُ فِي قَفْصٍ مِنْ حَدِيدٍ ..

عِنْدَمَا لَا يُرَاعِي ابْنُ (أَلْمَانِيَا) أَيَّ قَانُونٍ..¹

وليست هذه أول مرة يبدل فيها (نوستراداموس) أماكن الحروف في (القرون) عموماً، بل

يبدو أنها سر من أسرار المهنة؛ فرمز مثلاً إلى الغرب بفرنسا وإلى العالم المسيحي بإيطاليا وأمريكا بإسبانيا.

وتجدر الإشارة إلى أن معظم المصادر الأكاديمية تنفي أن يكون لنوستراداموس قدرة تنبؤية حقيقية بأحداث مستقبلية مقدّماً، وترى أنها إلى حد كبير نتيجة لسوء فهم أو إساءة الترجمة المتعمد أحياناً.

1- تنبؤات ميشيل نوستراداموس. القاهرة: مكتبة مدبولي، د ت، ص 87.

وربطت الكثير من الدراسات النقدية عند حديثها عن ظاهرة الرؤى الاستشرافية، بين قدرات التأمل والحدس لدى الأديب، وقدرته على استشراف المستقبل والتنبؤ ببعض الرؤى قبل حدوثها، انطلاقاً من تصوير الكائن لرؤية الممكن و التبشير به..

لكن ماذا لو تحقق للأديب الارتقاء بقدراته التأملية إلى نوع من التنجيم؛ فيتنبأ بحوادث محدّدة بدقة متناهية وليس بمجرد حوادث عامة؟

ولأنّ الأديب فنان قبل كل شيء؛ رهانه القبض على قيم الحق والخير والجمال وليس التنجيم، فقد حير هذا الأمر النقاد وهم يواجهون الروائي الأمريكي (مورغان روبرتسون Morgan) Robertson، (1861م - 1915م)، في واحدة من أشهر أعماله الروائية (غرق التيطان the Wreck of the titan, or, Futility)¹، التي نشرها سنة 1898م، وتنبأ فيها بغرق سفينة (التيطانيك) قبل أن يقع ذلك فعلاً بأربعة عشر سنة كاملة! لكن أمر هذا الروائي غريب، وهو من الغرابة بحيث إنّه يتجاوز حدود نبوءته بوقوع الحوادث الكبرى لغرق سفينة ركاب ضخمة في عرض مياه شمال الأطلسي، إلى تصوير تفاصيل وجزئيات دقيقة ما يزال الدارسين يحاولون إيجاد تفسير مقنع لها، حيث تجاوز خيال هذا الكاتب كل حدود الإبداع والاستشراف؛ ومن ذلك مثلاً وصفه لخصائص تلك السفينة؛ فيبلغ طول (التيطان) مائتان وأربعة عشر (214)

¹-Morgan Robertson, The wreck of the Titan or Futility. The Quinn& Boden Co. Press Rahway, N.J. 1898.

مترا، ولها ثلاث (03) مروحيات، و تقدر حمولتها بخمس وأربعين ألف (45000) طن، ويمكنها نقل ثلاثة ألف 3000 راكب، أما سرعتها فتصل إلى خمس وعشرين (25) عقدة.

وهذه تقريبا نفس خصائص سفينة (التيطانيك)، التي يبلغ طولها مائتان وتسع وستون (269) مترا، ولها ثلاث (03) مروحيات، وتزن حمولتها ست وأربعين ألف (46000) طن، وبقدرة نقل تصل إلى ألفان ومائتي ألف (2200) مسافر، وتتراوح سرعتها ما بين اثنتين وعشرين (22) إلى أربع وعشرين (24) عقدة.

وما يدعو إلى الغرابة أكثر أنه قد تصوّر اصطدام سفينة (التيطان) المفاجئ شهر أبريل، بجبل جليدي عائم، وهلاك حوالي ألف (1000) من ركبها بسبب قلة مراكب النجدة، وهو ما حدث تماما لسفينة (التيطانيك).

بل إن إسم السفينتين وحده بإمكانه أن يثير مزيدا من الاستغراب والحيرة، علما أنه لم يكن في واقع الحال الذي كتبت فيه الرواية، لا سفينة تدعى (تيطان) ولا أخرى تسمى (تيطانيك)، إنما (التيطان) سفينة من إبداع خيال (مورغان روبرتسون) عام 1898م، و(التيطانيك) سفينة حقيقية تمّ بناؤها ووضعها في الخدمة بعد ظهور رواية (غرق التيطان) بعدة سنوات، وهي السفينة التي غرقت كما هو معروف في الرابع عشر من شهر أبريل العام 1912م.

وفي انتظار تقديم تفسير مقنع لهذه القواسم المشتركة بين السفينتين، يمكن أن نستأنس ببعض الاحتمالات، ومنها مثلا قضية تجارب الكاتب في مجال السفن والبحار، فهو ابن قبطان سفن،

وكثيرا ما كان يرافق والده في رحلاته البحرية لأكثر من عشر سنوات، ومن المؤكّد أن تلك التجارب قد أفادته بثقافة بحرية واسعة وخيال وقّاد، جعلته يتنبأ بغرقها بفعل الاصطدام المفاجئ بجبل جليدي عائم وليس بفعل العواصف على عادة ما ألف الروائيون تصويره في ذلك الزمن، وهو أمر طبيعي، لأن الجليد مادة قوية يذوب جزؤها العلوي في فصل الربيع ويكون شهر أبريل أحسن توقيت لذلك، بينما يظل جزؤها السفلي غارقا في الماء.

أمّا ضخامة سفينة (تيطان) وخصائصها المختلفة، فهو تشخيص منطقي لسفينة ضخمة صوّرها الكاتب على عادة السباق نحو بناء السفن الضخمة في ذلك الزمن، وحيث سفن كثيرة كبيرة كانت تجوب البحار، على غرار سفن (لوسيانيك) و (توطنيك) و (ماجيستيك)، فاختلق بدوره لروايته سفينة ضخمة أسماها (titan) أي الجبار.

أو ربما قد تكون الأقدار هي التي لعبت دورها بصورة عجيبة في غرق (التيطان) قبل غرق سفينة (التيطانيك) ..

الأدب العربي المهجري:

يخرج أدب المهجر عن الحدود، ليبحث عن الحقيقة في كل اللغات والعيون والأمكنة، فيتحرّر من الجغرافيا، ويجعل من الشعر حياة ومن القصة تجسيد للجوع الروحي ومن الرواية سفر في الماضي والوطن.. ونجده في شعر الكثير من الأدباء العرب عبر التاريخ، حيث معاني الاغتراب والبعد عن الوطن، والاشتياق إلى الأمكنة التي تركوا والمنازل التي هجروا؛ وهكذا صارت المقدمة الظلمة نوحا

تقليديا استهلت بها التعليقات وكثير من القصائد العصماء المشهورة، ليتحوّل إلى موضوع رئيس في الشعر؛ فحملت قصيدة (لامية العرب) للشنفرى إحساسا عاطفيا للشاعر المبدع تجاه دياره وهو بعيد عنها، وتبعّت قصيدة (لامية العجم) للطغرائي من روح ذاتية معتّدة بنفسها ورغبة صارخة في الرحيل، وغيرهما من قصائد شعراء المشرق والمغرب العربيين.

فيما غلب على الأدب المهجري منذ نشأته - رغم تغير التوزع الجغرافي للأدب حاليا في أستراليا و بروز الوجه العراقي المتمركز بشكل واضح في أوروبا- الطابع الإنساني وقيم الحرية والانفتاح على الآخر.

ولعل الأفكار الجديدة التي غدّت الأدب العربي في بداية القرن العشرين، كانت نابعة من هذا الاتصال المباشر بالآخر، مع هذا المكان الجديد الذي نتجت منه حركة أفكار كبيرة، كانت وراء عالمية الأدب المهجري في أمريكا الشمالية، وجعلت أعمالا كالتي كانت لبطارقة هذا الأدب تحتل مكانها في معظم لغات العالم الحيّة.¹

ووفق هذه الآلية، فإن الأدب بمعنى من المعاني هو أيضا ابن مكانه ومجتمعه الذي نشأ فيه، على أن ثمة ميزة خاصة في الأدب المهجري -والتسميات تعني بما هو خارج ولا تخص الجوهر- فالأدب هو الأدب أينما كتب، إلا أن تجربة الانقطاع كلياً عن المؤلف البصري المرتبط بالبيئة الأصلية، كان له الدور الحاسم في تغيير آليات الإستقبال ومن ثمّ الإنتاج، وفي ظلال لغات وثقافات

¹ - نجاة فخري مرسي - حول نشأة الأدب العربي المهجري في أستراليا. تاريخ الاطلاع: 2006/5/22م.

أخرى نستطيع أن نرى مكاننا ومجتمعنا ولغتنا بطريقة أخرى، وربما انفلت من ضيق الأفق والرقابة التلقائية! لكن ذلك لا يحوِّله بالضرورة إلى أدب مهجري أو أدب منفي...¹

تاريخ الهجرة العربية:

يعود تاريخ الهجرة العربية إلى عام 1860م، وكان اللبناني (أنطون البشعلاني) أول مهاجر عربي إلى أمريكا الشمالية عام 1854م، واستمرت الهجرة بشكل فردي لافت، حيث بلغ عدد المهاجرين بين عامي 1889م و1919م نحو ستين ألفاً.

وقد امتلكت حركة الهجرة الكثيفة هذه أسبابها، وفي مواجهة الحالة اللبنانية مثلاً التي نفهمها في ظل النظام القديم، يقف العامل السياسي المتمثل في اضطهاد الحريات أيام الحكم العثماني، بالإضافة إلى الصعوبات الاقتصادية وضيق المعيشة التي كانت تسود بلاد الشام آنذاك وتهدّد أهلها بالمجاعة، ناهيك عن نزعة حب الاطلاع والمغامرة والحلم التي دفعت بالكثيرين لهجرة أو طانهم والبحث عن عوالم جديدة أرحب من العوالم التي يعيشون فيها.

المهجر الجديد:

بدأ يتشكّل منذ بدايات القرن التاسع عشر نوع من الأدب العربي الأنجلوفوني، أصبح يُعرف لاحقاً بالأدب العربي الأمريكي أو أدب المهجر، وهو نصوص أدبية مكتوبة بالإنجليزية من قبل

¹ - اسكندر حبش، كثيرون يكتبون خارج بلادهم، فهل يصح الحديث عن أدب مهجري جديد؟

كُتِّبَ من أصول عربية، وذلك مع أمين الريحاني صاحب أول رواية عربية أنجلوفونية بكتابه (كتاب خالد)، وميخائيل نعيمة، وإيليا أبو ماضي، وجران خليل جبران، وغيرهم... هناك، في تلك البلاد البعيدة، بُسِّطَ للحرف العربي بساطا من إبداع وجمال، بدأ بحجرة أبناء بعض الأقطار العربية وجلُّهم من اللبنانيين إلى الولايات المتحدة الأمريكية والبرازيل في ثمانينيات القرن التاسع عشر، بعد أن ضاقوا بحال بلدهم الذي أوقعه الصراع التركي الأوربي في حوادث دموية، امتدت نارها إليه من دمشق عام 1840م، وتأسَّلت مذ ذاك في أرضه.

لتتوالى قوافل المهاجرين في العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين، شملت الأثرياء الباحثين عن تحقيق الأرباح، والفقراء الحالمين بجني الثروة والعودة إلى الوطن، وما زال يتردَّد فيهم صوت (امرؤ القيس):

وَطُولُ مَقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقٌ لِدَيْبَاجَتِهِ، فَاعْتَرَبَ تَتَجَدَّدُ

فَأَيُّ رَأْيِ رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً إِلَى النَّاسِ إِذْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٍ¹

وحمل رعييل من الجيل الثاني من المهاجرين، الذين وصلوا أطفالا إلى الضفة الأخرى من الأطلسي، في نفوسهم مواهب أدبية، والموهبة الأدبية لا بدَّ من أن تكشف عن ذاتها، وتنفِّس عن نفسها شعرا أو نثرا، فكتبوا في الصحف والمجلات العربية، والتي بلغ عددها سنة 1910م في

1- امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، 1984م، ط 4، مجلد 1، ص 121.

الولايات المتحدة الأمريكية قرابة الخمسين دورية،¹ وأسَّسوا مدارس أدبية في الأمريكتين وكان لهم شعراءهم وصحافتهم، إذ سرعان ما اكتشفوا أن الغرب ليس مملكة العدالة والمساواة والحرية والاستقلال، وأن العواطف الإنسانية مهمة في زاوية من زوايا الحضارة الحديثة، كما أحسُّوا في المقابل بتخلُّف الشرق وفساد الحياة فيه والتناقضات المستعصية التي تمزِّقه، فحاولوا إبداع ما يهدِّئ من قلقهم ويخفِّف عنهم ألم الغربة ويساعدهم على الصمود.

المهجر بين الأمس واليوم:

قد تكون عزلة المهاجرين اليوم شديدة، بسبب الحنين اليومي أو الجرح النازف، نتيجة معايشة أخبار الوطن عن بعد، لكن حالهم يختلف جذريا عن المهجر السابق وذلك من نواحي عديدة؛ فهم يستطيعون قراءة الجرائد العربية اليومية عبر الانترنت أو الصحف الورقية التي تصل إلى أماكن متعدّدة من العالم، وبإمكانهم - إذا لم يكن هناك مانع سياسي - التنقل بحرية وبساطة بين الوطن الأم والمهجر، وسمح لهم الانفتاح العالمي بمعرفة الكثير من أنماط العيش في تلك المهاجر قبل أن يصلوها.²

1- جمال بن حويرب المهيري - كتاب (النبي) لخيران.. أدب عالمي أم هرطقة؟ ماي 2012م.

www.albayan.ae/opinions

2- أحسن ثلياني - الرواية العجيبة والكاتب العزّاف. تاريخ الاطلاع: 2010/10/17م.

www.aswat-elchamal.com

بينما تسببت الهجرة مع بداية القرن العشرين، في غربة وعزلة شديدتين؛ حيث طرق المواصلات بطيئة وغالية، وأغلبية المهاجرين لا يعرفون لغات المجتمعات الجديدة، أو شيئاً عن تلك الحضارات.

مدرسة المهجر وأدباؤها:

يطلق اسم أدباء المهجر عادة على نخبة من الأدباء العرب، وخاصة اللبنانيين المثقفين الذين هاجروا إلى الأمريكيتين (الشمالية والجنوبية)، ونظموا شعرهم وكتاباتهم في البلاد التي هاجروا إليها وعاشوا فيها.

وبالرجوع إلى فجر نشأة هذا التحرك الأدبي العربي في أمريكا، نجد أن الهجرة الأدبية والفكرية إلى الولايات المتحدة لم تقتصر على اللبنانيين، فهناك جماعات سورية وفلسطينية أيضاً، ومهاجر أخرى مثل كندا ودول أمريكا اللاتينية كالبرازيل والأرجنتين وفنزويلا.

أمّا أول أديب هاجر إلى الأرض الجديدة، فكان (ميخائيل رستم)، والد الشاعر (أسعد رستم)، إلا أن بوادير ظهور الصحافة العربية قد بدأ عام 1957م، وهو تاريخ صدور أول نشرة نصف شهرية اسمها (الوطن العربي).¹

¹ - نجاة فخري مرسي - حول نشأة الأدب العربي المهجري في أستراليا. تاريخ الاطلاع: 2006/5/22م.
www.syrianstory.com

وإلى ذلك لا ننسى الحراك الاجتماعي لأبناء الجالية - القراء، ليحفظوا ثقافتهم وانتماءهم ويؤدّوا ولو من بعيد دورا لمصلحة أوطانهم الأصلية، التي كانت تعجّ بحركات التحرر من السيطرة العثمانية ثم من سيطرة الانتدابين الفرنسي والبريطاني، وبأزمات تشكّل الدولة الحديثة في مجتمعات متعدّدة الأديان والأعراق.

الجماعات الأدبية العربية في المهجر بداية القرن العشرين:

عَرَفَ الأدب المهجري العربي في أمريكا بقسميه الشمالي والجنوبي، حركة أدبية عبر تأسيس مجموعة من الجماعات والرابطات الأدبية، كان لها تأثيرها الإيجابي الكبير في وجود نتاج فكري كبير، اعتاد الناس على تسمية أعضائها بأدباء المهجر، بينما في الواقع هناك الكثير من الأدباء المهجريين الذين لم يكونوا أعضاء في تلك الروابط والنوادي.

هذا وأحدث التلاحق مع مصادر أجنبية إلى جانب المصادر العربية، تغييرات جمالية بارزة في الشعر العربي؛ وهكذا ستقود قراءة الشعر الإنجليزي سنوات الأربعينيات إلى ولادة الشعر الحر، وستقود قراءة الشعر الفرنسي سنوات الستينيات إلى انبثاق ما يسمى قصيدة النثر، وأوصلت قراءة عميقة للشعر الروسي إلى القصيدة المدوّرة.

1- الرابطة القلمية:

شهد المهجر الأمريكي الشمالي في العقد الثاني من القرن العشرين تجمّع عدد من الأدباء والشعراء اللبنانيين والسوريين، الذين تشابهوا موهبة وآمالا وتطلعات، وراحوا يفكرون في إنشاء إطار

يجمعهم، وإقرار مبادئ يعملون من خلالها على تطوير الكتابة العربية وتنشيطها وتحديثها، من أجل إثبات وجود قوي لها في المجتمعات الجديدة، يمكن للمهاجرين العرب أن يضاهاها بها الآداب الغربية بمواضيعها وأساليبها وإبداعاتها.

وعن هذا التجمع الأدبي نشأت (الرابطة القلمية) بنيويورك في الثالث من أبريل سنة 1920م، ضمّت رئيسها (جبران خليل جبران)، وأمين سرها ومستشاره (ميخائيل نعيمة)، وأعضائها إيليا أبو ماضي ونسيب عريضة ورشيد أيوب وعبد المسيح حدّاد صاحب مجلة (السائح)، وندرة حداد، ووليم كاتسغليس، ووديع باحوط، والياس عطا الله... وعنها صدرت الصحف مثل السائح والسمير وغيرهما... الناطقة بلسانهم والحاملة لأفكارهم وروحهم التجديدية والناشرة لإبداعاتهم المتحررة من قواعد الأدب العربي وشروطه.

وقد دفع اتساع نشاطات الرابطة بحركة النشر إلى الأمام وإلى مدى بعيد؛ فصدرت عشرات الدواوين الشعرية بالفصحى والعامية، كما صدرت عشرات الكتب، تفاوتت طبعاً من حيث الأهمية والاتساع.¹

في حين لم تستهوا تلك الرابطة (أمين الريحاني)، كما لم تتمكّن من جذب من تبقى من كبار الأدب المهجريين في الشمال الأمريكي، مثل حبيب كاتبة، ومسعود سماحة، ونعوم مكرزل، ونعمة الله الحاج، وغيرهم...

¹ - نجاة فخري مرسي - حول نشأة الأدب العربي المهجري في أستراليا. تاريخ الاطلاع: 2006/5/22م.

2- العصبة الأندلسية:

وهم مجموعة من الأدباء العرب في المهجر الأمريكي الجنوبي، أسست سنة 1922م في مدينة (ساو باولو) بالبرازيل ما سمي بالعصبة الأندلسية.¹

وقد ضمت الكثير من الشعراء والكتّاب، نحو رئيسها (رشيد سليم الخوري)، وأعضائها ميشيل نعمان معلوف، وفوزي المعلوف، وشفيق المعلوف، والياس فرحات، وعقل الجر، وشكر الله الجر، وجرجس كرم، وتوفيق قربان، واسكندر كرباج، ونضير زيتون، ومهدي سكافي، وعمر عبيد، ويارا الشلهوب، وحبیب مسعود، ونعمة قازان... وأنشأوا مجلة أدبية حملت إسمها.

وأسّمت العصبة الأندلسية بالهدوء والاتزان والتقليدية، فلم تُنتقد كشقيقتها الرابطة القلمية المحددة والثورية.

3- رابطة منيرفا:

هي حركة أدبية أسسها وترأسها الشاعر المصري المهجري (أحمد زكي أبو شادي) عام 1948م في نيويورك، وانتهت بوفاته سنة 1955م، وضمت ابنته صفية أبو شادي ونعمة الله الحاج ويوسف الصارمي وعبد اللطيف الخشن وزكي قنصل وعبد المسيح حداد، الذي تولى منصب نائب رئيس الرابطة.²

¹ - صلاح الدين الهواري، شعراء المهجر الشمالي، بيروت: دار ومكتبة الهلال، 2010م، ص 15.

² - رابطة منيرفا / <http://zims-ar.kiwix.campusafrika.gos.orange.com/>

تاريخ الاطلاع 2015/12/20م.

4- الرابطة الأدبية:

أسست في الأرجنتين سنة 1949م، على يد الشاعر (جورج صيدح)، واختفت بعد عامين إثر عودة (صيدح) إلى لبنان.¹

ويلاحظ أن انقسام الأدب المهجري العربي، قد تعدى المجال الجغرافي، إلى الشكل الفني والمضمون؛ فتخطى الشمالي بحركته الإبداعية الجديدة والمجددة الكلاسيكية نحو حيوية الألفاظ وشفافية المعاني والتجديد الفكري والخيال، والتفاعل مع آداب الغرب وفنونه المعاصرة، والابتعاد عن الأفكار المتبدلة، ما شكّل خطوة أولى نحو الحداثة العربية، وتجديد الصلة بين الأدب والحياة، وإقامة مقاييس أدبية جديدة محل المقاييس القديمة، وتوسيع آفاق الإنتاج الأدبي في المقالة والقصة والملحمة والنقد، وصولاً إلى مجالات روحية لامس بعضها وحدة الوجود والأفكار الحلولية، ونزعة تأملية في أعماق النفس الإنسانية ومصيرها توكل الأدب مهمته الجديدة كطريق خلاص للبشر وسعادتهم..

فليس كل ما سُطر بمداد على قرطاس أدبا، كما ورد في دستور الرابطة القلمية على لسان (ميخائيل نعيمة)، ولا كل من حرّر مقالا أو نظم قصيدة موزونة بالأديب؛ فالأدب الذي نعتبره أدبا هو الذي يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها، والأديب الذي نكرمه هو الذي خُصَّ بركة

1- محمد علي حرفوش، كتاب عرب باللغة الإنجليزية. طرطوس: جمعية عاديات، 2012 م. ص ص 11- 12.

الحس ودقة الفكر ويُعد النظر في تموجات الحياة وتقلباتها وقدرة البيان عمّا تحدّثه الحياة في نفسه من التأثير.¹

ولعلها أول نقلة في تراثنا الحديث، من أدب بالعربية إلى أدب عربي؛ فهي بنتاجها الإنجليزي كانت أدبا عربيا بالإنجليزية لا أدبا إنجليزيا، وذلك لأنها وهي موضوعة بألسنة غربية، ذات هوية خاصة ومنبع مغاير ونكهة غذاء متميز لجوع معاصر مختلف، فلم يحدث على شيوخها في الغرب، أن أدخلت في صلب الآداب الغربية، تُؤرّخ لها أو كجزء من تراثها.

قراءة في مصطلح الأدب المهجري:

الحديث عن الأدب المهجري، فيه من السحر والجمال والروعة، بقدر ما فيه من الغموض والتشتت وعدم الوضوح؛ فسحره وروعته تعيد الكثيرين إلى مقاعد الدراسة، والاستمتاع بجمال الكلمة والفكرة وسحر المضمون، والنص الأدبي الذي حمل في معظمه نزعات قومية وإنسانية تنقلنا من عالم غابت عنه العدالة والحرية والجمال، وقيدتنا فيه التقنية والحداثة والعمولة. وبالتالي بات الباحث مشتتا في تشخيص أدب المهجر، كلُّ بما يريد أن يطلق على هذا النص مهجريا أو ذاك أنه ليس كذلك، وكأننا نضع العنوان قبل الخوض في التفاصيل.

في واقع كهذا، نود تحديد صفات الأدب المهجري ومزاياه كي نستند إليها عند الدراسة؛ لماذا لا يوجد أدب مهجري إنجليزي أو يوناني أو أسترالي مثلا؟ هل أن نتاج أي كاتب في بلده الأم

¹ - صلاح الدين الهواري، شعراء المهجر الشمالي، ص 16.

ونشره في بلد المهجر هو أدب مهجري؟ ما الفرق بين الأدب المهجري عند أدباء الرابطة القلمية والعصبة الأندلسية من جهة وبين الأدب الأندلسي؟ ما الذي يعطي للرواية خصوصيتها؟ وما هي الميزات التي يمكن أن تمنحها هوية خاصة؛ أهو المكان الذي نبعث منه؟ أم جنسية الكاتب الذي أبدعها؟ أم اللغة التي صاغتها؟

تكاد مفردة (المهجر) تفوح بخيار صالح في الذهاب إلى مكان جديد، وهو ليس حال غالبية الشعراء العرب في العالم، ومن جهة أخرى هي مفردة تدكّرنا بالأدب المهجري اللبناني الفوّاح بالبهجة والألم الرومانسيين، في حين ليس هناك ذات النوع من البهجة والألم في واقع الشاعر العربي المغترب في لحظتنا.¹

لا يعيش الكاتب في وطن، بل يرتحل نحو وطن، يؤمن بأن السماء هي الآخرون، ويعيش الكلمة كوطن، لذلك فهو يفهم الانتماء كحاجة طفولية ويتخطاه، ظاناً أن نبوة اللحظة الحاضرة هي الانفتاح على الثقافات المتعددة وقلوب الآخرين؛ يلجم بالحرية ليل نهار، ويسافر إلى أرض ميعاده في العيون الصادقة..

¹ - اسكندر حبش، كثيرون يكتبون خارج بلادهم، فهل يصح الحديث عن أدب مهجري جديد؟

وكتابتهم رغم إغراقها في المحلية الأمريكية، الثقافية والاجتماعية، شكّلت تعبيراً فريداً عن تعددية الخطاب الثقافي في النص الواحد، أما على المستوى الفني، فيمكن القول أنّ سمات الأدب العربي الأنجلو- أمريكي قد بدأت على صعيد اللغة؛ فكانوا يمزجون ما تقدّمه اللغة الإنجليزية من تلاوين وإيقاعات وأدوات بلاغية بمخزونهم الثقافي الإضافي، في سرد مواضيع بارزة هي محور كتاباتهم، سعياً إلى نوع من الخلود عبر روحانية معتمدة على بساطة العيش والاتحاد بنغمات الكون الأزلية، بحثاً عن معنى الوجود، وتلمّساً لقرارة العدم واللا معنى، للوصول إلى حقيقة المحبة، فلا يعود الحنين هرباً إلى الماضي، بل غذاءً روحياً نحو قلب الإنسانية.

ومن البديهي ألاّ نطلق على الأدب الأندلسي أدباً مهجرياً؛ فالعرب الذين ذهبوا إلى الأندلس سمو أنفسهم أندلسيين، فحدّدوا بذلك انتماءهم، ولو أن أدباء المهجر قالوا أنهم أمريكيون - رغم حصول معظمهم على الجنسية الأمريكية- لما تجرّأ أحد أن يسمي أدبهم أدباً مهجرياً. ثم إن الفريق الأول ذهب بقصد الاستيطان، في حين كانت إقامة الفريق الثاني مؤقتة بقصد العودة إلى الوطن بعد أن تنجلي أو تنتهي مسببات الهجرة.

ولعلنا يجب أن نفرّق بين أدب مهجري قاداته الرابطة القلمية والعصبة الأندلسية، وأدب قادت طلائعه وثبتت وجوده نتاجات أدبية لشعراء وأدباء منتشرين في الأمريكيتين والدول الأوربية، فالأرجح أن المؤسسات هي كذلك أحد أسباب تسمية نتاج أعضائها بالأدب المهجري.

فسيفساء الأدب المهجري:

تناول الأدب المهجري مع بداية القرن العشرين، بصبغته الأمريكية ذات الطابع اللبناني، أغراضا عديدة، وطرق أبوابا كثيرة بكل حرية، والتزم بالقضايا المصرية للأمة العربية، وتعلق باللغة العربية وكان من حماها والمدافعين عنها، وظل محتفظا بموروثه الثقافي، فيما أعطت تلويناته وتنوعاته المختلفة والمهمّة فسيفساء عربية راقية، تحتفي بإنسانية الإنسان عن طريق الغوص في العمق الذاتي له وتصوير حالته.

ويبقى العنوان الأبرز لذلك الأدب، هو تحوُّله إلى أدب رسالة وموقف ومبادئ، باسم رسالة منحوها صفة القداسة، تزرع الفضيلة الموجودة في الكتب الدينية المقدّسة في نفوس الناس، بأبسط حالة وألطف عبارة، جاعلين منها معيارهم النقدي الخاص.

أمّا إذا حاولنا قراءة الأدب اللبناني بالإنجليزية، كظاهرة فريدة في تاريخ الآداب العالمية، فهذا

الأدب قد بدأ يتكوّن في مرحلة مبكرة من القرن العشرين، وتزامن ذلك مع إطلاق (جورج برنارد

شو **George Bernard Shaw**) سنة 1905م لمسرحيته (الإنسان والسيورمان **Man**

and Superman)، التي نادى فيها بقوة الحياة التي ستقابلها لاحقا قوة الموت كنهاية لهذا

العصر.¹

¹ - سهيل بديع بشروني، الأدب اللبناني بالإنجليزية ورسالة القرن العشرين (كتاب خالد لأمين الريحاني مثلا). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2000م، ص 17.

الحياة المهجرية:

اضطرَّ أدباء المهجر إلى العمل في أي مهنة لتوفير ضروريات الحياة،¹ لكن ذلك لم يمنعهم من الإبداع وتحقيق نجاحات وتأسيس النوادي والجماعات الأدبية المختلفة وإصدار الصحف والمجلات الناطقة بالعربية، والتي بلغ عددها حتى سنة 1960م مائتين وإحدى وثمانين (281) دورية،² يعود تاريخ صدور أول صحيفة (كوكب أمريكا) لصاحبها إبراهيم ونجيب عربي إلى سنة 1892م.³

إنجازات الحركة الأدبية المهجرية:

يبدو أن أدبنا الحديث لم يكن أدب مراحل، بل أدب موجات متداخلة؛ الموجة الأولى كانت سورية، بعثت الحياة في الأدب عن طريق تلقيحها الأسلوب القديم ببعض الفكر الغربي، ولعل الرمز الأكمل هو تعريب (سليمان البستاني) للإلياذة سنة 1904م، والموجة الثانية أمريكية انطلقت من المهجر، وولدت المدرسة الرومانتيكية العربية، ممثلة في رموز الأدب المهجري المعروفين؛ أمين الريحاني وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وأبي ماضي.⁴

¹ - توفيق فضل الله ضعون، ذكرى الهجرة، ط01، سان باولو، دت. ص 25.

² - نبيل خليل - أسباب المتغيرات التي طرأت على أدب المهجر في أمريكا. تاريخ الاطلاع: 2017/11/16م.
www.nabilkhalil.org

³ - محمد علي حرفوش، كُتَّاب عرب باللغة الإنكليزية، طرطوس، 2012 م، ص ص 11 - 12.

⁴ - المرجع نفسه، ص 12.

فيما حَقَّق الصراع بين التيار المحافظ المتعلق بالقديم في مواجهة التيار التطويري التقدُّمي، نوعاً من التوازن في غمرة النهضة الشرقية التي أخذت تتطَّلَع ناحية الغرب، وتستعير من مدارسه الأدبية السلاح القوي والصالح لمقاومة القديم.

وساعدت حركة الإبداع العربية في تحرير نفسها من التقاليد البديعية والأصول التقليدية، وفتحت الطريق أمام التجديد الأدبي ولا سيما الشعري، مهيئة الذوق العربي لتقبُّل ما انتشر في أدب ما بين الحربين العالميتين.

وبدأت طليعة الحركة الأدبية العربية الجديدة، وإرهاصات الحداثة العربية بمعناها النقدي، تلوح في كتابات المهجريين، ولا سيما الرابطة القلمية وأشباعها وأتباعها ومريديها في العالم العربي، ومن كان طامحاً من كتَّاب المهاجر وشعرائه إلى التحديث.

ولعل لبنان، مقيماً ومغترباً، كان أسرع استجابة إلى دواعي التحديث من أي بلد عربي، بما في ذلك مصر حيث حركة (محمد عبده) التنويرية، فكان أشد تقبُّلاً وانفتاحاً للمؤثرات الغربية.

الخصائص الفنية للأدب المهجري:

ينقسم موقف النقاد العرب من أدب المهجر إلى قسمين؛

أحدهما يرى أنه أدب غربي مستورد، تغلب عليه الخطابية والمباشرة والشعاراتية، وأسلوبه

مخلَّع غير رصين.

ويرى الآخرون فيه أدباً عربياً جديداً يجيش بعواطف إنسانية في ظل الزمن المعيش الممزَّق.

وعلى كل، يمكننا إجمال خصائصه الفنية فيما يلي:

- عبّر بصراحة وإخلاص عن كاتبه وصوت عصره، وسعى للتخلص التام من الحمولة الزائفة وغير الصادقة.
- تبنى تيارا شعريا اجتماعيا تجاوز القصيدة التقليدية وأوزانها وصورها وإعاراتها، وقضى على المنبرية الشعرية؛ فأدخل الشاعر إلى صلب القصيدة، التي أصبحت الناطقة به والشاهدة له، بعد أن كان شاهدا لها وللأشياء من الخارج،¹ لتغدوا والشاعر موضوع الشعر وساكنه قصيدة واحدة موزعة على عدد من العناوين.
- وهكذا كان لهم أن يحققوا لا وحدة القصيدة فقط، بل أيضا وحدة الديوان، ومن هنا أيضا كان الحديث عن العالم الشعري للشاعر، لا عن قصيدة له أو أخرى تتعلق بهذه أو تلك من تجارب الحياة.
- ليتحول الشعر إلى عمل تجسدي هُمه من الشيء أن يكونه، لا أن يبقى كلاما عنه.
- اهتمامه بالقضايا الوطنية والقومية.
- غلبت عليه روح الرومانسية، وطابع الشوق والرقّة والحنين الذي يعبر عموما عن حالتين نفسيّتين مختلفتين ومتقاطعتين أحيانا:

¹ - نعيم نعيمة - الأدب المهجري تأثره بالغرب وتأثيره فيه. تاريخ الاطلاع: 2006/5/27م.

الأولى؛ هي حالة اكتئاب، تمثل فيها العودة إلى الوضع السابق أولوية قصوى، سواء تعلق هذا الوضع ببلد أو بجماعة بشرية، وتتخذ صورة مآثم غير مكتمل، لأنه يستحيل التخلي عن الفقيد والقبول بأي بديل.

الثانية؛ وهي الأكثر شيوعا، وتكون وسيلة للمحافظة على العلاقة بالأشياء، من أجل ضمان استمرار الذات وحمايتها من التفكك والضياع.

- كانت نصوصا استشراافية في جوهرها، تميل إلى التأمل والصفوية والتسامح الديني.
- ولم تكن رسولية الأدب المهجري حكرا على الرابطة القلمية وحدها، بل كان لكل شاعر وأديب وكاتب مهجري إسهامه في الحركة الأدبية العربية كلٌّ من ناحية وطريق.
- تعاطى مع فلسفة الوجود والعدم والحياة والموت، فجاء أدبا وجدانيا غنائيا، حيث الكثير من المطوّلات التي تقترب في بعضها من الملاحم الشعرية، مثل ملحمة (المواكب) لجران وغيرها.
- تلوّن بمزاجين متباينين؛ مزاج متمرد على المذاهب الدينية والتقاليد التي تكبل الإنسان وتولّد الحزازات، وآخر مطواع يجب الاستمتاع بالطبيعة والجمال.

أزمة الانشطار الروحي عند أدباء المهجر:

فتح ذلك الجيل عينيه على عالم مجنون، وحمله هذا العبث على العودة إلى ذاته والتفكير في حاله ومصيره، فأدرك أنه وحده مسئول عن نفسه.. ولا مسئولية دون حرية، فجعلها شغله الشاغل، وصار ينظر إلى علاقة الفرد بمحيطه لا إلى المجتمع، متأملاً في عبث الإنسان، حيث الأنا والآخر وجهان للإنسان الواحد الحامل إرث آلاف السنين من التناقضات،¹ وبدأ اهتمامه بكشف مطاوي الذات العميقة المترعة بالقلق:

إلى هذا كانت الصدمة الثقافية التي تعرّضوا لها خلال بحثهم عن موقعهم في أرض غريبة تختلف عن أرضهم فيما أنتجه التاريخ والجغرافيا،² فبدأ الألم الشخصي:

يَا رَحْمَتًا لِلْغَرِيبِ فِي الْبَلَدِ النَّازِحِ مَاذَا بِنَفْسِهِ صَنَعَا
فَارَقَ أَحْبَابَهُ فَمَا انْتَفَعُوا بِالْعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ وَمَا انْتَفَعَا³

لهذا كانت ردة فعله الأولى دائماً هي الندم على الهجرة:

وَطَنِي أَيْنَ أَنَا أَوْ مَا لِلْحَظِّ بَعْدَ الْجَذْرِ مَدُّ؟

1- بنان محمود أبو عيد، جبران خليل جبران أديب المهجر الأكبر. عمان: دار الاسراء والوضاح، 2005م، ص 8.

2- لطيف زيتوني، أدباء المهجر وأزمة الانشطار الروحي. كتاب العربي. (كتاب ربيع سنوي يصدر كملحق لمجلة العربي)، الكويت: وزارة الإعلام، أبريل 2005م، الباب الثالث، ع 60.

3- علي بن الجهم، ديوان علي بن الجهم، تحقيق: خليل مردم بك، دمشق: مطبوعات المجمع العلمي العربي، 1949م، ص 154.

وينظر: أبو الفرج الأصبهاني، أدب الغرباء. بيروت: دار الكتاب الجديد، 1972م، ص 60.

مَا رَسَتْ حَيْثُ رَسَتْ فَلَكُ النَّوَى لَوْ أَبَا حَوَالِي فِي الدَّفَةِ يَدُ¹

وبعد الندم تبدأ الشكوى من وحشة الهجرة وصدمة الواقع الجديد القاسية والمؤلمة:

نَاءٍ عَنِ الْأَوْطَانِ يَفْصِلُنِي عَمَّنْ أَحَبُّ الْبُرِّ وَالْبَحْرِ

فِي وَحْشَةٍ لَا شَيْءَ يُؤْنِسُهَا إِلَّا أَنَا وَالْعُودُ وَالشِّعْرُ²

ولكنه يتحمّل عذاب الهجرة، لأنه أهون عليه من ذل العودة الخائبة، فنجد لسان حاله

يقول:

أُحِبُّ بِلَادِي وَإِنْ لَمْ أَمِّمْ قَرِيرَ الْجُفُونِ بِأَحْضَانِهَا

فَكَمْ أَنْتَ النَّفْسُ مِنْ يَأْسِهَا وَنَاءَتْ بِأَثْقَالِ أَشْحَانِهَا

تَوَدُّ الرُّجُوعَ إِلَى عُشِّهَا وَلَيْسَ الرُّجُوعُ بِإِمْكَانِهَا³

وهو أيضا لا يستطيع أن يعود إذا سارت الأعمال وكثرت الارتباطات، وهذا (جبران خليل

جبران) يكتب إلى (مي زيادة) يقول:

"إِنَّ شَوْقِي إِلَى وَطَنِي يَكَادُ يَذِينِي، وَلَوْلَا هَذَا الْقَفْصُ الَّذِي حَبَّكَتْ قَضْبَانَهُ بِيَدِي، لَاعْتَلَيْتْ

¹ - جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية. بيروت: دار العلم للملايين، 1964م، ط 3، ص 37.

² - رشيد سليم الخوري، ديوان القروي، بيروت: دار الحرية للطباعة والنشر، 1973م، ص 234.

³ - نسيب عريضة: ديوان الأرواح الحائرة. عمان: دار الغزوة، 1992م، ص 142.

متن أول سفينة سائرة شرقا. ولكن أيُّ رجل يستطيع أن يترك بناء صَرَفِ عمره ينحت حجارتَه،
حتى وإن كان ذاك البناء سحنا له، فهو لا يقدر أو لا يريد أن يتخلَّص منه في يوم واحد.¹
وإنَّ بدا الأمل في العودة أحيانا كالسراب، فسرعان ما تحوَّل عند بعضهم إلى رفض للبلد

الجديد، كرد على تجاهل البلد المضيف له:

عَرَسْتُ بِلُبْنَانَ وَرَدَّ الأَمَلِ
فَقُلْ لِلْبَرَاذِلِ أَنْ تَمَّخَلَا
وَجُدْتُ عَلَيْهِ بِدَمْعِ المَقْلِ
فَقُلْ لِلأَمَارُونَ أَنْ يَبْخَلَا
وَحَلَيْتُ قَلْبِي بِبَيْعِ العَسَلِ
فَقُلْ لِلْيَالِي: أَمْطِرِي حَنْظَلَا²

أو محاولة لقطع ما نبت لهم في الأرض الغريبة تعجيلا للعودة المأمولة:

أَعِدْنِي إِلَى الأَرْضِ يَا خَالِقِي
فَلَيْسَتْ بِأَرْضِ هَذِي البِلَادُ³

كما حرمتهم الهجرة من لغتهم التي كانت تربط لسانهم وسمعهم بالناس:

وَلِي أَعَاجِمُ يَرْتُطُونَ فَمَا
لِلضَّادِ عِنْدَ لِسَانِهِمْ قَدْرُ
نَاسٍ وَلَكِنْ لَا أَنِيسَ بِهِمْ
وَمَدِينَةٌ وَلَكِنَّهَا قَفْرُ⁴

¹ - جميل جبر، مي وجبران. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، 1950م، ص 46.

² - رشيد سليم الخوري، ديوان الأعاصير، بيروت: دار الآداب، 1962م، ص 33.

³ - عقل الجر، ديوان عقل الجر. بيروت: دار الثقافة. دت. ص 53.

⁴ - رشيد سليم الخوري، ديوان القروي، ص 234.

ثم حرمتهم الراحة، لأن الباحث عن الرزق خلف البحار يسابق الزمن ليفوز ويعود إلى حيث يستعيد لسانه ويحقق وجوده، فساد لديهم الشعور بالانسلاخ، لكن انسلاخهم كان انفصال جسد عن جسد لا روح عن روح، يقول (إيليا أبو ماضي):

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنِّي مَنْ أَنَا أَنَا كَالشَّمْسِ إِلَى الشَّرْقِ انْتِسَابِ
لُعَةُ الْفُؤَادِ هَاضَتْ لُعَتِي لَا يَعْيشُ الشَّدْوُ فِي بَحْرِ اصْطِحَابِ
لَسْتُ أَشْكُو إِنْ شَكَا غَيْرِي النَّوَى غُرْبَةُ الْأَجْسَامِ لَيْسَتْ بِاغْتِرَابِ
أَنَا فِي نِيُورُوكَ بِالْجِسْمِ وَبِالرُّوحِ فِي الشَّرْقِ عَلَى تِلْكَ الْهَضَابِ¹

ثم حرمتهم من يقينهم في قيمهم الثقافية وتسليمهم بها، فعاشوا زمنا في الشك والرفض، إلى أن بدا لهم وجه الحقيقة الواحد في كل الرسائل.

ولا شك أن الصدمة الثقافية تختلف بحسب السن والجنس والمعتقدات والطبقة الاجتماعية، وأيضا حسب شخصية المهاجر وسبب هجرته ومقدرته العقلية واستعداده النفسي للتكيف، وحسب درجة معرفته بلغة البلد المضيف وتقاليد وقيمه.

ولو عدنا إلى سير أدباء المهجر، لوجدنا أن معظمهم قد هاجر في نهاية مرحلة الطفولة؛ فغادر (أمين الريحاني) لبنان في الثانية عشرة من عمره، وكذلك (جبران خليل جبران)، وغادر (ميخائيل نعيمة) في الثالثة عشرة... ما يعني أنهم تركوا بيوتهم حين كان زادهم من خبرة الحياة يكاد يكون

¹ - إيليا أبو ماضي، ديوان إيليا أبي ماضي. بيروت: دار العودة، د ت، ص 155.

معدوما، وثقافتهم لا تزال في بداية تكوُّنها، وشعورهم بحويتهم القومية لم يتعدَّ حدود القرية التي وُلدوا فيها، وتحصيلهم الدراسي قليل.

فكيف وصلوا إلى هذه المكانة في دنيا الأدب؟ وإلى هذا الإبداع الفني والفكري؟ وإلى مثل هذا الوعي القومي؟

أيُّ تجارب مرَّت بما قلوبهم الفتية، وأيُّ وحي زَيْن لهم الخيارات الراقية، وأيُّ شعور أسعفهم للمحافظة على انتمائهم وكَرَس أقالمهم لخدمة لغتهم وقومهم؟

يرى الفيلسوف الألماني (إيمانويل كانت Emmanuel Kant)، أن الوطن الذي يتَّجه إليه الحنين، ليس سوى رمز مكاني للطفولة لما كان ولم يعد كائنا؛ فما نحن إليه ليس الغائب الذي يقابل الموجود، بل الماضي الذي يقابل الحاضر، حيث تكون ذاتنا الماضية نائمة فتستيقظ وتتحرَّك وتنادي.¹ وإذ بكل شيء يذكِّرهم بالوطن؛² فإذا طلع البدر من وراء التلال أو هبَّت الرياح من الشرق، هتفوا مع (نسيب عريضة) نشيد المهاجر:

تَدَقَّقِي يَا رِيَّاحَ الشَّرْقِ هَائِجَةً فَأَنْتِ لَا شَكَّ مِنْ أَهْلِي وَإِخْوَانِي
قَدْ كُنْتُ أَشْتَأُقُهُمْ وَالْعَيْنُ تَنْظُرُهُمْ وَأَعْظَمُ شَوْقِي عَلَى بُعْدِ وَهْجَرَانِي³

¹ - Emmanuel Kant, l'Anthropologie du point de vue pragmatique, Librairie Ladrangue, Paris, 1863, p.74.

² - عيسى الناعوري، أدب المهجر، القاهرة: دار المعارف، 1959م، ص ص 78.

³ - نسيب عريضة، ديوان الأرواح الحائرة، ص ص 65 - 66.

وإن تساقط الثلج وغطى القمم، أنشدوا مع (رشيد أيوب):

يَا تَلُجُ قَدْ هَيَّجْتَ أَشْجَانِي دَكَّرْتَنِي أَهْلِي بِلَبْنَانِ

بِاللَّهِ قُلْ لِإِخْوَانِي مَا زَالَ يَزْعَى حُرْمَةَ الْعَهْدِ¹

ويقارن (رشيد سليم الخوري) بين نسيم المحيط في مهجره ونسيم البحر في وطنه:

يَا نَسِيمَ الْمِحِيطِ مَا هَكَذَا فِي سَاحِلِ الْبَحْرِ عِنْدَنَا الْأَنْسَامِ

أَنْتَ إِنْ زُرْتِ فِي الْمَنَامِ صَحِيحًا عَلَّغْتَ فِي عِظَامِهِ الْأَسْقَامِ

مُشَبَّعٌ بِالْبُخَارِ رُوحٌ ثَقِيلٌ بَارِدٌ تَسْتَعِيدُ مِنْهُ الْمَسَامِ

لَسْتَ ذَاكَ الَّذِي عَهَدْتُ يُفُوحُ الشَّيْخُ إِنْ جَرَّ ذَيْلُهُ وَالْثَمَامِ

ذَاكَ أَزْكَى سَمًّا وَالْأَطْفُ ضَمًّا ذَاكَ تَشْفَى بِلَمْسِهِ الْأَجْسَامِ²

ولم يكن النفور لموقف إيديولوجي دائما، وإنما أيضا لغلبة المظهر المادي الذي لم يتعوّده المهاجر في بلاده؛ فلم تلائم المصانع الكبيرة والجسور الضخمة والوضوء مألوف أبناء القرى، ولم تكن لتلائم من يبحث عن العزلة والتأمل؛ لذلك كان نفور (أمين الريحاني) من نيويورك كنفوره من كل مدينة كبيرة، حتى أن كتاب رحلاته لأكثر من ثلاثين سنة (قلب لبنان) قد خلا من أي وصف لبيروت رغم مروره بها، واختار (ميخائيل نعيمة) لمدينة نيويورك في (زاد المعاد) لقب (مدينة الآلات والأزمات)،³ ولم يستعر

¹ - رشيد أيوب، ديوان أغاني الدرويش، بيروت: دار صادر، 1959م، ص 128.

² - رشيد سليم الخوري، ديوان القروي، ص 381.

³ - ميخائيل نعيمة، زاد المعاد، المجموعة الكاملة، بيروت، دار العلم للملايين، ط 1، مج 6، 1972م، ص 142.

(جبران خليل جبران) في كل ما كتب؛ من (دمعة وابتسامة) إلى (الأجنحة المتكسرة) إلى (النبي) و (يسوع ابن الإنسان) و(آلهة الأرض)، لا صورة ولا موضوعا من مهجره، وكأن أذنيه مسدودتان لا تسمعان ضجيج الدواليب وزئير صواريخ المعامل والبواخر، ولم يتعدَّ في أروع ما كتب باللغة الإنجليزية حدود محيطه الشرقي، فيذكر البيدر والكروم ونواح المعصرة، وكأن جرن المعصرة كان سريره، والضباب أقمطته، والبيدر ملعب صبوته.¹

لكنَّ موقفهم الانفعالي الراض للبلد المضيف، سرعان ما تحوَّل إلى خطاب يفتح الباب أمام

علاقة إيجابية عادلة:

نُبُوؤُورُكُ! يَا بِنْتَ الْبُحَارِ بِنَا أَقْصِدي فَلَعَلَّنَا بِالْعَرَبِ نُنْسَى الشَّرْقَ²

وساعدهم تكيُّفهم اللغوي والاجتماعي -بمحدوديته- على رؤية إيجابيات المجتمع الجديد، وسمحت لهم المقارنة على رؤية نقائص في مجتمعهم الأصلي، فآلمهم ذلك، وصاروا يشعرون كل نقص فيه نقصا فيهم، فكان أول ما فرضته الغيرة الوطنية، السعي إلى إصلاح المجتمع، وغريلة الثقافة السائدة فيه بغريال الزمن؛ فنظروا إلى تقاليدهم في ضوء العصر، وإلى أدبهم عبر ما بلَّغته الآداب العالمية، وإلى مستقبل العرب انطلاقا من المصلحة القومية، فترفخوا عن الألم الشخصي إلى الألم

1- سهيل بشروئي، جبران خليل جبران - مختارات ودراسات (مهرجان جبران العالمي من 23 إلى 30 ماي 1970م)، بيروت: دار المشرق، 1970م، ص 105.

2- إيليا أبو ماضي: ديوان إيليا أبي ماضي، بيروت: دار العودة، د، ص 68.

القومي، لتحوّل غربتهم إلى غربة شاملة، تتلمس العزاء على طريقة: "وداويني بالتي كانت هي الداء"¹:

رَأَيْتُ السَّيْفَ يَصْدَأُ فِي الْقِرَابِ دَرِينِي أَضْطَرِبُ فِي الْأَرْضِ فِإِنِّي
فَكُلُّ النَّاسِ عِنْدِي فِي اغْتِرَابٍ² وَمَا أَنَا بِالْعَرِيبِ الدَّارِ وَحْدِي

ولم يكن نقدهم من موحيات العالم الجديد دائما، ولا العلاج الذي قدّموه مصنوعا من أعشاب غريبة؛ وهذا أمين الريحاني مثلا يعيب على الشعراء في كتابه (أنتم الشعراء)، إسرافهم في النحيب، ويصف لهم شعر (أبي العلاء المعري) علاجاً:

"أريد من شعراء القرن العشرين أن يتمثلوا في هذه الأيام بشاعر القرن الحادي عشر، شاعرنا الأكبر المعري. فهذا الشاعر الفيلسوف المتألم، الذي عرف الحياة جاهمة سوداء قبيحة ظالمة، لا يعبس دائما ولا يتجهم، وله في مزاجه شتى المزاي الطيبة؛ فيجيد ماجنا، كما يجيد ناقما أو واصفا أو متأملا مفكرا."³

1- الحسن بن هانئ الحكمي الدمشقي (أبو نواس)، ديوان أبي نواس. تحقيق: عمر فاروق الطباع، دبي: دار الأرقم للنشر والتوزيع، 1998م، ص 540.
2- إيليا أبو ماضي: ديوان إيليا أبي ماضي، ص 68.
3- أمين الريحاني، أنتم الشعراء، بيروت: مكتبة الكشاف، دت، ص 46.

كما حارب في كتابه العصبية التي كانت سببا في خسارة العرب لسيادتهم على أراضيهم وعلى البلاد التي افتتحوها، وكانت وراء تفرق شملهم وفشل كل محاولة للوحدة:

"إن الأديان كالبائل، تولد تلك الروح المحدودة التي لا ترى في غير شئونها وفي غير عاداتها وتقاليدها وفي غير دائرتها الضيقة الصغيرة ما يستحق غير الإزدراء والكره والذم والاضطهاد."¹

ويحث العرب على النهوض، ونبد التخاذل والضعف، والتسلح بالقوة لأنها وحدها السبيل إلى حماية الأرض والكرامة الوطنية:

أَنَا الشَّرْقُ، عِنْدِي فَلَاسَفَاتٌ وَعِنْدِي دِيَانَاتٌ فَمَنْ يَبْعِي بِهَا طَيَّارَاتٌ؟!²

وحمل (ميخائيل نعيمة) في (الغريال)، على الأزياء اللغوية والبهرجة العروضية والوصف السطحي الذي لا يحرك فكرا في رأس ولا يرسم صورة في مخيلة ولا يهيج عاطفة في قلب.³

وحارب في أقصوصته (الذخيرة) من مجموعة (كان ما كان)، سيطرة الخرافة على الكثير من أبناء العامة، بسبب غياب التفكير العقلاني.

وحارب في (العاقر) من نفس المجموعة قهر الأنثى العاقر، ودعا في كتابه (دروب) إلى عدم التمسك بالألقاب والتباهي بها.

1- أمين الريحاني، الريحانيات. بيروت: دار ریحاني، 1956م، ط 3، جزء 1، ص 237.

2- أمين الريحاني، ديوان هتاف الأودية، بيروت: دار ریحاني، 1955م، ص 84.

3- ميخائيل نعيمة: الغريال، بيروت: دار صادر، 1960م، ص 149.

ويقف عند سلوك المتعصّب في (البيادر):

"ومن كان دينه من فمه دون قلبه، كان قيّما على ربّه لا ربّه قيّما عليه؛ فكأنه يقول لله:

لقد آمنت بك يا الله وبعلمك وعدلك وقدرتك، لكنني أعرف منك بسياسة عبادك، وسأجعل كل الناس يعرفونك مثلما عرفتك، ويعبدونك مثلما أعبدك، ومن شدّ منهم قتلته، إن لم يكن بساعدي فيبغضي وانتقامي. ولكنني أعدل منك! وعدلي في أن أرحم من جاراني في عبادتك، وأقتصم ممن عاندي وناوأني.¹"

ويندّد (جبران خليل جبران) في (عرائس المروج) و (الأرواح المتمردّة) و (الأجنحة المتكسّرة)، بتقاليد الزواج القائمة على اختيار الأهل لا على رباط الحب، وينبّه في قصيدة (المواكب) إلى رياء المتديّبين الذين يتاجرون بالدين، ومادية رجاله وإيمانهم المبني على المقايضة، وتغذية العصبية، وتعميق الهوة بين الطوائف والأديان:

وَالدِّينُ فِي النَّاسِ حَقْلٌ لَيْسَ يَزْرَعُهُ غَيْرَ الآلِي لَهُمْ فِي زَرْعِهِ وَطَرُّ
مِنْ آمِلٍ بِنَعِيمِ الحُلْدِ مُبْتَشِرٌ وَمِنْ جَهُولٍ يَخَافُ النَّارَ تَسْتَعِرُّ
فَالْقَوْمُ لَوْلَا عِقَابُ البَعْثِ مَا عَبَدُوا رَبًّا وَلَوْلَا الثَّوَابُ المَرْجَى كَفَرُوا
كَأَمَّا الدِّينُ ضَرَبَ مِنْ مَتَاجِرِهِمْ إِنَّ وَاضِبُوا رِبْحُوا أَوْ أَهْمَلُوا خَسِرُوا²

1- ميخائيل نعيمة، البيادر، المجموعة الكاملة، مجلد 4، ص 558.

2- جبران خليل جبران، المواكب، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران العربية، تقديم د. جميل جبر، بيروت: دار الجيل، 1994م، ص 255.

كما حذر من استغلال الأتراك للدين، بتصويرهم الإسلام على أنه قومية بينما هو في الحقيقة عقيدة، وذلك لبسط سيطرتهم، فيتوجّه إلى المؤيدين للاحتلال:

"إنها اليد التي هدمت مباني أمجادكم، بل هي الموت الذي يراود وجودكم، أولم تنته المدنية الإسلامية ببدء الفتوحات العثمانية؟ أولم يتقهقر أمراء العرب بظهور سلاطين المغول؟ (...). إن لم يتغلب الإسلام على الدولة العثمانية، فسوف تتغلب أمم الإفرنج على الإسلام، إن لم يقم فيكم من ينصر الإسلام على عدوّه الداخلي، فلا ينقضي هذا الجيل إلا والشرق في قبضة ذوي الوجوه البائخة والعيون الزرقاء."¹

وبدت له العيوب السابقة خطيرة، وأخطر ما فيها أنّها تأصّلت في جسم الأمة، فاعتادت عليها وأصبح العلاج صعبا، ويشبّهها بالسوس الذي يصيب الأسنان، فينخرها ويجعل الحل في اقتلاعها، والأمة المعتلة الأضراس تكون معدتها ضعيفة، وكم أمة ذهبت شهيدة عسر الهضم.²

لتهدأ مع الزمن حماسة الشباب التي رافقت دعوتهم إلى الإصلاح، واكتسبت وقار الشيوخ، وتراجعت الثورة كطريق للتغيير، وحلّ محلّها الترقّي العقلي، وتخطّوا ألمهم القومي إلى الألم الإنساني..

1- نبيل كرامة، جبران والقومية العربية. مجلة الفنون، ع 8، بيروت: 1913م، ص ص 31 - 33.

2- جبران خليل جبران، العواصف، القاهرة: دار العربي للبستاني، 1997م، ص 39.

وقد سبق تلك المرحلة ميل واضح إلى العزلة والتأمل؛ حيث إن الانخراط يحصرهم في دائرة واقع واحد، ويحدُّ خيالهم فيمنعه من اكتشاف مفاتيح معاني المعتقدات:

"إنَّ شمس الحكمة لتحتجب غالباً عند هبوب الزوابع والأعاصير، فمن الأنفس المنفردة الهادئة السامية ينبثق نور الحقيقة والحكمة والحب."¹

وحين طلبوا العزلة لم يبحثوا عنها في مهجرهم، وإنما آثروا العودة إلى بلادهم:

"أوقفت عملي وخرجت .. لأرى أين أنا من نفسي ومن الله .. تألمت كثيراً لما رأيتني في الغربة بين شعب لا يعرف معنى السكينة ولا الراحة ولا الجمال.. فخرجت من بينهم وأنا على اعتقاد أن المرء إذا قرب من العالم الجديد يبعد عن الطبيعة وعن الشعر وعن الجمال الروحي وعن الله .. عُدت إلى مسقط رأسي باحثاً عمّا أضاعته هناك أيام الصبا.. طالبا فيه راحة العقل وراحة النفس وراحة الجسد، بل طالبا فيه شيئا أشرف من كل ذلك وأسمى، طالبا فيه الطبيعة."²

لكنَّ حُلْم (جبران خليل جبران) بالعودة إلى بلده والعزلة في (دير مار سركيس) لم يتحقق في

حياته، فبقي في نيويورك، وكبرت الوحشة في نفسه:

"أنا غريب في هذا العالم، وفي الغربة وحشة موجعة تجعلني أفكر أبداً بوطن سحري لا أعرفه،

وتملأ أحلامي أشباح أرض قصبة ما رأتها عيناى."³

1- أمين الريحاني، بذور الزارعين، الريحانيات، ج 1، ص 127.

2- المرجع نفسه، ص 119.

3- جبران خليل جبران، العواصف، ص 487.

ولكنَّ هذا الوطن السحري، المحجوب عن البصر والمنكشف لبصيرة المتأمل، لم يكن واحدا عند المهجريين، أو هو واحد ولكن كلُّ أبصر الجانب الذي يبحث عنه، وتوجَّه به إلى الإنسانية جمعاء؛ فرسم (الريحاني) جمهوريته الفاضلة في كتابه (خالد)، وقَدَّم (جبران) و (نعيمة) تصوُّرهما في كتابيهما (النبي) و (مرداد) على التوالي. أمَّا الإنسان، فتلَوَّن بلون غذاءه، وغذاءه كان من عطاء أرض المؤلف، وثمار الفكر البشري، وعصارة التأمل.

وقد أثمرت نفوسهم وحن القطاف؛ فالعزلة كانت فترة الحمل التي سبقت الولادة، وها هو الموعد قد اقترب، وهذا الألم الإنساني هو ألم المخاض:

"نفسى مُثْقَلَةٌ بأثمارها فهل من جائع يجني ويأكل ويشبع؟ أليس بين الناس من صائم رءوف يفطر على نتاجي ويريجني من أعباء خصبي وغزاري؟ ألا ليتني كنت شجرة لا تزهر، ولا تثمر، فألم الخصب أمرٌ من ألم العقم، وأوجاع ميسور لا يؤخذ منه أشدُّ هولاً من قنوط فقير لا يُرزق."¹

¹ - جبران خليل جبران، البدائع والطرائف، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران العربية، تقدم د. جميل جبر، ص ص 299 - 300.

الفصل الأول

كتاب خالد لأمين الريحاني

نبذة عن حياة أمين الريحاني

مؤلفاته

أدبه ومواقفه

1- الثائر والمصلح الإنساني

2- أمين الريحاني الناقد

3- عقيدة الريحاني

تاريخ نشر كتاب خالد

أحداث الرواية

عنوان الكتاب

أفكار الرواية وإطارها العام

صدى كتاب خالد في عالمنا اليوم

قراءة فنية لكتاب خالد

نبذة عن حياة أمين الريحاني:

وُلد أمين فارس أنطوان يوسف بن المطران باسيل البجاني، في الرابع والعشرين من أكتوبر سنة 1876م، ببلدة (الفريكة) من قرى منطقة المتن الشمالي في جبل لبنان، لأسرة مارونية تتكوّن من ستة أولاد، ويحكى أن منزل العائلة كان محاطا بشجر الريحان ومن هذه عرف بيت الريحاني.

قرأ (أمين الريحاني) كراسة الأبجدية والمزمور الأول من مزامير داوود على يد (الشدياق متي) وكانت تلك أولى دروسه، ثم انتقل إلى مدرسة (نعوم مكرزل) حيث تلقّن مبادئ الفرنسية إلى جانب الحساب والجغرافيا، وكان يتميّز بذكائه وتفوّقه، ولما بلغ الثانية عشر أرسله والده مع عمه إلى أمريكا ليتعلم مبادئ اللغة الإنجليزية وكان ذلك سنة 1888م، وما لبث أن برز ميله إلى المطالعة والقراءة، فانكبَّ على المطالعة وأطّلع على أعمال شكسبير وكارليل وسبنسر وهاكسلي وفولتير وهيجو وآخرين من المعاصرين والقدامى، ثم التحق بفرقة (هنري جويث) المسرحية بنيويورك، وكان آنذاك في العشرين من عمره، وهناك قام بأدوار شكسبيرية رئيسية مثل هاملت وماكبث وأدوارا أخرى...

ترك معهد الحقوق سنة 1898م، وعاد إلى لبنان في نفس السنة، فدرّس الإنجليزية كما كان يتعلّم اللغة العربية، وبدأ في كتابة المقالات في جريدة (الإصلاح) التي اتّخذها منبرا للهجوم على الدولة العثمانية.

رجع بعدها سنة 1899م إلى أمريكا، أين اشتغل بالتجارة والأدب، وبدأ في إصدار الكتب،

فكان أولها (موجز الثورة الفرنسية) سنة 1902م، ثم قفل عائدا مرة ثانية سنة 1904م إلى لبنان

مرورا بمصر، حيث زار الخديوي (عباس حلمي) وآنَّصل بأبرز الأدباء والزعماء السياسيين وباحثهم في أحوال المشرق العربي الاجتماعية والسياسية والفكرية ووسائل النهوض به، وفي لبنان تابع نشاطه الفكري والاجتماعي العاصف والمتعدّد الأوجه، وأصبحت صومعته في قريته (الفريكة) ملتقى عشرات الأدباء من أمثال محمد كرد علي وبيرو باولي والشيخ مصطفى الغلاييني... وغيرهم، وكان ينتقل من مدينة إلى أخرى يُلقى الخطب داعيا إلى الحرية ومهاجما الإقطاع والخنوع والجهل، وكتب سنة 1909م مسرحية (وجدة)، تناول فيها مسألة الإيمان والشك في صدر الإسلام، والفتن الكبرى التي رافقت تويّي (علي بن أبي طالب) الخلافة ونقل مقرها إلى الكوفة في العراق.

رجع سنة 1911م إلى نيويورك، لطبع كتابه (كتاب خالد)، ومنذ ذلك الحين أصبح ينتقل بين نيويورك وبلدته الفريكة، كما سافر إلى أوروبا عدّة مرات، فكان كتابه (نور الأنلس) سنة 1916م، والتقى بالكاتب والفيلسوف الإنجليزي (هربرت جورج ويلز H. G. Wells)، صاحب النظرية المستقبلية.¹

انطلق سنة 1922م في رحلته العربية الشهيرة، التي افتتحها بالحجاز، حيث قابل شريف مكة (الحسين بن علي)، ثم صنعاء حيث التقى إمامها (يحيى)، ثم نجد حيث اجتمع إلى سلطانها (عبد العزيز بن سعود)، ثم الكويت التي زار بها شيخها (أحمد الجابر آل الصباح)، ثم البحرين واجتمع فيها إلى شيخها (أحمد بن عيسى)، وأخيرا بغداد حيث قابل الملك (فيصل الأول)، وكان

1- المستقبلية، ككلمة شمولية تعني التوجّه نحو المستقبل، وبدء ثقافة جديدة، والانفصال عن الماضي.

نتاج هذه الرحلات وغيرها عدد كبير من كتب الرحلات والتاريخ: (ملوك العرب) سنة 1924م -
(تاريخ نجد الحديث) سنة 1927م - (قلب العراق) سنة 1935م - (المغرب الأقصى) 1939م -
(قلب لبنان) سنة 1939م.

تصدى (أمين الريحاني) للاستعمار الفرنسي لبلده لبنان، فنفي من لبنان إلى بغداد، ولم يعد
إلا بعد ضغط كبير من الجاليات العربية في المهاجر.

مُنح (أمين الريحاني) عدّة أوسمة، منها وسام المعارف الأول الإيراني، ووسام المعارف الأول
للمغرب الإسباني، ووسام الاستحقاق اللبناني الأول المذهب، وجرى اختياره سنة 1911م كعضو
مراسل للمجمع العربي بدمشق، واختاره معهد الدراسات العربية في المغرب الإسباني رئيس شرف
له، وكان عضواً في جمعية الشعراء الأمريكيين ومنتدى الصحافة النيويوركية ونادي المؤلفين الأمريكيين
والجمعية الشرقية الأمريكية، وكان في محاضراته بالولايات المتحدة الأمريكية بين سنوات 1927م و
1939م يحذّر من الخطر الصهيوني على الوطن العربي.

تعرّض في الثالث عشر من سبتمبر سنة 1940م، لحادث أدّى إلى وفاته، وذلك على إثر
سقوطه من دراجة هوائية اعتاد أن يستقلها قرب منزله في الفريكة.

ولا يزال النصب الذي أقيم له بالجامعة اللبنانية شاخصا اعترافا بفضله ومكانته الثقافية، كما

ترفع جامعة (سيراكيوز) بنيويورك تمثاله في حرمها الجامعي.¹

مؤلفاته:

ألمّ (أمين الريحاني) بالنقد والرحلة والفن والسياسة والتاريخ، وكتب في كل الأساليب الأدبية، فلم

يترك فنا من فنون الأدب؛ من المقالة إلى الرسالة إلى الخطابة إلى السيرة إلى الأقصوصة إلى القصة إلى

الرواية إلى المسرحية إلى أدب الرحلة إلى القصيدة، وترك أعمالا شعرية ونثرية باللغتين العربية والإنجليزية.

فنحن نقف أمام إرث ضخم، مع سبع مجلدات لأعماله الكاملة بالعربية، يقابلها عدد مماثل

لأعماله بالإنجليزية، وتعتبر (الريحانيّات)، حيث عبارته الشهيرة (قل كلمتك وامش)،² من حسنات

الآداب في ذلك الزمن، حملت اسمه الخاص، وأثنى عليها الكثير، وجعلته يبدأ كبيرا.

صدرت (الريحانيّات) على مدار ثلاثة عشر عاما، حيث ظهرت أولا سنة 1910م في أربعة أجزاء،

ضمت حينها مقالاته الأدبية والفلسفية والاجتماعية والوطنية، إلا أن (الريحاني) ترك بعد وفاته عشرات

المقالات غيرها، وجد شقيقه (ألبرت الريحاني) نفسه مسوقا بحكم التنظيم والتبويب إلى إصدارها في كتب

مختلفة باختلاف وحدة الموضوع والغرض، ووسمها بأسماء تُطابق معناها على النحو التالي: الريحانيّات

¹ - خليل أحمد خليل، موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين، ج 1، ط 1، 2001م، بيروت:

المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص ص 197 - 199.

² - أمين الريحاني، الريحانيّات - المجموعة العربية الكاملة، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مج 7،

ط 1، 1982م، مطلع الكتاب.

(جزءان) - القوميات (جزءان) - أدب وفن - وجوه شرقية وغربية - بذور للزارعين، كما قام بجمع رسائله ويؤبها.

وجسّدت روايته (زنبقة الغور) سنة 1915م، أبعادا اجتماعية جوهريّة في زمنها، كما ساهمت في خلع أدبنا الروائي رداء المقامات والسجع التقليدي، ومهّدت الطريق أمام بناء فني حديث للرواية العربية.

وكتب روايته (خارج الحرم) سنة 1917م باللغة الانجليزية، عرض فيها قصة الأميرة التركية الحسناء (چهان)، الفرنسية النشأة، التي عادت إلى تركيا عقب إعلان الدستور، فسعت إلى الحصول على حريتها والخروج من دائرة الحرم..

وثار في كتابه (تحدر البلشفية) سنة 1920م على التفاوت الحياتي، رافضا الخضوع لقيود العقائد.

أمّا (تاريخ نجد الحديث)، فكان مزيجا من التاريخ وأدب الرحلات، تحرّى فيه صاحبه الدقّة في ضبط أسماء البلدان والأعلام؛ فعرض لمملكة نجد، والوهابية، و(آل سعود) إلى حين استيلاء (محمد بن الرشيد) على نجد، وكان يقرن دراسته بجداول لأمرآء (آل سعود)، ومعلومات غزيرة عن الفتوحات الثلاث التي مرت بنجد، وعن بعض الأمرآء في الشطر الشرقي لشبه الجزيرة أو في قسم منه، حين كان (ابن سعود) منفيا في الكويت، ويكاد يكون هذا الكتاب السيرة الرسمية المعتمدة للملك (ابن سعود).¹

¹ - أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، بيروت: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، ط 1، 2000م.

ودفعه طموحه إلى نحو القوالب النمطية الجاهزة من ذهن الغرب عن العرب والمسلمين، إلى ترجمة مجموعة من كتب التراث العربي في تنوعه وغناه وعمقه إلى الإنجليزية، وإلى الكتابة بالإنجليزية عن البلاد العربية:

رباعيات أبي العلاء.

Quatrains of Abu L-Ala. New York: Doubleday Page and company, 1903.

الآس والمر.

Myrthle and Myrrh. Boston: Gorham Press, 1905.

كتاب خالد.

The Book of Khalid. New York: Dodd Mead and Co, 1911.

لزوميات أبي العلاء,

Luzumiat of Abu L-Ala. New York: James J. White and Co, 1918.

ترنيمة الصوفية وقصائد أخرى.

A Chant of Mystics and other Poems. New York: James J. White and Co, 1921.

تُهج الرؤية.

The Path of Vision. New York: James. J.White and Co, 1921.

ابن سعود من بلاد العرب، شعبه وأرضه.

Ibn Saoud of Arabia, His People and His Land. Boston:

Houghton Mifflin Co, 1928.

حول سواحل بلاد العرب.

Around the Coasts of Arabia, London: Constable and Co, Ltd,

1930.

القمم والصحارى العربية.

Arabian Peak and Desert. London: Constable and Co, Ltd,

1931.

أدبه ومواقفه:

في محيط لا يتغير، يمسى اللا انتماء أعلى أشكال الحياة التي عرفتها الحضارات بعد النبوة، واللا

منتمي الذي كانه (أمين الريحاني)، يُحيل إلى إنسان عنيد من حيث الجوهر، يعيش في مجتمع منحل،

فيكتب غير مضطر إلى إرضاء أحد غير نفسه ولو أنهم بالإلحاد، فمنذ أن قرر مغادرة الحافة وتسلق

الوهدة بحثا عن الحافة التي تليها، ترك الأمان خلفه عمدا وقبل بالمجازفة..

وبعض النظر عن دلالة الحادث وتأثيراته، فقد كان (أمين الريحاني) مجتهدا وصاحب رأي وحامل فكر أصاب أم أخطأ، تخطى الرومانسية إلى ما بعد الحداثة، وتحدى قراءه أن يعوا تماما ما تعد به الحداثة من فوائد، وأن يُدركوا في الوقت نفسه ما يحمله العصر الحديث من الأخطار والنوائب، وميّز في مقالته (وادي الفريكة) بين تجاذب حياة الفكر والروح والحياة الدنيوية:

"إن السَّيْرَ في الشوارع يذكر الإنسان بالإنسان، وأمَّا السَّيْرُ في الوادي أو الغاب فيذكر السَّائِرَ بالخالق العظيم؛ الأوَّل يدعو إلى العمل، والثاني إلى التفكير والتأمل؛ في الأول بعض اللذة التي يتبعها الإعياء والقنوط، وفي الثاني نوع من اللذة التي يتبعها النشاط والعزم وحسن المآل."¹

وشغلته أسئلة كبيرة، فأدان في مجموعته القصصية (سجل التوبة) سنة 1909م الانتداب التركي، واستشرف مستقبل العرب في الحرية والاستقلال وتحدي المعوقات التي تحول دون لحاقها بالعالم المتقدم، وأكد على حق الشعب المقدس في تقرير مصيره، وأن الأمة الصغيرة صاحبة الحق أعظم من الأمة الكبيرة وهي على باطل.

وسعى أكثر من مرة بالكتابة أو السفارة إلى الملوك والرؤساء العرب، لتشكيل ما أسماه حينها (الولايات العربية المتحدة)، من أجل حضور عربي محترم ولائق بأمة توازي - على الأقل حجما - الولايات المتحدة الأمريكية. ويدعو في محاضراته وندواته إلى ضرورة الحرية والديمقراطية والدولة العلمانية في الدول العربية، ولم يقارب واقعها المتأخر من زاوية سياسية اقتصادية مادية، وإنما إلى غياب مشروع

¹ - أمين الريحاني، الريحانيات، المجموعة العربية الكاملة، مج 7، ص 57.

تضوي جذري شامل يعي أسئلة زمنه وبيئته، لذلك استند إلى رؤية إنسانية تتجاوز أي تمييز عرقي أو ديني أو جنسي أو لغوي أو وطني... وتقيس عدلها بمقياس الكفاءة لا بمقاييس ظالمة بائدة، وحذر من مخاطر التحزب والطائفية واستغلال المشاعر الدينية لمكاسب شخصية، وحارب الشوفينية التي تعيق وجه التنمية والازدهار في العالم العربي. وأعاد قراءة التراث العربي بما ينسجم وروح العصر، فقدم (أبي العلاء المعري) كشاعر يصف القلق النفسي والروحي، ويتجاوز زمنه لي طرح على الساحة الفكرية العربية والغربية قضايا العصر الملحة حضارية كانت أم سياسية؛ فالشرق ما يزال مسرحا للصراع بين المذاهب والأديان الذي يغذيه رجال الدين ويقوم بافتراس عقول الشعوب الشرقية وقلوبها، والأوروبيين الذين تحرروا من ريقه العبودية الدينية والمذهبية، مصممون على أن يبقوه رهن عبوديته لتسهيل فتوحاتهم التجارية..

وبرؤية نافذة إلى المستقبل، حثَّ أهل القرار في أمريكا والبلدان العربية على التعاون من أجل التكامل، والمصادفة أن كتابه (رسائل الى العم سام)، الذي قصد به الولايات المتحدة الأمريكية ومستقبل علاقتها مع العرب، قد نُشر قبل أسبوعين فقط من أحداث الحادي عشر من سبتمبر سنة 2011م.

1- الثائر والمصلح الإنساني:

جاهر (أمين الريحاني) بآراءه السياسية، وآلمته الحيرة الانسانية، فأطلق صرخة احتجاج ضد التخلف والجهل والفقر والخوف، وتمرد على القيود والقوانين، وعارض البطيركية المارونية، ودعا قارئه أن يدفع بكتبه إلى آخرها سواء اقتنع أم لم يقتنع، وكأنها منشور حزبي، وتجرّد من كل تعصّب وأهواء

شخصية، وآمن بالإنسان العالمي، المتحرّر من إطار الثقافة الواحدة، والانتماء الضيق، وكّرّس كتاباته ورحلاته بل ونمط حياته ذاتها للمصالحة بين الثقافات وتحقيق التكامل في خصم الاختلاف، فيعارض في مقالته (مناهج الحياة) سنة 1910م، أشكال التحزّب السياسي والاجتماعي، ونقرأ له في مقالته (جسر بروكلين): "الإنسان ليس شرقاً فقط ولا غرباً فقط هو مزيج منهما"¹، ونسمعه في ديوانه (أنشودة المتصوفين Chant of Mystics) سنة 1921م يرّدّد:

"نَحْنُ لَسْنَا مِنَ الشَّرْقِ وَلَا مِنَ الْعَرَبِ،

لَيْسَ مِنْ حُدُودٍ فِي صُدُورِنَا، فَتَحْنُ أَحْرَارٌ..."²

وغير مستبعد أن يكون (فيلسوف الفريكة)، قد استوحى فكرة الوحدة الإنسانيّة من الصوفيين

الشرقيين القدامى، نحو (جلال الدين الرومي) ومثنويته:

"أَيُّهَا الْمَسْلُومُونَ، لَيْتَ شَعْرِي، مَا التَّدْبِيرُ؟

أنا لا أدري مَنْ أنا، فلا أنا مسيحيّ، ولا يهوديّ، ولا زرادشتيّ، لا مسلم، ولا شرقيّ ولا غربيّ،

1- أمين فارس الريحاني، جسر بروكلين، الريحانيّات، المجموعة العربية الكاملة، مج 7، ص 115.

2- "We are not from the East nor from the West

There's no limit in our breasts, we're free..."

Ameen Rihani. Chant of Mystics and other Poems. Beirut: The Rihani House, 1970, p.66.

ولا أنا جسم ولا روح، فنفسي روح الأرواح.¹

ولم يُخف (أمين الريحاني) إعجابه بعدد من الأدباء والمفكرين، فيخاطب (يوهان فولفغانغ فون

غوته Johann Wolfgang von Goethe) مثلاً:

"أردّد معك يا غوته، تلك العبارة: الضوء، مزيداً من الضوء."²

وكان يرى على غراره، أن الأفكار الدينية الشائعة بين عامة الناس لا يمكنها أن تكون هي

ذاتها عند الإنسان المثقف، على الرغم من أن العواطف الدينية قد تكون متشابهة.³

ويبقى أن تحرّره الديني كان نابعا من فهمه الخاص للدين، بعيدا عن السلطة الدينيّة غربية

كانت أو شرقية، فحمله لم تكن على الدين الصحيح، وإنما ضدّ التعصّب الديني الذي كان سائداً

في الشرق.

2- أمين الريحاني الناقد:

حرّك (أمين الريحاني) العقل العربي، وكان شخصية فذة سبقت عصرها، وولدت تفاعلاً خلاقاً

في مجالات الأدب والاجتماع والسياسة والدين، وبرز كأحد أبرز المفكرين العرب في التاريخ

¹ - جلال الدين الرومي، ديوان المثنوي، تقديم وتحقيق: إبراهيم الدسوقي شتا، الجيزة: المركز القومي للترجمة، ط04، 2015م، مجلد 2، ص 44.

² - أمين الريحاني، كتاب خالد، ترجمة: أسعد رزوق، بيروت: المؤسسة العربية للطباعة والنشر، 2011م، ص 256.

³ - George Henry Lowes. Life of Goethe. Montana: Kessinger publishing, 2003.

الحديث؛ يأخذ من كل علم بطرف، ويتمتع بصفات المفكر الفضولي والباحث الحر، فكان معلم الجليل وأستاذه باعتراف زميله في المهجر (جيران خليل جبران).¹

وعاد ليفرض نفسه اليوم من جديد، كمرب ومصلح ومتأمل في مسائل الوجود. يتمتع بحس العفوية والطلاوة والإحساس بالحرية، فكأننا به القنّاص الماهر الذي يصطاد المعاني والخواطر والخلجات، أو الرامي المغامر في غابات المعنى المعتمة، ولا مرشد له سوى ذلك المصباح الذي يوقد زيته من اشتعال الذات في أتون التجربة، فتصبح الكتابة الإبداعية والنقدية لديه لعبة مرايا متعاكسة يكمل أحدهما الآخر، فالناقد لا ينفذ إلى ما خفي من النصوص إلا إذا مارس النقد بكليته؛ أي بالفكر والإحساس والمخيّلة والثقافة والمعرفة، فترتقي كتاباته النقدية لتصبح كتابة إبداعية بحد ذاتها.

ولا يفرض منهجه النقدي الاستقرائي قيودا خارجية على المادة المعالجة، بل يطوّر المقاربات تبعا لخصوصيات هذه المادة ومقتضايتها، ولكل لحظة لغتها الخاصة التي تملّي صورها وإيقاعاتها على إيقاع التجربة، تتوغل في الذات الفردية مصغية لإحساسها ومخاوفها، حتى تصل إلى جوهر الذات الإنسانية، فتصبح الأنا هي نحن.

¹ - سهيل بديع بشروئي، الأدب اللبناني بالإنجليزية ورسالة القرن العشرين (كتاب خالد لأمين الريحاني مثلا)، ص 17.

لكنّ (أمين الريحاني) - ولكل امرئ من اسمه نصيب - كان أمينا على إرث أمته العربية ومصادرهما،¹ فغضبه من جمود الثقافة العربية، ودعوته إلى التجديد، لم تعن القطيعة مع التراث، وإنما إعادة اكتشافه من خلال مقاربات المنهج المقارن.

ولما كانت اللغة العربية وحتى وقت متأخر من القرن العشرين مثقلة بألفاظ التزويق على حساب عمق المعنى وصدق التعبير وعفويته، تبيّن (أمين الريحاني) موقفا وسطيا يقول بغريزة النمو اللغوي الطبيعي، وحتمية تطوّر اللغة في عصر متحرّك، من باب اقطع الغصن اليابس ولقّح الغصن الطري تسلم شجرة اللغة، وبمعنى آخر إخراج العقيم السمج مع المحافظة على روح اللغة، متجاوزا بذلك الذين شنوا هجوما تشنيعيا، يتّهمون فيه اللغة الفصحى بعدم الصلاحية لمواجهة الحياة الحديثة.

وحذّر من خطر التجمّد في الأساليب الكلاسيكية التقليدية، لذلك لم يتمثّل الأوزان العربية ولا نظام الشطرين، واستطاع مع عدد من المبدعين التجريبيين أن يُحدثوا تغييرا في القصيدة وعناصرها وأغراضها، وقَدّموا شعرا موازيا للنظريات التي كانوا يطرحونها، دون أي إحساس بالعجز أو الشك في قدرة العربية على استيعاب تحديات العصر، وقد كان أول من أدخل الشعر المنشور أو ما سُمي لاحقا قصيدة النشر إلى الأدب العربي، ناظما إيجاءاته الشعرية نثرا لتشهد على ما في لوح الوجود من موحيات المعاني والاستعارات والأفكار..

¹ - زهيدة درويش جبور - أمين ألبرت الريحاني شاعرا وناقدا ومثقفا شموليا. تاريخ الاطلاع: 2014/05/24م.
www.alhayat.com

كما حذّر من الاندفاع وراء التجربة الرومانسية، وعلّق ببراعة على مجموعة من انشغالات مطلع الخمسينات من القرن العشرين،¹ ودعا الشعراء إلى استلهاهم مواضيعهم من لوح الوجود، وإطلاق خيالهم وراء الحقائق الكونية، والحفاظ على توازن الصيغة والمعنى، واجتناب سخف الفكرة أو الصورة، والتحرر من التقليد، ملّحا على أن يرفعوا للناس مشاعل الإباء والعدل والشرف والقوة والشجاعة، وكفى ميوعة وهروبية واستسلاما للأحزان.²

3- عقيدة الريحاني:

بدأ (أمين الريحاني) نائرا لأكهنوتيا في (خطبة في التساهل الديني) سنة 1900م،³ وعاد في (المكاري والكاهن) سنة 1904م إلى مسيحية الفطرة، التي ترتفع على النأي بثقلها على أكتاف الناس فتسحقهم، بل ترتفع هي بهم على أكتافها وتنحني في خدمتهم،⁴ ما أعلن بداية خصومته مع رجال الدين والمحافظين، وحرّض في (المخالفة الثلاثية في المملكة الحيوانية) سنة 1904م، على التمرد والعصيان في حوار العقل وسؤال الحرية،⁵ فأنزل به بسببها حرم كنسي، ودعا في (الريحانيّات) الأولى سنة 1910م، إلى التساهل الديني والتخلّي عن العصبية الدينية والمذهبية والعنصرية، لتحقيق الحقّ والعدل

1- سهيل بديع بشروني، الأدب اللبناني بالإنجليزية ورسالة القرن العشرين (كتاب خالد لأمين الريحاني مثلا)، ص 17.

2- أمين الريحاني، وصيتي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1982م.

3- أمين الريحاني، خطبة في التساهل الديني، الريحانيّات، المجموعة العربية الكاملة، مج 7.

4- أمين الريحاني، المكاري والكاهن، بيروت، دار الريحاني للطباعة والنشر، ط 03، 1969م.

5- أمين الريحاني، المخالفة الثلاثية في المملكة الحيوانية، القاهرة: وكالة الصحافة العربية، 2013م.

والإنهاء¹ فأنهم من رجال الدين اليسوعيين بتبنيهم نزعة اشتراكية إحادية، مطعّمة بإيمان حلولي مثل بعض الداروينيين الاجتماعيين.

تاريخ نشر كتاب خالد:

كُتب (أمين الريحاني) كتابه (كتاب خالد The book of khaled)، أثناء إقامته في منطقة جبل لبنان باللغة الإنجليزية، ونشره سنة 1911م بنيويورك، وكان آنذاك في الخامسة والثلاثين من عمره.

تُرجم (كتاب خالد) بعدها إلى لغات عالمية كثيرة، مثل الفرنسية والروسية، كما تُرجمت مختارات منه إلى الأرمنية والصينية والألمانية واليونانية والإيطالية والفارسية والبولونية والإسبانية والتركية والأوكرانية، فيما صدرت الطبعة العربية سنة 1986م، عن المؤسسة العربية للنشر ببيروت، ترجمها عن الإنجليزية (أسعد رزوق)، مع رسوم داخلية وضعها خصيصاً للرواية (جبران خليل جبران).

أحداث الرواية:

تقول الرواية في طياتها، أنه في زمن الإمبراطورية العثمانية، اتفق شاب لبناني مسيحي اسمه (خالد) وصديقه المسلم (شكيب)، على الهجرة من بعلبك إلى العالم الجديد (أمريكا)، موطن الثراء والكسب، فباع كل منهما بغلا كان يمتلكه ودفعاً ثمن تذكيري السفر، تاركين حياةً رتيبة تعيقها قيودٌ بالية..

¹ - أمين فارس الريحاني، الريحانيات. المجموعة العربية الكاملة، مج 7، ص 66.

وبعد معاناة أسابيع في السفينة، وصلا إلى مرفأ نيويورك، حيث قاسا والآلاف المؤلّفة من المهاجرين من مختلف أنحاء الأرض، رهبة الخوف الممزوج بالجوع والوهن وذللّ التزاحم في الصفوف الطويلة للفحص الطبي ثم للاستجواب وفحص الأوراق، قبل أن يفلتا بما يشبه التسلّل والهرب..

انتقل الصديقين للعيش في قبو بمدينة مانهاتن السفلى، وبدأ معها اختبارهما للحياة بجانبها:

الأول: كسب العيش، بطاولة تجرّها العجلات وتدفع من شارع إلى شارع، تحمل منتجات بسيطة.

الثاني: صراع الهوية؛ هل أنا عربي أم أمريكي؟

وفيما عزم (شكيب) على المضي في عمله ليوفّر ويستثمر، اهتم خالد بالقراءة والكتابة، وفي مرحلة معينة قام بحرق العربة، منصرفا عن النشاط التجاري لما فيه من خداع الناس وعدم أمانة ورياء، وشعوره بالنفور من خداع الأشخاص السدّج وإقناعهم بشراء رموز مقدّسة مقلّدة.

وفي حين واجه (خالد) مشكلتين اثنتين؛ الأولى تحوّل من عربي إلى أمريكي، والثانية الرأسمالية الأمريكية، واجه (شكيب) مشكلة واحدة؛ هي التحوّل إلى أمريكي، وساعدته رأسمالته في هذا التحوّل، وبينما أصبح (شكيب) رجل أعمال ناجح، صار (خالد) بوهيميا يبحث عن الحقيقة في زُهد ولا مبالاة.

لكنّه تعب من حياة التشرّد، فدخل مجال السياسة، وتولى منصب حاكم الجالية العربية، ليواجه مشكلة ثالثة، وهي فساد السياسيين ونفاقهم، إلّا أنّه أصرّ على تأدية عمله بصورة شريفة،

فنشب خلاف بينه وبين رئيسه، وتآمر ضده سياسيون واتهموه هو نفسه بالفساد وأكل المال العام، وُرِّجَّ به في السجن بتهمة إساءة استخدام الأموال العامة، ونشرت صحف نيويورك بإيعاز من أعدائه سياسيي نيويورك تقارير يومية عن (العربي اللص).

أسرع (شكيب) ودفع مالا يكفي لإطلاق سراحه، واستخلص (خالد) درس أمريكا الأول؛ فأمرىكا ليست نعيما وليست جحيما، ومع الحرية يوجد الفساد، ومع العدل يوجد الظلم، ومع التفاؤل يوجد التشاؤم، وتمنى في قرارة نفسه لو أخذت أمريكا على عاتقها قيادة العالم في مجالات الروح والأخلاق، كما تقوده في مجالات العلم والاختراع والتقدم.

وتثور في نفسه مشاعر يُذكيها خيالٌ متقد وذكريات حيّة، فيرى بلاده صورة متألّقة مشّعة مليئة بالأمل لعالم ينهار ويتلاشى، وتحلُّ فيه نزعة رسولية مشرقة، تنضح حيوية وعزيمة أمام التحديات المتربّصة؛ فعلى لبنان وجميع البلدان العربية الأخرى، أن تستعين بكل منجزات العصر العلمية والفكرية في مشروعها النهضوي الإصلاحي، دون أن تفقد روحها الإنساني، وقبلها في الاستقلال عن الإمبراطورية العثمانية:

"إنّ بلادي قد بدأت بالنطق الآن، وما أنا إلا لسانها المختار، فإذا ما تقاعستُ ولم ألبّ

النداء وأذهب إلى نصرتها، فإنها ستبقى خرساء إلى الأبد."¹

¹ - أمين الريحاني، كتاب خالد، ترجمة: أسعد رزوق، ص 127.

ويقرّر (خالد) العودة إلى لبنان، فيعاود البيع المتجوّل من أجل دفع تكاليف سفره، مُبدياً براغماتية واضحة، على غرار الفيلسوف الألماني (فريدريش فيلهيلم نيتشه Friedrich Nietzsche).

وفعلاً تمّ له ذلك، ويضطر بعد وصوله إلى صنع عربة يبيع عليها الخضراوات، حتى يجني بعض المال لإعالة أسرته، ولكن رجال السلطة في بلاده يطردونه ويجبرونه على ترك عربته، فيرفض (خالد) الاستسلام ويقوم بصنع عربة مرة أخرى، فاعتقد رجال السلطة أنه يتحدّاهم، فضربوه وحطّموا عربته، وبمرور الأيام وأمام تلّهُف أمه وإخوته الصغار على أي شيء يأكلونه، ذهب إلى الشارع يصرخ بأعلى صوته مندداً بالظلم، ويستمر في المشي رافعا صوته أعلى فأعلى، وفجأة سمع صدى صوته، فاقترب أكثر، وإذا بعشرات الآلاف من الشباب مطالبين بنفس مطالبه؛ الحرية، والكرامة، ووقف نهب مصادر البلاد من قبيل حفنة من رجال السلطة.

ويرى (خالد) عدم السفر إلى أمريكا، والبقاء في بلاده مع الشباب لتغيير المساويء، إلاّ أنّه يعاني مجدداً من صراع الهوية، فكغيّره من المهاجرين العرب قد دفع الثمن، ثم زاد عليهم ودفع ثمنا آخر لأنه عاد إلى الوطن الأم! وفشل فشلا ذريعا وهو يحاول عبثا أن يُثبت أنّه لا يزال لبنانيا، وحُرّم من كنيسته المارونية، لتمرّده على تشدّدها وعلاقتها مع الطوائف المسيحية الأخرى ومع المسلمين، لينتهي به الأمر في السجن مرة ثانية، عقب نشره كتيّبات رأت فيها الكنيسة هرطقة.

وأجبرت ابنة عمه (نجمة) التي أحبها منذ الطفولة، على الزواج من رجل ثري في ذات اليوم الذي يخرج فيه من السجن، فيعتكف في دير مهجور بجبل لبنان، وينكب على كتابة مخطوطته.

وهنا يسترسل (شكيب) في رواية القصة بلسانه، معتمدا على ما كان يصله من أخبار (خالد) عبر رسائله التي تصله بين الوقت والآخر؛ عن عزلته في الطبيعة، وتجاربه في أمريكا، ومعضلات العالم العربي الثقافية والسياسية...

ينزل (خالد) بعدها إلى بيروت، وهناك يلتقي بامرأة بھائية أمريكية تدعى (السيدة غوتفري)، يناقش معها مسائل تتعلق بالحب والدين، وتَسْبُغ عليه هذه السيدة رعايتها وولائها.

وفعلا، بدأ (خالد) بتنفيذ رسالته في إيقاظ بني قومه وتحريرهم من التخلف والتعصُّب والاحتلال؛ فقاد المظاهرات ضد الأتراك، وتصدَّى لدستور رجال الدين الجديد، وألقى المحاضرات، وأصبح صوت العرب السياسي والروحي، لكنه تسبَّب في حدوث موجة اضطرابات عنيفة في الجامع الكبير بدمشق، دفعت بالمسؤولين العثمانيين إلى الأمر باعتقاله، ما اضطره إلى الهرب لإنقاذ حياته.

عاد (خالد) مع (السيدة غوتفري) إلى بعلبك، ومنها إلى بيروت، مصطحبا معه هذه المرة (السيدة غوتفري) و(شكيب) وأمه و(نجمة) المريضة، التي هجرها زوجها وحيدة مع طفلها (نجيب)، ثم يُقررون الذهاب إلى الصحراء المصرية، هربا من السلطات العثمانية، حيث أمضوا شهراً هادئةً، قبل أن تُغادرهم (السيدة غوتفري) و (شكيب)، ويَمْرَضَ الطفل (نجيب) ويموت، وتموت أمه حزنا عليه.

ويختتم (شكيب) الأحداث، باختفاء (خالد) وانقطاع أخباره، فلا يُعرف له أثر، ولا يزال يحلم حلمه في وحدة بني البشر، واتحاد الأديان العظيمة كلها في دين واحد، وتضافر فضائل الشرق والغرب، ليتلاقى كل ما هو خير في الوجود، ويتلاشى الشر ويذول.

عنوان الكتاب:

لعل البطل (خالد)، لم يكن سوى الكاتب نفسه في مراحل حياته المختلفة وخبراتها، رشحه للقيام بدور النبي المستحدث، الذي يتحوّل بالحلم إلى حقيقة خالدة، تغيّر وجه التاريخ على مرّ الأجيال.

أفكار الرواية وإطارها العام:

لا شك أن (أمين الريحاني) قد قدّم قبل ما يزيد عن المائة سنة، نتاجا أدبيا وفكريا مُميّزا، حمل رؤية خاصة تراوحت بين الإعجاب والدهشة والغربة والرفض والعودة إلى الطبيعة لتحقيق ولادة الروح.. وُلد (خالد) في (بعلبك)، وعانى من مشكلات الفقر والحاجة والحصار والاضطهاد السياسي والتسلُّط الإقطاعي والاجتماعي والديني.

هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وعاش تجربة المهاجرين القاسية، وسكن في قبو مظلم رطب وبارد تحت الأرض، واشتغل كبائع متجوّل في شوارع نيويورك.

لم يكتف بالقليل مما حصّله من معارف قبل الهجرة وما حمله معه من كتب، وراح يعمّق ثقافته بالقراءة والمطالعة، والتي امتدت إلى المثالية الألمانية.

ما أن ينتهي من صدمته الفردية بعمله في التجارة، حتى يتلقى صدمة أخرى بانخراطه في العمل السياسي، حيث يكتشف أن الديمقراطية يشوبها الخداع والمكر، ومن لا يكون تابعا ذليلا لأسيادها، كان عرضة للخزي والإهانة في النهاية.¹

لم تكن أمريكا فردوس العالم، واكتفى (خالد) من المجتمع الأمريكي، وأخذ قراره الحاسم بالعودة إلى الوطن.

عزله في الجبل لإشباع نهمه النفسي بالتأمل والتعمق والاعتبار.

رحلته إلى الصحراء كانت بمثابة محطة جديدة من مراحل انعتاق الروح وتحررها من الجسد. نهاية قصته دون أي خبر عن مكان وجوده، سوى التوقُّع بأنه هائم في مكان مجهول غارق في دائرة روحية خاصة.

لقد عرف (خالد) أخطاء الحضارتين المتصارعتين، فهو من الشرق في جذوره وتراثه، لكنه رفض التقاليد والأعراف والمسلمات، التي تجمّد الشرقي في قوالب التخلف، وتمنعه من الانفتاح على عمق الحقيقة، كما رفض التكالب الغربي على المادة الذي يولّد الجوع والكوارث ويزيّف حقيقة الإنسان.

وكأنّ المسافة بين الشرق والغرب هي المسافة بين عقل صلب حتى العطب السريع، يتحرك من خلال تفاعله البدوي الطائش، وعقل مرن حتى الانعطاف الكلي، يُسخر المنطق في سبيل لعبة الجدلية الخطرة.

¹ - أمين الريحاني، كتاب خالد، ترجمة: أسعد زروق، ص 119.

وجعلته صدمته الإنسانية يقف ممزقا بين حُبَيْن، الواحد منهما غير كاف لإشباع نهمه للكمال

المطلق،¹ فيقرر أن يحمل عبء ثقافته وإرثه ليصالح فيهما بين شرق و غرب..

وينتهي إلى أن الأوهام والخرافات تُفسد الحقيقة، والمظاهر والبهارج قشور زائفة، وأن الشرق

يبعده الروحي، هو الوجه الثاني المكمل لعظمة العقل والعلم والصناعة والعمران والحريّة والديموقراطية

الغربية.

وقاد بالتناوب رهاني التحريض والاختلاف، يَنشُد وحدة الكون وقدرة الإنسان المتفوّق، ليصل

إلى نبوءة مفادها، أن العلاقة بين الغرب ممثلا في الولايات المتحدة الأمريكية والعرب، ستكون مفصلية

في استتباب الأمن في العالم.

واكتملت محاولته للتوفيق بين الثقافة والقيم الغربية والثقافة والقيم العربية، على ثلاث مراحل؛

أولاها في الولايات المتحدة الأمريكية (IN THE EXCHANGE).

وثانيتها في لبنان (IN THE TEMPLE).

وثالثتها في كل مكان (IN KULMAKAN).

وإن عاش في الأولى التجربة الديمقراطية ودفع المهر أو الدوطة، ومزج في الثانية نشواته بشيء من

اللون المحلي، فقد عاد الأمل ليحدوه من جديد في الثالثة إلى حلم الإمبراطورية وصعود كافة الشعوب

¹ - أمينة غصن، أمين الريحاني - في العبء الرسولي، بيروت: دار الفارابي، 2011م، ص 29.

نحو الهيكل الأسمى:

"هيكل العقل والروح".¹

أما رموزه الثلاثة؛ الإنسان والطبيعة والله، فتتخطى حدود الزمن والمجموعة الاجتماعية، لتشمل الإنسانية جمعاء، لكن الخيبات تتوالى، واصطدمت أفكاره بالسلطة الروحية وسلطة الدولة معا، فتتأجج الأفكار في رأسه، وتعصف من أدنى الأفكار الفوضوية صعودا إلى سماوات الفكر الروحاني، فيوجه نقدا أنثروبولوجيا، لا يُخفي فيه سحرته النكهة المستمرة من مختلف الفلسفات والتيارات والحركات الاجتماعية، وحتى من بعض أفكار (خالد) الإصلاحية، ومن حماقة الإنسان المعاصر، لكنه يظل مؤمنا بحقيقة وحدة الوجود، في جوهره المادي والروحي، وأن الشرق والغرب هما طرفي تلك المعادلة:

"الشرق والغرب، الذكر والأنثى من الروح الكونية، الجدولان اللذان يتبرّد فيهما جسد الإنسان وروحه، وفيهما يستقويان ويتطهران، إني أغنيهما كليهما، وأفتخر بكليهما، وأكرّس حياتي لهما، وفي سبيلهما سأعمل وأتألم وأموت".²

ولعل (أمين الريحاني) كان يعي تماما أن الأجيال القادمة ستفهمه أكثر، وبأن مبادئه ستتمو بسرعة نمو بذور صادفت تربة خصبة ومناخا موافقا، فاستقر على فكرة أساسية هي مدّ جسر بين العرب والغرب، يكون المسار الذي يجمعهما على حقائق وقيم أساسها المشترك إنساني، في حوار حضاري مشرّ يُلهب شرارات الفكر والنور.

1- أمين الريحاني، كتاب خالد. ترجمة: أسعد رزوق، ص 51.

2- المصدر نفسه، ص 73.

وأما الدين فهو واحد؛ فما من دين يمثل بذاته النهاية أو الحقيقة المطلقة، وتعاقبها حكمة

واستمرار في الهداية، فهي تتألف في مرآة التوحيد لتعكس الرمز الأقدس:

عَبْنَا طَلَبْتُكَ فِي أَدْيَانِ النَّاسِ...

فَلَقَدْ تَوَضَّحَ لِي حَرْفٌ سَاكِنٌ مِنْ اسْمِكَ فِي الْفَيْدَا

وَحَرْفٌ فِي الزُّنْدِ أَفْسَنَا

وَحَرْفٌ فِي الْإِنْبِيلِ

وَحَرْفٌ فِي الْقُرْآنِ..

كُلُّ أُمَّةٍ مِنْ أُمَّمِ الْأَرْضِ أَدْرَكَتْ حَرْفًا

مِنْ هَذَا الطَّلَسِمِ الْعَظِيمِ¹

لكنَّ أنوار العالم القديمة كلها على وشك الانطفاء، ولذا وجب تعهّد المصايح الجديدة،

والسير في مقدّمة المستنيرين بأنوارها، وكُتِبَ البر والتقوى التي ترافقها، وسيعمل العلم على تمهيد

سبيل الإدراك الأعلى وسر الوجود.

¹ - أمين الريحاني، كتاب خالد، ترجمة: أسعد رزوق، ص 68.

مُتنبِّاً بالحب ديانة جديدة ووحيدة:

"ولكنني سوف أ مسح عناكب التفسير والسفسطة عن عمل القلب هذا. سوف أطلب إليكم، يا إخواني، تنظيف ثياب الدين، وحتى الأغطية المهترئة والطارئة، سوف أرمي بها بعيدا. أدعوكم للعودة عن تدنُّن اليوم ونفاقه إلى ديانة القلب الصافية."¹

ويختار الطبيعة لتكون مكانا مقدَّساً للعبادة، فهي مرآة خالقها:

"هنا في هذا المسجد الكبير للطبيعة أرثُل قرآني. أنا خالد؛ البدوي في صحراء الحياة، الهائم على درب الفكر العريض، آتي إلى هذا المسجد الجليل، مكان التعبُّد الوحيد المتاح لي، كي أُجبر روحي الكسيرة في شذا رحابه العطرة لأرجائه السماوية. إن المحارِب هنا لا تيمِّم وجهة من دون أخرى، بل حيثما انَّجَّ المرء يرى مشكاة بعد مشكاة تتجلَّى فيها كلُّها روح الله الخالدة."²

وإذ ينفي عن الغرب صفة المثالية، فإنه ينفي عن الشرق صفة التخلف القدرية:

"إنَّ المرء الذي بلغ أعلى درجة من التقدم، ليس أوريبا ولا شرقيا، بل هو الذي يجمع في شخصه في آن أجمل سجايا العبقري الأوربي والنبي الآسيوي."³

وواقع الأمر أن هذا الرجل الرؤيوي الملهم، والمحرِّز الفعلي، والباقي لإمبراطورية إنسانية عظمى، لم يكن يرى الخلاص في حلول طوباوية، بل كان يتحرك في فضاء كوني، بفكر إنساني، وشخصية

¹ - أمين الريحاني، كتاب خالد، ترجمة: أسعد رزوق، ص 223.

² - المصدر نفسه، ص 129.

³ - المصدر نفسه، ص 74.

فدّة تضج بالحوية وتقارع الإحباط، تختبر التقاليد وتسعى بشتى الوسائل للإصلاح، فرأى أن في تكامل ال شرق والغرب، لما فيه مصلحتهما المتوازنة، خلاصا للبرية، وإرساءً لأسس السلام في العالم، داحضا بذلك ما ذهب إليه الأديب البريطاني (روديارد كيبلينغ Rudyard Kipling)، بأن الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا.

وأدرك أن الهوية العربية مُستلبة، لكنّه يتنبأ بصحوة الجبار العربي النائم:

"نَحْنُ أُمَّةٌ مَحْتَضِرَةٌ وَلَا تَمُوتُ

لَعَلَّ تِلْكَ الْعِبَارَةَ مُوَجَّهَةٌ لَكُمْ....

فَلَا تَبْخَلُوا عَلَيْنَا

سَلَامٌ.....

خَالِدٌ

أَنَا وَاقِعِي.....أُرِيدُ الْمِسْتَحِيلَ"¹

صدي كتاب خالد في عالمنا اليوم:

أطلقت مكتبة الكونجرس الأمريكية سنة 2011م، السنة العالمية للأديب والمفكر (أمين الريحاني)، التي صادفت الذكرى المئوية لكتاب خالد، وبهذه المناسبة أُقيمت مؤتمرات واحتفالات في

¹ - أمين الريحاني، كتاب خالد، ترجمة: أسعد رزوق، ص 91.

أنحاء العالم،¹ وتمَّ إطلاق مشروع (كتاب خالد) في الولايات المتحدة الأمريكية، بهدف إصدار طبعة خاصة منه لتلامذة المدارس الثانوية في الولايات المتحدة، وطلاب السنوات الأولى الجامعية.

وذكرت مجلة (دبي الثقافية) في عددها الثالث بعد المائة الصادر شهر ديسمبر 2011م، أن

عددا من الجامعات الأمريكية، تعيد قراءة (كتاب خالد)، وأنه يشهد اهتماما حقيقيا من بعض الكتاب الأمريكيين والصحافة العالمية.

وتبيّن عبر متابعة الانترنت أن بعض قراء (أمين الريحاني) في المكسيك، قد قاموا بترجمة

مختارات من كتابه إلى الإسبانية، وضمّنها صورا عن أحداث نيويورك.²

وأشار موقع (مكتبة الكونغرس) الأمريكي، إلى أن (أمين الريحاني) هو الكاتب العربي -

الأمريكي الأكثر تأثيرا والأكثر شهرة في العالم.

ويتعاضم حضور (أمين الريحاني) أكثر فأكثر في العالم، ليؤكد على تواصل فكره وإرثه في

أحداث العالم الحالية؛ فقد سبق إلى التحدّث عن التظاهرات التي سوف تعمّ شوارع العالم، مطالبة

بالتغيير والديمقراطية، وبهذا المعنى يكون قد تنبأ بثورات الربيع العربي قبل مائة عام، بل لعله عمّل

على تحقيق قرب الساعة وهو يطوف بلاد العرب..

¹ - مكتبة الكونغرس تحتفل بالأديب اللبناني أمين الريحاني - الشرق الأوسط. تاريخ الاطلاع: 2011/04/03م.

<http://www.aawsat.com>

2- <https://www.loc.gov>

بشّر بقيم الحرية العامة والشخصية، قبل الإعلان العالمي الفعلي لحقوق الإنسان، في العاشر

من ديسمبر 1948م.

وإذ يستعيد الأفق الريحاني الكثير من أبعاده ورحابته، صار (كتاب خالد) أساسيا في

استكمال فكره النهضوي والتنويري:

لم يتخلَّ (خالد) عن أصالته ولم ينقطع عن جذوره، ولم يقصر نفسه في السعي وراء الرزق،

متنكبًا الكشّة في شوارع نيويورك، كي يستحق أكلة المجدرة بعد عناء النهار، بل قدّم وثيقة من

شرقي حر، برز فيها كشخصية عصرية، مؤمنة بالعلم، تسعى بشتى الوسائل لتغيير أحوال مجتمعها،

لكنها بقيت مؤمنا بالله وبالإنسان:

"إنَّ خالدًا مثلي لا يستطيع نكران وجود الله بحكم تكوينه وفطرته، فكلانا من أرض كان الله

دائمًا يتحدث فيها الى الآباء والأجداد." ¹

دعوته غير الهَيَّابة إلى الإصلاح، ونشّر بذور الخير ولو تحت عباءة العقم والعدم:

"إيه إخوتي، ابنوا معابدمكم وازرعوا كرومكم ولو في القفار الصلدة!" ²

يتدرّج (أمين الريحاني)، تحت قناع (خالد) في تطوُّره العقلي والروحي؛ من فتى بَعَلبكي، رافض

لكل ترسُّبات مجتمعه وموروثاته وأعرافه، إلى رجل لا أدري في نيويورك، تتنازعه في قراءاته العشوائية

اللامحدودة، عقلائية الغرب المركّزة على الهنا، وروحانية الشرق المنصرفة لكل ما يجر إلى الهناك، إلى

¹ - أمين الريحاني، كتاب خالد، ترجمة: أسعد رزوق، ص 109.

² - المصدر نفسه، ص 201.

قناعة نهائية، تشدّد على وجود روح علوية حائلة في جميع عالم المادة، وأن المدينة العظمى العتيقة، لن تكون سوى مزيج رائع من عقلانية الغرب وروحانية الشرق، جامعة في ذاتها الهنا والهنالك. ولإعلاء هذه المدينة المزمعة، يلحم المخلّص (خالد)، بناء إمبراطورية إنسانية عظمى، قوامها روحانية الشرق وفنون أوروبا وعلوم أمريكا، تكون انتصارا للنموذج، وتنهض بشعب عصفت به أزمة رديئة.

أمّا مرتكزات الحياة فيها فتلاثة؛

النور، الذي هو حياة الروح المعزّزة لقيمة العمل في هذا العالم.

والحبة، التي هي حياة العلائق البشرية.

والإرادة، التي هي حياة العمران.

ومن دونها تبقى شؤوننا أنانية مفرغة وطنينا على خواء.

لكنّ (كتاب خالد)، ورغم معالجته لقضايا الواقع العربي، لم يتم نشره باللغة العربية، إلّا بعد

ثلاثة أرباع قرن من صدوره الأول في نيويورك باللغة الإنجليزية، فضلا عن تعذّر الحصول على طبعته

الأولى، ومحدودية انتشاره في العالم العربي، بل إن المملكة العربية السعودية تمنع طبع أو نشر هذا

الكتاب!

فهل صراحته المطلقة، وخصوصا في مسائل الدين، هي التي حالت دون انتشاره في العالم

العربي حتى اليوم؟! أم لمصالح سياسية ضيقة، لا تتلاءم مع نظرتة العالمية؟!!

قراءة فنية لكتاب خالد:

يشير (كتاب خالد) العديد من الأسئلة عن جنسه الأدبي؛ هل هو رواية أو سيرة أو مذكرات أو اعترافات أو كتاب رحلات وأسفار؟ أم أنه مجرد إطار قصصي يعرض فيه لقضايا الحرية الفكرية والاجتماعية ومستقبل البشر؟ أم أنه كل هذه الأشكال الفنية؟

والحقيقة، أنه يبدو أقرب إلى النوع الروائي منه إلى أي نوع أدبي آخر؛ صاغه (الريحاني) من مصدرين مستقلين؛ مخطوطة عربية يُفترض أنه وجدها في المكتبة الخديوية بالقاهرة، ومخطوطة (شكيب). ولكي يعطيه طابعا قصصيا، ابتكر له قصة طريفة مشوّقة ساخرة غالبا، يقفز فيها سريعا بين الواقع والfantasy، يزعم فيها أن الكتاب كان مخطوطة اكتشفها في (المكتبة الخديوية) بمصر، كتبها بعلبكي اسمه (خالد)، وأن دوره في نقل القصة هو دور المحرر ليس إلا:

"اكتشفت المخطوطة العربية الحديثة التي أصبحت موضوع هذا الكتاب في المكتبة الخديوية بالقاهرة، وكانت بين مجموعة من مخطوطات البايروس للكاتب المصري القلم أمن رع ومجموعة أخرى من المصاحف الشريفة المذهبة تذهيبا جميلا."¹

ثم يفهم من بعض الناس أن (خالد) هذا هو شخص حقيقي موجود، وهم يلقبونه بالنبي، ويقولون إن رجال تركيا يلاحقونه، وأنه إذا أراد أن يعرف المزيد من أخباره ومكان وجوده فليسأل صديقه الحميم (شكيب).

¹ - أمين الريحاني، كتاب خالد، ترجمة: أسعد رزوق، ص 27.

يعثر الراوي على (شكيب)، فيجده حزينا جدا، ويخبره أن (خالد) قد اختفى بصورة غامضة تكتنفها الأسرار، ثم يُطلعه أنه انتهى لتوّه من وضع مخطوطة عن حياة معلمه، وقد أطلق عليها اسم (التاريخ الحميم)، وأنه يضع هذه المخطوطة بين يديه لتذهب عبره إلى أوروبا.. فينبغي على العالم أن يعرف (خالدا) معرفة أفضل.

على أنّ الكتاب يأخذ بأسلوب السيرة الغيرية، خلال تتبّعه لشخصية (خالد)؛ في تكوّنهما الثقافي والنفسي وحياتها بين لبنان وأمريكا والبلاد العربية.

وتتداخل على مدى فصول الرواية أصوات ثلاث شخصيات هي: (الراوي - خالد - شكيب)، التي ترك لها (أمين الريحاني) حرية التفكير والسلوك واتخاذ القرارات؛ فلم يُلزمها بأفكاره، ممارسا أمتع صفات الديمقراطية الفنية، فغاياته كانت تحريك قُدْرَاتِ قارئه العقلية، لِحُثِّه على التفكير والاختيار الحر، وكان في أعرق أهدافه، يرمي إلى مصالحة حضارية بين الشرق والغرب، مهديا عمله إلى أخيه الإنسان وأمه الطبيعة ومكوّنه المبهم الله.

ويبقى واقع المستوى الفني والفكري المتقدّم لهذه الرواية الرائدة، يطرح أسئلته على الروايات العربية في زمانه، وعلى النقد الأدبي العربي في زماننا.

فهل أترّ توجُّهه إلى القارئ الأمريكي، في صياغتها وتشكيلها الفني؟ أم أن قضاياها الفكرية والروحية هي أساس سبقها؟ وهل هي جزء لا يتجزأ من الأدب الإنجليزي؟¹ أم أنّها فاتحة الأدب العربي المكتوب باللغة الإنجليزية؛ فصاحبها أول أديب عربي يضع مؤلفاً باللغة الإنجليزية، يتحدث فيه عن البلاد العربية والشرق الأدنى مخاطباً به الإنسانية شاملة.²

والحقيقة أنّ (أمين الريحاني)، قد حرص منذ فصله الافتتاحي، على التوضيح بأنه لا يهدف للتأريخ، وأنه بصدد رسم مملكة صغيرة من ممالك الروح..

فجده ينظر إلى الحياة بسمو، ويكتب برشاقة، وبأسلوب يصعب فهمه أحياناً، يُشبهه إلى حدّ بعيد أسلوب الرحّالة البريطاني (تشارلز مونتاجو داوتي Charles Montagu Doughty) في (الترحال في صحاري العرب Travels in Arabia Deserta).³ أمّا بطله (خالد)، فهو النبيّ الحديد، وهو المغامر، الذي لا يقنع أبداً بالأفق المنظور..

1- فكتور الكك، جبران والريحاني جهد رائع.. ولكنه ضائع. مجلة العربي، ع 570، الكويت: وزارة الإعلام، ماي 2006م، ص 22.

2- سهيل بديع بشروئي، الأدب اللبناني بالإنجليزية ورسالة القرن العشرين (كتاب خالد لأمين الريحاني مثلاً)، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2000م، ص 17.

3- Charles Montagu Doughty, Travels in Arabia Deserta (02 Volumes), London: P.L. Warner, 1921.

4- سهيل بديع بشروئي، الأدب اللبناني بالإنجليزية ورسالة القرن العشرين (كتاب خالد لأمين الريحاني مثلاً)، ص 23.

الفصل الثاني

النبي لجبران خليل جبران

نبذة عن حياة جبران خليل جبران

مؤلفاته

محطات في حياة جبران

1- نشأته في لبنان

2- هجرة العائلة إلى أمريكا

3- العودة إلى لبنان

4- عودته إلى أمريكا

5- رحيل جبران

جبران وماري هاسكل

جبران وماري زيادة

علاقاته الغرامية

أدبه ومواقفه

1- جبران الرومانتيكي

2- جبران الإنساني

3- جبران السياسي

4- جبران الناقد

5- عقيدة جبران

شخصية المجنون ودلالاتها في أدب جبران

مفهوم الحرية الجبرانية وهدفها

أنواع الحرية الجبرانية

1- الحرية الصغرى

2- الحرية الكبرى

جبران في الذاكرة العالمية

1- الإتحاد العالمي لدراسة حياة جبران وآثاره

2- حديقة النصب التذكاري في العاصمة واشنطن دي سي

3- جائزة جبران

4- أكاديمية جبران خليل جبران العالمية

جبران بين منتقديه ومناصريه

تاريخ نشر النبي

محتوى النبي

عنوان الكتاب

أفكار النبي

النبي بين معارضيهِ ومؤيديهِ

فنانون تغنّوا بكلماته

قراءة فنية للنبي.

نبذة عن حياة جبران خليل جبران:

وُلد الشاعر والرَّسَّام والنَّحَّات والكاتب (جبران خليل جبران بن ميخائيل بن سعد)، في السادس من جانفي 1883م، ببلدة (بشري) الشمالية بלבنا، حين كانت تابعة لمتصرفية جبل لبنان العثمانية، لعائلة مارونية فقيرة، تتكوّن من أب مولع بشرب الخمر ولعب الورق يدعى (خليل سعد جبران)، وأمّ تقيّة سبق لها الزواج قبل ذلك مرتين، تدعى (كاملة رحمة)، ومن الولد البكر (جبران)، وشقيقتيه مريانا وسلطانة، وشقيق اسمه (بطرس)، من زيجة (كاملة) الأولى سنة 1883م.¹

بدأ (جبران) تعليمه الإبتدائي بقريته، في مدرسة الخوري (جرمانوس)، التابعة لدير (مار ليشاع)، حيث درس العربية والسريانية وحفظ (مزامير داوود).

سافر سنة 1895م رفقة والدته وإخوته إلى بوسطن، وهناك درس فن التصوير، ثم رجع بعد سنتين إلى بيروت، ودخل (معهد الحكمة)، لدراسة الأدب العربي، وكان يقضي العطلة الصيفية في بلدته بشري، ولكنه نفر من والده الذي تجاهل مواهبه، فأقام مع ابن عمه نقولا.

عاد سنة 1902م إلى أمريكا²، ومنها إلى باريس سنة 1908م، فاتصل بمعاهد الرسم والتصوير

هناك، والتقى بفنانين كبار، لعل أبرزهم النحّات والرسام الفرنسي (أوجست رودان Auguste Rodin).

¹ - حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، بيروت: مكتبة البولسية، 1987م، ص 1094.

² - محمود شكيب أنصاري، تطور الأدب العربي المعاصر، أهواز: انتشارات دانشگاه شهيد جبران، ص 225.

كما كانت له زيارات لروما وبروكسل ولندن وغيرها من عواصم الحضارة والفن، وعندما عاد إلى نيويورك، بدأ في الاطلاع على بعض كتب الفيلسوف الألماني (فريدريش فيلهيلم نيتشه Friedrich Nietzsche). فأعجب بفلسفته وآرائه وراقه مذهب القوة عنده.

وأسس سنة 1920م، إلى جانب مجموعة من الكتاب السوريين واللبنانيين، تنظيم (الرابطة القلمية)، التي بقيت تجتمع دوريا تقريبا حتى وفاته.

وبقي (جبران خليل جبران) يتنقل بين الولايات المتحدة الأمريكية ولبنان وفرنسا، إلى أن وافته المنية بنيويورك، في العاشر من أبريل 1931م، بسبب تليف الكبد والسل.

وكانت أمنيته أن يُدفن في لبنان، وقد تحقق له ذلك سنة 1932م، حيث نُقل جثمانه إلى صومعته القديمة في (دير مار سركيس) ببيشري، فيما عُرف لاحقا باسم (متحف جبران)، الذي أصبح معلما وطنيا يُعْتزُّ به ومقصدا للزائرين.

وكتب على قبره بناءً على وصيته هذه الكلمات:

أَنَا حَيٌّ مِثْلَكَ، وَأَنَا وَاقِفٌ الْآنَ إِلَى جَانِبِكَ؛

فَأَغْمِضْ عَيْنَيْكَ وَالتَّفَيْتْ؛ تَرَانِي أَمَامَكَ.¹

¹ - خليل أحمد خليل، موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين، ج 1، ص ص 206 - 208.

وفضلاً عن الأوابد التي كوّنت له في وطنه الأم، فقد نصب له تمثال تذكاري في إحدى ساحات بوسطن، وآخر في واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية، وكوّنته البرازيل بتمثال (بيلوهوريزونتي)، ودشّنت الجالية اللبنانية بالبرازيل مركزاً ثقافياً حمل اسمه.¹

مؤلفاته:

يقف (جبران خليل جبران) علامة بارزة ومضيئة في تاريخ الأدب العربي والعالمي؛ ككاتب وشاعر حكيم وخلاق.

ترك (جبران) نتاجاً كبيراً باللغة العربية، نذكر منه: (نبذة في فنّ الموسيقى)، سنة (1905م)، وهو كتاب (جبران خليل جبران) الأول، صدر بنيويورك في جوان العام 1905م، بجريدة المهاجر لصاحبها (أمين الغريب) - عرائس المروج، سنة (1906م) - الأرواح المتمردة، سنة (1908م) - الأجنحة المتكسرة، سنة (1912م) - دمعة وابتسامة، سنة (1914م)، بدأ في نشرها أولاً بجريدة المهاجر منذ 1903م - المواكب، سنة (1919م)، أصدرها على نفقته الخاصة في حلّة أنيقة، وزينها بمجموعة من رسومه - العواصف، سنة (1920م)، ويشمل إحدى وثلاثين مقالة ظهرت في صحف مختلفة ناطقة بالعربية - البدائع والطرائف، سنة (1923م)...

كما ترك ثمانية كتب باللغة الإنجليزية هي: الجنون، سنة (1918م) - السابق، سنة (1920م) - التائه، سنة (1923م) - النبي، سنة (1923م) - رمل وزبد، سنة (1926م) - يسوع ابن

¹ - حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص 1094.

الإنسان، سنة (1928م) – أرباب الأرض، وحديقة النبي، الصادرين سنتي 1932م و1933م على التوالي، أي بعد وفاته.¹

محطات في حياة جبران:

ويمكن تناولها في مراحل كالآتي:

(بشري) لبنان (1883م – 1895م)، أين ولد وتفتَّح وجدانه وحياله.

(بوسطن) (1895م – 1898م)، بنهضتها الفكرية آنذاك.

(بيروت) (1898م – 1902م)، ونكبات شرقه وتخلُّفه، بينما كان يستزيد من تعلُّم العربية.

(بوسطن) ثانية (1902م – 1908م)، وعيَّش تجربة الموت الذي حصد أسرته بين سنتي

(1902م – 1904م).

(باريس) (1908م – 1910م)، وعمَّق التحوُّل الثقافي والفني هناك.

(نيويورك) (1911م – 1913م)، حيث معنى المدينة الحديثة في أوسع مفاهيمها.

1- نشأته في لبنان:

عانى (جبران) من عدم تفهُّم والده، فيما تركت والدته بصماتها العميقة في شخصيته:

"إنَّ أعذب ما تحدِّثه الشفاه البشرية هو لفظة الأم، وأجمل مناداة هي (يا أمي)، كلمة صغيرة

كبيرة، مملوءة بالأمل والحب والعطف وكل ما في القلب البشري من الرقة والحلاوة والعدوبة، فالأم هي

¹ - خليل أحمد خليل، موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين، ص 310.

كل شيء في هذه الحياة؛ هي التعزية في الحزن، والرجاء في اليأس، والقوة في الضعف، هي ينبوع الحنو والرأفة والشفقة والغفران، فالذي يفقد أمه يفقد صدرًا يسند إليه رأسه ويبدأ تباركه وعينا تحرسه.¹ ولقد لاحظت والدته ميله للرسم، فزوّدتَه بألبوم صور لليوناردو دفنشي، أعجب به بصمت، لييوح بعد وقت طويل، بأنه لم ير قط عملاً لليوناردو دفنشي إلاّ وانتاب أعماقه شعور بأن جزءاً من روح (دفنشي) تتسلل إلى روحه.

أمضى سنواته الأولى وسط شجارات والديه، فحاول أن يجد عزاءه في الطبيعة، وخاصة غابة الأرز المجاورة، لكن وإلى ما تعانیه العائلة من فقر، ألقى الجنود العثمانيون عام 1891م القبض على والده وأودعوه السجن بتهمة السرقة، إثر سوء إدارته للضرائب، فأُدين وصدورت أملاكه، واضطرت العائلة للنزول عند بعض الأقرباء، فتقرر والدته أن الحل الوحيد لمشاكل العائلة هو الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية.²

¹ - جبران خليل جبران، الأجنحة المتكسرة، بيروت: دار صادر، ط 4، ج 3، 1997م، ص 76.

² - جان استيفو - جبران خليل جبران. تاريخ الاطلاع: 2010/04/26م.

2- هجرة العائلة إلى أمريكا:

باعث (كاملة رحمة) ما تبقى لها من تركة والدها، والتمست تدخّل أحد الأساقفة من أجل الحصول على إذن من السلطات الأمريكية، ورحلت الأسرة بحرا عام 1895م إلى العالم الجديد تاركة (خليل سعد جبران) رغم خروجه من السجن العام 1894م.

حطّت العائلة الرحال في جزيرة (إليس إيسلاند)، التابعة لميناء نيويورك، في السابع عشر جوان 1895م، ومنها إلى نيويورك في الخامس والعشرين من جوان 1895م، فبوسطن، حيث أكبر جالية لبنانية في الولايات المتحدة الأمريكية.

نزلت العائلة في ضيافة أقارب من (بشري) هاجروا قبل سنوات قليلة، واهتمت الجمعيات الخيرية هناك بإدخال (جبران) إلى المدرسة، في فصل خاص بالمهاجرين، في حين قضت التقاليد أن تبقى شقيقته في المنزل، أما الوالدة فبدأت تعمل كبائعة متجوّلة في شوارع بوسطن، فكان عليها أن تحمل على ظهرها بالة صغيرة من الشراشف والأغطية والحريرات السورية، وتتنقل بها من بيت إلى بيت لتبيعه، ثم كخياطة بمساعدة ابنتها سلطانة وماريانا، وراح الأخ البكر غير الشقيق (بطرس)، يعمل في محل للمنسوجات، وبدأت أحوال العائلة تتحسن وفتحت محلا تجاريا.

بدأ (جبران) يعمل بجديّة على الكتابة منذ 1896م، وواظب على التردّد لمؤسسة خيرية تُعطي دروسا في الرسم اسمها (دنسيون هاوس)، وشجّعته معلمته (فلورنس بيرس) على صقل موهبته الفنية، وكتبت (دغيسي بيل) من نفس المدرسة، إلى صديقها المثقف الغني (فريد هولاند داي)، وكان رسّاما

ومصوّراً شهيراً ومدير دار للنشر في بوسطن، فكان يُعيره كتباً عن الميثولوجيا اليونانية والأدب العالمي وفنون الكتابة المعاصرة والتصوير الفوتوغرافي، ويشدّد عليه دائماً باختبار كل تلك الفنون، حتى يَخْلُصَ إلى أسلوب خاص به.

وقد كان لفريد هولاند داي، الفضل في إطلاق (جبران) إلى عالم الرسم، كما ساعده على بيع بعض إنتاجه، كغلاف للكتب التي كانت تنشرها دار (كويلا اند داي)، وعرّفه إلى الرسّام والشاعر الإنجليزي (وليم بليك)، الذي اكتشف فيه (جبران) عالماً أسطورياً وتنبؤياً، وبهره تنوع ينابيع مفرداته الشعرية، وخصوصية أعماله الرمزية الموسومة بالجدل الروحي بين الخير والشر والجنة والجحيم، ونقده للمجتمع والدولة، وفضيلة الرغبة الخالقة، ووحدة الكائن، وراح يخطّ رسوماً تفيض بالرمزية، وبدأ واضحاً أنه بدأ يَحْتَضِرُ لنفسه أسلوباً وتقنية خاصين به، ويحظى بالشهرة في أوساط بوسطن الأدبية والفنية.¹

3- العودة إلى لبنان:

أثار تردّد (جبران) المتزايد لأوساط (فرد هولاند داي)، الذي لم تكن سمعته تدعو للارتياح، قلق الأسرة، وازدادت الأمور سوءاً بعد أن وقع في شرك زوجة تاجر في الثلاثين من عمرها، وغيابه المتكرر عن البيت ليلاً، وافتتانه قبلها بامرأة أخرى، ففكّرت والدته، أن الشهرة المبكّرة ستعود على ابنها المراهق

1- كولينت مرشليان - جبران خليل جبران رائد التمرد والثورة وقصيدة النثر العربية في الذكرى 125 لولادته.

تاريخ الاطلاع: 2008/4/22م.

صاحب الخمسة عشر سنة بالضرر، وأنه لا بد أن يعود إلى لبنان لمتابعة دراسته وإتقان اللغة العربية، ولم يعترض جبران، ووصل في الثلاثين من أوت سنة 1898م إلى بيروت، يتكلم لغة إنجليزية ضعيفة، ويكاد ينسى العربية، وبين أمتعته الأناجيل وكتاب في الميثولوجيا لتوماس بلفنش، يتحدث عن دراما (بروميثيوس) وأسطورة (أورفيوس) والنبي الفارسي (زرادشت) والفلسفة الفيثاغورية والأساطير الهندية. هرع (جبران) فوراً إلى حضن أبيه في (بشري)، ودخل مدرسة إعدادية مارونية، ثم نصحه أستاذه الشاعر والطبيب (سليم الضاهر)، بمتابعة دروسه في معهد تعليم عال يدعى (معهد الحكمة collègue de la sagesse)، حيث بقي زهاء ثلاث سنوات.

ورغم تأخره في العربية الفصحى، فقد وافق القيمين على قبوله في صف أعلى، لإعجابهم بجرأته وقوة شخصيته، وساعده أستاذه الشاعر والكاتب المسرحي (يوسف حداد)، على اكتشاف الآداب العربية؛ نحو، كليلة ودمنة لأبو محمد عبد الله المقفع، والمقدمة لابن خلدون، ونهج البلاغة للشريف الرضي... وغيرها.

وبدأ (جبران) يكتب أولى نصوصه بالعربية، كما أخذ في تعلم اللغة الفرنسية وقراءة آدابها، وأسّس مع زميله (يوسف الحويك) بداية العام 1900م، مجلة أدبية طلابية اسمها (المنارة)، كان يضع (جبران) رسومها، إلى أن أنهى دروسه سنة 1902م، بتفوق واضح في العربية والفرنسية والشعر،

فاختيرت إحدى قصائده سنة 1901م، لنيل الجائزة التقديرية، وانتخب شاعراً للكلية، وهي الجائزة التي كان يتوق بحماس لنيلها، خاصة وأن التلميذ الممتاز في هذه المدرسة هو الأكثر موهبة في الشعر.¹

4- عودته إلى أمريكا:

وصلته أخبار من بوسطن عن مرض أفراد عائلته، فغادر لبنان في العاشر من ماي سنة 1902م، ولكن لسوء حظه وصل بعد وفاة شقيقته (سلطانة)، وبعد بضعة أشهر دخلت أمه إلى المستشفى، لإجراء عملية جراحية لاستئصال بعض الخلايا السرطانية، وقرر شقيقه (بطرس) ترك المحل التجاري والسفر إلى كوبا، أما (ماريانا) فهي الوحيدة التي بقيت معه واضطرت للعمل في محل خياطة. وتتابع المآسي بأسرع ممّا يمكن احتمالها، فما لبث أن عاد (بطرس) من كوبا مصاباً بمرض السل، وقضى نحبّه بعد أيام قليلة في الثاني عشر من مارس سنة 1903م، فيما فشلت العملية الجراحية التي أجرتها والدته في استئصال المرض، وقضت نحبّها في الثامن والعشرين جوان من نفس السنة، واحترق مبنى (فرد هولاند داي) في الثاني عشر من نوفمبر 1904م، وأتى على موجوداته كلها، بما فيها رسوم (جبران).

وتحت صدمة التراجيديا التي يعيشها منذ سنتين، عزم على البحث عن عمل أكثر ربحاً من الرسم، وعلم أن شاباً لبنانياً يدعى (أمين غريب)، أصدر صحيفة بالعربية في نيويورك اسمها (المهاجر)، فتقرّب منه وأطلعه على رسومه وكتابه وقصائده، فقبل (غريب) مقابل دولارين في الأسبوع لجبران،

¹ - حسن جميل الحريس - جبران خليل جبران ج / 2. تاريخ الاطلاع: 2008/11/06م.

وخصّه بزاوية منتظمة بعنوان (أفكار)، التي استبدلها (جبران) بعدها بعنوان (دمعة وابتسامة)، وراح يتحدث فيها عن المحبة والجمال والشباب والحكمة، وظهرت أول مقالة له بعنوان (رؤية)، وكانت نصاً مُفعماً بالغنائية، أعطى الكلام فيه لقلب الإنسان، أسير المادة وضحية قوانين الأنام.

لكنَّ (جبران) كان يعيش أزمة من نوع آخر، وهي عدم إتقانه الكتابة باللغة الإنجليزية، التي تفتح أمامه مجالاً أرحب من مجرد الكتابة في جريدة تصدر بالعربية، ولا يقرأها سوى عدد قليل من الناس، ولم يكن (فرد هولاند داي) قادراً على مساعدته في المجال الأدبي، كما سبق وساعده في المجال الفني، وعجزت الفتاة الجميلة (جوزيفين بيادي)، التي كانت تربطه بها صلة عاطفية، عن مساعدته عملياً، فكانت تكتفي بنقد كتاباته الإنجليزية، إلى أن قدّمته إلى امرأة من معارفها اسمها (إليزابيث ماري هاسكل Elizabeth Mary Haskell)، ليبدأ (جبران) صفحة جديدة من حياته.

منحته (ماري هاسكل)، مؤازرتها، وإيماناً لا يتزعزع بإمكاناته، ووثق (جبران) بها كأستاذة معتقدة بالمذهب الإنساني.

لكنّها لاحظت أنّ (جبران) لا يحاول الكتابة بالإنجليزية، بل يكتب بالعربية أولاً ثم يُترجم ذلك، فنصحته بالكتابة باللغة الإنجليزية مباشرة، وشجّعته على التفكير بها عن طريق القراءة بصوت مرتفع.¹

ليكتب لها سنة 1917م، في واحدة من آلاف الرسائل التي تبادلها معها:

¹ - جان استيفو - جبران خليل جبران. 2010/4/26م.

"كما ترين يا ماري، أنا أيضاً أعتبر نفسي تلميذاً في مدرستك، لأني متأكد من أنني لولاك لما كان بوسعي كتابة كلمة واحدة بالإنجليزية. لكن مازال عليّ تعلم الكثير قبل أن أتمكن من تجسيد أفكارى بهذه اللغة الرائعة."¹

5- رحيل جبران:

أخبر (جبران) صديقه (فليكس فارس)، قبل أشهر قليلة من وفاته، بأنه يريد أن يذهب إلى لبنان ويبقى ذاهباً، غير أن أمنية العودة، اصطدمت بملاحقة دائني والده القضائية لاسترجاع ديونهم ممن تبقى من أفراد الأسرة.²

وفي التاسع من أبريل 1931م وجدته البوابة بحالة صحية سيئة، فأدخل إلى إحدى مستشفيات نيويورك، حيث توفي هناك في اليوم الموالي، ليُنقل بعد ثلاثة أيام إلى مقبرة (مونت بنديكت)، إلى جوار أمه وشقيقته وأخيه غير الشقيق.

¹ –As you can see, Marie, I also consider myself a pupil at your school, Because I'm sure without you, I wouldn't be able to write a word One in English. But I still have to learn a lot before I can embody my thoughts with this Great language."

Jean Gibran, Khalil Gibran: His Life and World, New York, Avenel Books, 1981 p. 300.

² – اسكندر نجار، جبران خليل جبران، ترجمة: بسام حجار، بيروت: دار النهار، دت، ص 79.

وتفرّج بعد موافقة (ماريانا)، نُقلَ جثمانه إلى مسقط رأسه، حيث استقبلته عند وصوله إلى بيروت، في الثلاثين من أوت 1931م، جموع كثيرة من الناس، يتقدّمها وفد رسمي، وبعد احتفال قصير، نُقل جثمانه في موكب تاريخي إلى (بشري)، أين ووري الثرى على أصوات أجراس الكنائس. لم يعيش (جبران) طويلا، لتفصيل الثماني والأربعين عاما، الطفل المدهوش بالكون، عن الحقيقة التي عَشَمَهَا وسعى طوال حياته لإدراكها في الحياة وما وراء الحياة، ولمسها مع رحيله.. رحلة عاشق للطبيعة والحياة والإنسان، تخلّتها المآسي والأحزان والفواجع، لكنه كان يختبر الحزن والموت ورحيل من يجب في معانيهما الإنسانية، كتجارب تُعمّق إحساسه بالحياة، وتأمّله في سرّها وسرّ وجوده على البسيطة.¹

جبران وماري هاسكل:

التقى (جبران) بـ (ماري هاسكل)، أثناء افتتاح معرضه الأول بمشغل (فرد هولاند داي)، ببوسطن سنة 1904م، وبلغ تأثر (ماري) بموهبة (جبران)، أن دعتة لتقديم عرض بمدرسة البنات التي كانت تديرها، على أمل إطلاع تلميذاتها على عمل فنان ولید. وبعد فترة وجيزة من تعارفهما، تبنت موهبته، وصارت تدعوه لمرافقتها إلى مادب عشاء، وقدمته إلى أصدقاء لها، وزوّدتة بدعمها المادي، وتدریجيا تطوّرت علاقتهما الشخصية، التي وطّدتا رؤيتهما

1- كولين مرشليان = جبران خليل جبران رائد التمرد والثورة وقصيدة النثر العربية في الذكرى 125 لولادته.

تاريخ الاطلاع: 2008/4/22م.

المشتركة عن الوجود والدين، وأفكارهما المتقدّمة للعلاقات الروحية بين الأشياء، وإيمانهما بالمسؤولية الأخلاقية للفرد؛ فقد تخلّى كليهما باكراً عن تربيته المسيحية التقليدية، وصرّح (جبران) بذلك لفرد هولاند داي عام 1897م:

"لم أعد كاثوليكياً، بل صرت وثنيا."¹

وأسّرت (ماري) قبلها بثلاث سنوات لإحدى صديقاتها:

"لم أعد مسيحية متنصرةً أرثوذكسية."²

في العام 1908م، أرسلته (ماري) إلى باريس لِيَتابع دراسة الرسم، وكانت باريس آنذاك حلم فناني العالم كله، وسرعان ما انتسب إلى (أكاديمية جوليان)، أكثر أكاديميات باريس الخاصة شعبية، التي خرّجت فنانيين كبار نحو (ماتيس) و(بونار) و(ليجييه)، وانتسب كطالب مستمع إلى (كلية الفنون الجميلة)، فيما كان يقضي أوقات فراغه في زيارة العديد من المعارض والمتاحف، كمتحف (اللوفر) الذي أمضي ساعات طويلة في قاعاته الفسيحة، أو ماشياً على ضفاف نهر السين، متسكّعاً كل مساءً في

1- "I'm no longer a Catholic, but I'm a heathen."

Jean Gibran et Khalil Gibran, Khalil Gibran: His Life and World,
New
York, Avenel Books, 1981, p. 57.

² - يوميات ماري هاسكل، من أرشيف أسرة ماينس رقم 2725، المجموعة التاريخية الجنوبية لجامعة كارولينا الشمالية، تشابل هيل، 1894م، مجلد 32، ص 35.

أحياء باريس القديمة، حيث تنبّه روحه بين بيوتها، ويستيقظ كل صباح يفكر في تلك الأيام التي أمضاها بين معابد الفن وعالم الأحلام..

وأصاب (جبران) بعض النجاح في باريس؛ فشارك في العديد من المسابقات، وأقام معرضاً في الجمعية الوطنية للفنون الجميلة، ودُعي لتقديم لوحاته في الإتحاد الدولي للفنون الجميلة والآداب، وكانت تجربة أكاديمية قيّمة بنى عليها مساره الفني، لكنه لم يستطع البقاء طويلاً في (أكاديمية جوليان)، التي لم تُرض روحه الرومانسية، ودفعه نهمه إلى المعارف والإبداع وحرق المراحل، إلى ترك الأستاذ والرسم الصوفي (بيير مارسيل بيرونو)، الذي التقاه بداية شهر فيفري 1909م، ونصحته بالتمهّل حتى يُنهي كل قاموس الرسم، وكان حينها يتردّد إلى أكاديمية (كولاروسي)، المتخصصة في فن الرسم على النموذج، ففضّل العمل وحيداً بحريّة في رسمه، ويُعطي دروساً في الرسم لبعض الطلبة، وانخرط في مشروع طموح لرسم بورتريهات شخصيات شهيرة.

بلغه في هذه الأثناء نبأ وفاة والده، فكتب إلى (ماري هاسكل):

"فقدت والدي.. مات في البيت القديم، حيث وُلد قبل خمس وستين سنة. كتب لي أصدقاؤه

أنّه باركني قبل أن يسلم الروح. لا أستطيع إلاّ أن أرى الظلال الحزينة للأيام الماضية، عندما كان أبي

وأمي وبطرس وكذلك أختي سلطانة يعيشون ويبتسمون أمام وجه الشمس...¹

وبعد زيارة قصيرة إلى لندن، رفقة الكاتب أمين الريحاني، عاد إلى بوسطن سنة 1910م، وقرر (جبران)، وكان آنذاك في السابعة والعشرين من عمره، أن يُكاشف (ماري) ذات السبعة والثلاثين عاما بحبه، وعرض عليها الزواج، وقد قبلت (ماري) السعيدة والعاشقة عرضه، لكن خطبتهما لم تدم طويلا، غير أنهما احتفظا بصداقهما الحميمة، التي ما فتئت تزداد قوّة مع الأيام، وقد كتب لها (جبران) سنة 1915م يقول:

"مثل ما بيننا كمثل المطلق في الحياة. كلُّ منّا، أنت وأنا يا ماري، يفهم الذات الكبرى للآخر؛

وهذا الأمر في نظري أروع ما في الحياة."²

¹- " I lost my father.. He died in the old house, where he was born five and sixty years ago. His friends wrote to me that he had blessed me before Delivers the spirit. I can only see the sad shadows of the past days, when my father, mother and Peter were as well My sister Sultana lives and smiles in front of the face of the sun..."

Virginia Hilu, Beloved Prophet: The love letters of Kahlil Gibran and

Mary Haskell and her Private Journal, New York: Alfred A. Knopf, 1972, p 92 .

2- "Like the absolute ideals of life. All of us, you and I, Mary, understand

انتقل سنة 1911م إلى نيويورك، التماسا لمجال فكري وأدبي وفني أرحب، ولم يغادرها حتى

وفاته.

وهناك ذاعت شهرته في الأوساط الفنية والثقافية النيويوركية، ونجح في رسم العديد من اللوحات

والبورتريهات لكبار المشاهير، مثل رودان، وساره برنار، والمخترع الأمريكي (توماس إديسون)، وعالم

النفس السويسري (كارل غوستاف يونغ)، ونشر عددا من المقالات، منها دراستين عن الغزالي وابن

الفارض، ومجموعة من القصائد الثرية في مجلة (الفنون)، لمؤسسها الشاعر المهجري الحمصي (نسيب

عريضة)، وشارك المجلة الجديدة (The Seven Arts)، رسومه ونصوصه الأولى بالإنجليزية.¹

فيما بقيت (ماري هاسكل) ترعى في بوسطن شقيقته العزباء وغير المثقفة (مريانا)، وتسانده

the great self of the other; My view is the best in life.”

Virginia Hilu, Beloved Prophet: The love letters of Kahlil Gibran and

Mary Haskell and her Private Journal, p 261.

¹ - اسكندر نجار، جبران خليل جبران، ترجمة: بسام حجار، ص ص 42 - 44.

ماديا، واستطاع أن يقيم معرضاً لرسومه برعايتها في قاعة (مونتروس) بالينوي.¹

وأبقت صداقتهما الأبدية على الصلة قوية بينهما لا يطالها موت؛ فبقيت (ماري) تتصرف باسم (جبران) بعد وفاته، وتمكّنت رغم المسافة البعيدة بين سافانا ونيويورك، واستياء زوجها (جاكوب فلورانس ماينيس)، من تنفيذ وصية (جبران) وإرسال بعض أعماله الفنية إلى مسقط رأسه (بشري)، وقدّمت مع أواسط القرن، رسائلها التي كتبها لجبران مع يومياتها ورسائل منه إليها، إلى المجموعة التاريخية الجنوبية بجامعة كارولينا الشمالية، مخلّدة بذلك قصتهما في ذاكرة الأجيال القادمة.²

جبران وماري زيادة:

كتبت الأديبة اللبنانية – الفلسطينية (ماري زيادة)، سنة 1912م، مقالا نقديا عن (الأجنحة المتكسرة)، وأرسلته إل (جبران)، وكانت تلك بداية المراسلات بينهما، التي لم تتوقف، حتى وفاة (جبران)، لتبقى واحدة من الأخصب والأجمل في الأدب العربي.

وإن لم يلتقيا أبدا، فقد شعر كليهما بقرب أحدهما من الآخر، وأنّ خيوطا خفيفة تربط بين فكريهما وترافق روحيهما، وكانت خطاباتهما هي اللقاء.

¹ – كوليت مرشليان – جبران خليل جبران رائد التمرد والثورة وقصيدة النثر العربية في الذكرى 125 لولادته. تاريخ

الاطلاع: 2008/4/22م.

www.almustaqbal.com

² – تانيا سامونز – على صعيد أعلى. 2010/10/16م.

www.al-akhbar.com

كانت (مي) تجسّد في نظره الأنوثة الشرقية، بملامحها الصارمة التي تضفي عليها مزيداً من الجاذبية، واجتذبت نظرتها البراقة، من جهتها باحت (مي) في رسالة لها سنة 1924م، بمشاعرها الحقيقية اتجاهه، لكن موقفها فاجأه، وفضّل عدم الانطلاق في علاقة، قد تتطلّب منه ومنها تضحيات كبيرة.

وأدركت (مي) حينها، سوء فهمها لحب (جبران) الروحي، وأسفت أنها كانت على هذا القدر من الصراحة والمباشرة، وصممت ثمانية أشهر، رآها (جبران) طويلة كأنها الأزل، لتستمر مراسلاتهما رغم كل شيء.¹

علاقاته الغرامية:

آمن (جبران) بِقَدْرِية الحب، التي لا قِبَل للإنسان برُدّها أو تجنّبها، وكانت له حكايات كثيرة في هذا العالم، تراوحت بين الأفلاطونية والجسدية، مع اثني عشرة امرأة، تسعة منهن يكبرنه سنّاً، لكنّه فضّل عيش هذه المغامرات وغيرها سرا، إما حفاظاً على سمعة تلك العشيقات، أو خوفاً من تشويه صورته الروحية، كناسك وكائن علوي وعاشق للروح.

وتروي (هيلينا غوستين) مازحة، أن (جبران) هو زير نساء، وأنه طلب منها ذات مرة أن تشتري له مظلة ليقدّمها إلى شقيقته (ماريانا)، لكنها اكتشفت بعد حين أنه قد أهداها لامرأة أخرى.²

¹ - اسكندر نجار، جبران خليل جبران، ترجمة: بسام حجار، ص ص 55 - 56.

² - المرجع نفسه، ص 39.

أدبه ومواقفه:

آمن (جبران) بالحب وسيلةً لبلوغ الحقيقة، ووقف في أعماله عند الحدود بين الشرق والغرب والرمزية والمثالية، وسعى إلى أن تكون كلماته ورسوماته تعبيراً دقيقاً عن أفكاره. وظلَّ في مهجره وفيًا لنهجه الصوفي، وكانت بوسطن، مع فجر القرن العشرين، مركزاً فكرياً حيويًا، اجتذب فنانيين مشهورين وواعدين¹، حيث ازدهرت حركات صوفية كثيرة، نحو (الجمعية الثيوصوفية)، سنة 1875م، لمؤسستها المؤلفة والرحالة الروسية الروحانية (هيلينا بتروفنا بلافاتسكي² Helena Petrovna von)، واتَّضح لجبران شيئاً فشيئاً، أن الروحانية الشرقية التي تسكنه، يمكن أن تجد لها تربة خصبة في تلك البيئة المتعطّشة للصوفية..

1- جبران الرومانتيكي:

امتلك (جبران) قلباً نبيلًا يتأمل ويتألم، لكن لم يمنعه حزنه ولا قسوة الحياة، أن يُشد مع القلوب الفرحة:

1- سكندر نجار، جبران خليل جبران، ترجمة: بسام حجار، ص 33.

2- هيلينا بتروفنا بلافاتسكي - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. تاريخ الاطلاع: 2017/11/01م.

"أنا لا أبذل أحزان قلبي بأفراح الناس، ولا أرضى أن تنقلب الدموع التي تستدرُّها الكآبة من جوارحي وتصير ضحكا. أتمنى أن تبقى حياتي دموعاً و ابتساماً: دموعاً تطهّر قلبي وتفهمني أسرار الحياة وغوامضها، وابتساماً تدنّيني من أبناء بجدتي وتكون رمز تمجّدي الآلهة.."¹

ونجده يثور في مجموعته القصصية (عرائس المروج)،² على الجهل والظلم، ويطرح أفكاره عن وحدة الوجود وخلود الروح، ويتمرّد في (الأرواح المتمرّدة) على التقاليد القاسية، ويُعلن في روايته (الأجنحة المتكسّرة)، نغمته على الشرائع البشرية السخيفة، في مقابل شريعة الحب السماوية الأقوى، معلناً ثورته على الأكليروس والأثرياء الذين يستبيحون كل شيء في سبيل تحقيق غايتهم الدنيئة،³ ويجمع في (دمعة وابتساماً)، بين الأفلاطونية الصوفية والإنسانية الإصلاحية الإجتماعية:

"أقدّم هذا الكتاب وهو أوّل نسخة من عاصفة حياتي، إلى الروح النبيلة التي تحب النسمات وتسير مع العواصف."⁴

ويدعو في مطوّلته الشعرية (المواكب)، إلى التأمل، في حوار فلسفي يعتمد تعابير بسيطة وصافية وتلقائية؛ يسخر أحدهما من القيم المصطنعة للحضارة، ويُعجّي الآخر والأكثر تفاعلاً أنشودة الطبيعة

¹ - جبران خليل جبران، دموعاً وابتساماً، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران العربية، تقديم: د. جميل

جبر، بيروت: دار الجيل، 1994م، ص 172.

² - جبران خليل جبران، عرائس المروج، بيروت: منشورات عالم الشباب، سلسلة جبران خليل جبران، ط 1، 2009م.

³ - خليل جبران، جبران. الأجنحة المتكسّرة، بيروت: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، ط 1، 2005م.

⁴ - خليل جبران، جبران. دموعاً وابتساماً، تقديم: د. جميل جبر، ص 165.

ووحدة الوجود،¹ ويث في (رمل وزيد) ما يفوق الثلاثمائة حكمة صوفية وطوباوية، كرس فيها ثقافة التسامح والمحبة، والتحلي بالأخلاق الفاضلة.²

وظلَّ (جبران) وقيًا لأمته، والصوت المعبر عن مشاعرها، ولا تزال أساطير ريفه، تُناجي روحه، وتشحذ خياله، وتثير كوامن نفسه³:

"كثيراً ما رأيتُه ينحني كي يلمس نصال الأعشاب، وسمعتُه في قلبي يقول: أيتها الأشياء الصغيرة الخضراء، ستكونين معي في مملكتي كأشجار بلوط بيسان وأرز لبنان."⁴

وأقلقه الوضع في لبنان، بعد استيلاء السلطات العثمانية على كل موارد البلد، ف شعر بالذنب لبعده عن أولئك الذين يموتون في صمت، ولم يتردد بدافع حس المسؤولية وتلبية نداء الواجب، في قبول منصب أمين سر لجنة إعانة منكوبي سوريا وجبل لبنان.⁵

لكنه لم يُغفل الدَّين الكبير المستحق عليه لأمريكا، ودعا المغتربين من أبناء جلدته إلى الاعتراف بذلك دون رهبة أو مهابة، إيماناً منه بأن الوحدة والاتحاد في التنوع والاختلاف:

¹ - اسكندر نجار، جبران خليل جبران، ترجمة: بسام حجار، ص 30.

² - جبران خليل جبران، رمل وزيد، بيروت: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، ط 1، 1998م.

³ - جبران خليل جبران، مناجاة أرواح، الدوحة: المكتبة الثقافية للنشر والتوزيع، 1997م، ط 1، ص 54.

⁴ - جبران خليل جبران، يسوع ابن الإنسان، ترجمة: ثروت عكاشة، ط 6، القاهرة: دار الشروق، 1999م، ص 98.

⁵ - اسكندر نجار، جبران خليل جبران، ترجمة: بسام حجار، ص 54.

"قفوا أمام أبراج نيويورك وواشنطن وشيكاغو وسان فرانسيسكو، وقولوا في قلوبكم نحن من سلالة شعب بنى دمشق وجبيل وصور وصيدا وأنطاكية، ونحن هنا كي نبي معكم. كونوا فخورين بكونكم أمريكيين وافتخروا أيضا بأن آباءكم وأمهاتكم أتوا من أرض وضع الله عليها يده الرحيمة ورفع فيها رسله."¹

وحاول فهم العالم بعيدا عن المعتقدات الرسمية السائدة، فلجأ إلى الطبيعة وصوّرها في جميع حالاتها؛ متناغمة منسجمة حيناً وعاصفة مضطربة حيناً آخر،² ومزج في كتاباته بين اتجاهين؛ يأخذ أحدهما بالقوة ويثور على عقائد الدين ويتمرد على الأنماط الاجتماعية، ويتبع الآخر الميول ويجب الجمال والاستمتاع بالحياة النقية، وفيما يتبرّم الأول، في قصيدة (المواكب)، بالحياة البشرية وما يشوبها من رياء وضعف وذل وقلق ونضال دائم بين الخير والشر، يمجّد الثاني حياة الغاب والقطرة والمشيمة العاقلة المدبّرة التي تتسامى فوق الخير والشر:

الْحَيَّرْ فِي النَّاسِ مَصْنُوعٌ إِذَا جُرُّوا

وَالشَّرُّ فِي النَّاسِ لَا يَفْنَى وَإِنْ قُبِرُوا

وَأَكْثَرَ النَّاسِ آلَاتٌ تُحَرِّكُهَا

¹ - سهيل بديع بشروئي - نتذكر جبران ليحيا لبنان ونتذكر لبنان ليحيا جبران (الذكرى السنوية لغياب جبران خليل جبران ومرور ثلاثة أرباع القرن على وفاته). تاريخ الاطلاع: 2006/4/12م.

2- فؤاد مرعي، رحلة في أدب جبران. مجلة الموقف الأدبي، دمشق: إتحاد الكتاب العرب، ع 247، نوفمبر/1991م، ص 57.

أَصَابِعُ الدَّهْرِ يَوْمًا تُمْ تَنْكَسِرُ
فَلَا تَقُولَنَّ هَذَا عَالِمٌ عَلِمُ
وَلَا تَقُولَنَّ ذَلِكَ السَّيِّدُ الوَقُورُ
فَأَفْضَلُ النَّاسِ قُطْعَانٌ يَسِيرُ بِهَا
صَوْتُ الرُّعَاةِ وَمَنْ لَمْ يَمْشِ يَنْدَثِرُ
لَيْسَ فِي العَابَاتِ رَاعٍ.. لَا وَلَا فِيهَا القَطِيعُ
فَالشِّتَا يَمْشِي وَلَكِنْ.. لَا يُجَارِيهِ الرِّبِيعُ
خُلِقَ النَّاسُ عَبِيدًا.. لِلذِّي يَأْبَى الخُضُوعُ
فَإِذَا مَا هَبَّ يَوْمًا.. سَائِرًا سَارَ الجَمِيعُ
أَعْطِي النَّايَ وَعَنَّ.. فَالْعُنَا يَرْعَى العُقُولُ
وَأَنْبِئُ النَّايَ أَبْقَى.. مِنْ مَجِيدٍ وَذَلِيلِ

* * *

وَمَا الحَيَاةُ سِوَى نَوْمٍ تُرَاوِدُهُ
أَخْلَامٌ مَنْ يَمُرَادِ النَّفْسِ يَأْتَمُرُ
وَالسِّرُّ فِي النَّفْسِ حُزْنُ النَّفْسِ يَسْتُرُهُ

فَإِنْ تَوَلَّى فَبِالْأَفْرَاحِ يَسْتَتِرُ
وَالسُّرِّ فِي الْعَيْشِ رَعْدُ الْعَيْشِ يَحْجُبُهُ
فَإِنْ أُزِيلَ تَوَلَّى حَجْبُهُ الْكَدْرُ
فَإِنْ تَرَفَعَتْ عَنْ رَغْدٍ وَعَنْ كَدْرٍ
جَاوَزَتْ ظِلَّ الَّذِي حَارَتْ بِهِ الْفِكْرُ
لَيْسَ فِي الْعَابَاتِ حُزْنٌ.. لَا وَلَا فِيهَا الْهُمُومُ
فَإِذَا هَبَّ نَسِيمٌ.. لَمْ تَجِيءْ مَعَهُ السُّمُومُ
لَيْسَ حُزْنُ النَّفْسِ إِلَّا.. ظِلٌّ وَهَمٌّ لَا يَدُومُ
وَعُمُومُ النَّفْسِ تَبْدُؤٌ.. مِنْ تَنَابَاهَا التُّحُومُ
أَعْطَيْتِي النَّايَ وَعَنْ.. فَالْعُنَا يَمْحُو المَحْنُ
وَأَنْبِيئُ النَّايِ يَبْقَى.. بَعْدَ أَنْ يَفْتَى الزَّمَنُ¹

2- جبران الإنساني:

انزاح قلق الشاب المتمرد، ليُفسح المجال لحكمة رجل فيلسوف، يحب العزم والقوة، محبته للظرف والجمال ويميل للهدم ميله للبناء، صديق للناس وعدو لهم في وقت واحد،² فهو يرى الآن أن الحكمة والمعرفة هما اللتان تُعطيان الإنسان الحق في امتلاك الحرية، وما الكافر والمجنون إلا كلمات مجازية مفصلية

¹ - جبران خليل جبران، المواكب، بيروت: شركة الأعلمي للطبعات، ط 1، 2006م، ص ص 35 - 36.

² - حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص ص 222 - 223.

في قاموسه الرمزي، عن الفرد الذي استكمل إنسانيته، ورفض الرضوخ لمؤسسات اجتماعية رست على الحرفية والكذب، وهي إذ تخاطب الروح، فهي تغذي روح الإنسانية في مسعاها الدائم للحرية والمحبة:

"لا تجالس أنصاف العشاق، ولا تصادق أنصاف الأصدقاء، لا تقرأ لأنصاف الموهوبين، لا تعش نصف حياة، ولا تمت نصف موت، لا تختار نصف حل، ولا تقف في منتصف الحقيقة، لا تحلم نصف حلم، ولا تتعلق بنصف أمل، إذا صمتت.. فاصمت حتى النهاية، وإذا تكلمت.. فتكلم حتى النهاية، لا تصمت كي تتكلم، ولا تتكلم كي تصمت. إذا رضيت فعبر عن رضاك، لا تصطنع نصف رضا، وإذا رفضت.. فعبر عن رفضك؛ إن نصف الرفض قبول.. النصف هو حياة لم تعشها، وهو كلمة لم تقلها، وهو ابتسامة أجلتها، وهو حب لم تصل إليه، وهو صداقة لم تعرفها.. النصف هو ما يجعلك غريباً عن أقرب الناس إليك، وهو ما يجعل أقرب الناس إليك غرباء عنك. النصف هو أن تصل وأن لا تصل، أن تعمل وأن لا تعمل، أن تغيب وأن تحضر.. النصف هو أنت، عندما لا تكون أنت.. لأنك لم تعرف من أنت، النصف هو أن لا تعرف من أنت.. ومن تحب ليس نصفك الآخر.. هو أنت في مكان آخر في الوقت نفسه. نصف شرية لن تروي ظمأك، ونصف وجبة لن تشبع جوعك، نصف طريق لن يوصلك إلى أي مكان، ونصف فكرة لن تعطي لك نتيجة. النصف هو لحظة عجزك وأنت

لست بعاجز.. لأنك لست نصف إنسان أنت إنسان وجدت كي تعيش الحياة، وليس كي تعيش نصف حياة.¹

وعالج بإخلاص وشجاعة، الكثير من المسائل التي شغلت وما زالت تشغل بال الإنسانية، حيث تتغير المفاهيم من زمان الى آخر، ويبقى يجمعها التآلف العضوي بين البدايات الغربية والبدايات العربية الشرقية.²

وتتصاعد رومانسية (جبران)، فينتهي إلى أن القوة الإنسانية، تكمن في الروح الخاص والعام:
"أحبُّ مسقط رأسي ببعض محبتي لبلادي، وأحب بلادي بقسم من محبتي لأرض وطني، وأحب الأرض بكليتي، لأنها مرتع الإنسانية المقدسة روح الألوهية على الأرض، تلك الإنسانية الواقفة بين الخرائب."³

ونادى بالتغيير والاستنارة بالروح؛ فكل جميل إنساني، وكل إنساني ينتسب إلى الروح السامية:
"أنت أخي وأنا أحبك؛ أحبك ساجدا في جامعك، وراكعا في هيكلك، ومُصليا في كنيسةك، فأنت وأنا أبناء دين واحد هو الروح. وزعماء فروع هذا الدين أصابع ملتصقة في يد الألوهية المشيرة إلى

¹ - جبران خليل جبران، المجنون، ترجمة، تحقيق: أنطونيوس بشير، ط01، القاهرة: دار العرب للبيستاني، 1990م، ص 82.

² - يوسف الحويك - جبران خليل جبران. تاريخ الاطلاع: 2003/4/06م.

³ - جبران خليل جبران، يسوع ابن الإنسان، ترجمة: ثروت عكاشة، ص 70.

كمال النفس.¹

وكان يرى أن الحياة كريهة جداً، لكنَّ الانسان عاجز عن الأخذ والقبول، لأنه بعيد عن الأجواء
الحرّة التي تلتقي فيها القلوب بالقلوب، وتسبح فيها الأجساد دون حاجة إلى شرائع وطقوس وعادات:

مَا أَكْرَمَ الْحَيَاةَ وَمَا أَسْنَى هَيْبَتَهَا

مَا أَحْوَدَ الْأَرْضَ وَمَا أَبْسَطَ رَاحَتَهَا

وَلَكِنْ مَا أَعْجَزَنِي عَنِ الْأَخْذِ وَالْقَبُولِ

مَا أَصْغَرَ جَرِيئِي أَمَامَ فَيْضِ الْحَيَاةِ..

تُرَى هَلْ أَنَا وَحْدِي زَهِيئُ الظُّلْمَتَيْنِ ظُلْمَةُ الْأُنَانِيَّةِ وَظُلْمَةُ الاستِكْفَاءِ؟

وَمَا أَشْبَهَ فِكْرِي اللَّاحِظَةَ إِلَى الْمَعَادِرَةِ بِرُوحِكُمْ الْمُتَحَجِّبَةَ عَنِ فُضَاءِ اللَّهِ²

وتتبعه ملاحقة مواكب الشعوب والأمم المستعبدة، فيرفض بحدسه الغيبي، عقلانية العالم، ويتنبأ

بالإنسان المتفوق، المدرك لأسرار الوجود والعدم، مبشراً العالم كله بميلاد ابن الحرية القادم:

"فإنَّ الصوت لا يستطيع أن يحمل اللسان والشففتين اللواتي تسلَّحن بجناحيه، ولذلك فهو وحده

يخترق حجب الفضاء."³

¹ - جبران خليل جبران، دمعة وابتسامة، تقديم: د. جميل جبر، ص ص 210 - 211.

² - أنطوان القوال، جبران خليل جبران (نصوص خارج المجموعة)، بيروت: دارالجيل، 1994م، ص 35.

³ - جبران خليل جبران، النبي، ترجمة: أنطونيوس بشير، تقديم وتعريف: جميل جبر، ضبط وشرح ومداخلة: سامي ج. الحوري، بيروت: دار صادر، ط 4، 1997م، ص 68.

3- جبران السياسي:

تفاعل (جبران) مع قضايا عصره، ولم يُفصل مشروع الأدبي والفني عن نضاله السياسي، فكان قوميا منفتحا غير متعصّب، وحارب التبعية العربية للدولة العثمانية، ونَدَّد بالعبودية التي تقود شعبا وفقا لقوانين شعب آخر، ووقف ضد تسييس الدين، وكتب في مقالته (رسالة إلى المسلمين من شاعر مسيحي):

"أنا لبناني ولي فخر بذلك، ولست بعثماني، ولي فخر بذلك أيضا.. لي وطن أعتز بمحاسنه، ولي أمّة أتباهى بمآتيها، وليس لي دولة أنتمي إليها وأحتمي بها. أنا مسيحيّ ولي فخر بذلك، ولكنني أهوى النبي العربي، وأكبر اسمه، وأحب مجد الإسلام وأخشى زواله. أنا شرقيّ ولي فخر بذلك، ومهما أقصتني الأيام، عن بلادي أظل شرقيّ الأخلاق سوريّ الأميال، لبنانيّ العواطف. أنا شرقيّ، وللشرق مدينة قديمة العهد، ذات هيبه سحرية ونكهة طيبة عطرية، ومهما أعجب برقيّ الغربيين ومعارفهم، يبقى الشرق موطننا لأحلامي ومسرحا لأمانيّ وآمالي. في تلك البلاد الممتدة من قلب الهند إلى جزائر العرب، المنبسطة من الخليج العربي إلى جبال القوقاس، تلك البلاد أنبتت الملوك والأنبياء والأبطال والشعراء، في تلك البلاد المقدّسة تتراكم روعي شرقا وغربا، وتتسارع قبلة وشمالا، مردّدة أغاني المجد القديم، محدّقة إلى الأفق لترى طلائع المجد الجديد. بينكم أيها الناس من يلفظ اسمي مشفوعا بقوله: هو فتى جحود يكره الدولة العثمانية ويرجو اضمحلالها. إي والله لقد صدقوا، فأنا أكره الدولة العثمانية، لأنني أحب العثمانيين، أنا أكره الدولة العثمانية، لأنني أحترق غيرة على الأمم الهاجعة في ظل العلم العثماني، أنا

أكره الدولة العثمانية، لأنني أحب الإسلام، وعظمة الإسلام، ولي رجاء برجوع مجد الإسلام. أنا لا أحب العلة، ولكنني أحب الجسد المعتل، أنا أكره الشلل، ولكنني أحب الأعضاء المصابة به. أنا أُجَلِّ القرآن، ولكنني أزدري من يتخذ القرآن وسيلة لإحباط مساعي المسلمين، كما أنني أمتهن الذين يتخذون الإنجيل وسيلة للتحكم برقاب المسيحيين. وأني منكم أيها الناس لا يكره الأيدي التي تهديم، حبا للسواعد التي تبني؟ أي بشري يرى العزم نائماً ولا يطلب إيقاظه؟ أي فتى يرى العظمة متراجعة إلى الوراء ولا يخشى انحجابها؟ خذوها يا مسلمون، كلمة من مسيحي أسكن (يسوع) في شطر من حشاشته و(محمد) في الشطر الآخر؛ إن لم يتغلب الإسلام على الدولة العثمانية، فسوف تتغلب أمم الإفرنج على الإسلام، إن لم يقم فيكم من ينصر الإسلام على عدوه الداخلي، فلا ينقضي هذا الجيل إلاً والشرق في قبضة ذوي الوجوه البائخة والعيون الزرقاء.¹

وندد بكذب السياسيين في بلاده:

"لكم لبنانكم ومعضلاته، ولي لبناني وجماله.. لكم لبنانكم بكل ما فيه من الأغراض والمنافع، ولي

لبناني بما فيه من الأحلام والأمان.

لكم لبنانكم فاقنعوا به، ولي لبناني وأنا لا أقنع بغير المجرى المطلق.

¹ - أنطوان القوال، جبران خليل جبران (نصوص خارج المجموعة)، ص ص 89 - 91.

لبنانكم عقدة سياسية تحاول حلها الأيام، أمّا لبناني فتلول تتعالى بهيبة وجلال نحو إزرقاق السماء.¹

وأذكت مظاهر الظلم وجبروت الساسة من ثورته،² وهذه برأيه:

"مأساة الإنسان المستتبة على مسرح الدهر، وقد كثُر المتفرّجون المستحسنون وقلّ من تأمل وعقل."³

وكثيرا ما يُحيلنا النقد الأدبي العربي، إلى مؤلفات (جبران) العربية، على أنها ثورة رومانسية ضد المؤسسة الإقطاعية والدينية، فيختار الجنون في (الجنون)، دفاعا عن الحق ورفع راية العدل، ورفضاً لأمر لا يقبلها العقل ولا الأديان، ويدعو في قصة (خليل الكافر)، من مجموعة (الأرواح المتمردة)، إلى: أولاً: التحرر من هيمنة السلطة الإقطاعية والدينية، التي تتحكّم بعقول الناس الناشئين على إحترام التقاليد؛ فلا سلطة تُنزل من عل، بل تنبثق من الشعب فيمارسها دون وسيط. وهي الديمقراطية بالمعنى الحديث.

ثانياً: فك الإرتباط القائم في كافة المجتمعات التقليدية بين الدين والشأن السياسي، وإزالة التنافر المذهبي الذي يعمل على التفرقة بين الناس. وفي ذلك تأكيد على مبدأ العلمانية.

¹ - جبران خليل جبران، البدائع والطرائف، تحقيق، ترجمة: نازك سابا يارد، بيروت: مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع، ط 1، 2003م، ص 87.

² - بنان محمود أبو عيد، جبران خليل جبران أديب المهجر الأكبر، عمان: دار الاسراء والوضاح، 2005م، ص 17.

³ - جبران خليل جبران، دمة وابتسامة، تقديم: د. جميل جبر، ص 197.

ثالثا: منع الإستغلال الإقتصادي وتحقيق العدالة الإجتماعية؛ فيتضامن الناس في العمل، ويأخذ كل فرد ما يكفي لسدّ حاجاته. ويبدو أنها أقرب إلى شيوعية سمحاء لا تخلو من الطوباوية.

رابعا: العمل بجد ذاته وبغض النظر عن ضرورته الإجرائية، بوصفه قيمة أخلاقية أساسية.

خامسا: وينحدر عن المبدأ السابق، بتحقيق إنتاج محلي يؤمّن الاكتفاء الذاتي، واستقلال تام عن الموارد الخارجية، وهو ما نطلق عليه الآن مصطلح (الأمن الغذائي).

سادسا: الانفتاح على العالم الرحب، دون عدائية أو مطامع؛ فلا حدود تعزل، ولا جيش يُدافع أو يُهاجم، ولا شرطة تَقَمَع، ولا سلطة معنوية تحتكر تأويل المفاهيم الإنسانية السامية.

4- جبران الناقد:

حارب (جبران) التقليد والتكرار، وأصرّ على التجديد في جميع مجالات الأدب:

جَاوَزْتُمُ الْأَمْسَ وَمِلْنَا إِلَى

يَوْمٍ مُؤَسَّى صُبْحُهُ بِالْحَقَاءِ

وَرُزْمَتُمُ الذِّكْرَى وَأَطْيَافَهَا

وَنَحْنُ نَسْعَى خَلْفَ طَيْفِ الرِّجَاءِ¹

وكان سبّاقا إلى إقامة الموازنات والمقارنات واختراق المؤلف، فكان واحدا من المبدعين

المجددين في الشعر وأدواته في زمنه وكل الأزمنة من بعده.

وأتسع اهتمامه بتراث العرب الجمالي والفكري نصّا ودرسا، فجرّب صبيا ببشري الشعر باللهجة

المحكية، وكان يرى أن اللهجات المحكية، بأغانيتها الشعبية كالعتابا والموال والزجل، غنية بالكنيات

¹ - جبران خليل جبران - يا من يعادينا. تاريخ الاطلاع: 2008/2/6م.

المستجدة والاستعارات المستملحة والتعابير الرشيقة، ولو أن عبقرها وضع كتابا عظيما في إحدى تلك اللهجات، لتحوّلت هذه إلى لغة فصحي، ولكن الشرقيين أشدُّ ميلا إلى الماضي منهم إلى الحاضر أو المستقبل، وبني رأيه على ما حدث في إيطاليا وبقية بلدان أوروبا، من سيطرة اللهجات العامية على اللغة اللاتينية.¹

فيما حملة انفتاحه يافعا في بوسطن على مخزن الشرق النوراني، وشغفه شابا في مدرسة (الحكمة) بكنوز الأدب العربي، إلى الارتباط كيانيا بالعرب وثقافتهم وروحهم وقيمهم، فدعا إلى الإحتفاظ بشروة التراث واللغة المرتبطة به، وكان له كلام عن العربية أدبا ونقدا ولغة وحضارة، فتحدّث دينيا عن الإسلام والقرآن والرسول -صلى الله عليه وسلم- والإمام علي، وصوفيا عن ابن الفارض والغزالي وأفهام السرياني ويوحنا الدمشقي، وفكريا عن ابن رشد وابن خلدون وابن سينا وأبي العلاء، وأدبيا عن المعري وأبي نواس والمنتبي وأديب إسحاق والخنساء وعنترة...

أمّا شاعرية (جبران) في شكلها المنظوم أو المنثور، فهي سيرورة إنسانية مطرّدة، لها دلالاتها وإيقاعاتها ولغتها ورؤاها؛ فكما أنّ لكل مجتمع وعصر شاعريته وقصيدته، التي تنبع من مجمل ثقافته وحضارته وقدرته الإبداعية، فثمة أيضا في كل زمان ومجتمع، شاعر أو أكثر يتجاوز حاضره في نصه الشعري بما يشبه الرؤيا والنبوءة والإشارة إلى المستقبل:

مَا عَسَى يَرْجُو نَبَاتٌ يَحْتَلِفُ زَهْرُهُ عَنْ كُلِّ وَرْدٍ وَشَقِيقُ

¹ - ربيعة أبي فاضل، جبران والتراث العربي، دمشق: دار المشرق العربي، 2004م، ص 67.

وَحَدِيدُ الْقَلْبِ أَيْ يَأْتَلِفُ مَعَ قُلُوبِ كُلِّ مَا فِيهَا عَتِيقٌ¹

ويحدث الالتباس غالبا حول حقيقة الشاعرية؛ ذلك أنها كالحياة تُدرس تظاهراتها لكن لا يدرك

سرهما، وإذا تساءلنا ما الشاعرية؟ كأننا نتساءل ما الحياة؟

فهي حالة تسبق الفكرة، تسبق الغاية، وتسبق الكلام والصورة، فهي تأتي دون قرار مسبق، تأتي

محمّلة بكلماتها وفكرتها وصورتها، وهي لا تكمن في الوضوح، بل تخطف الشاعر من حال يكون عليه

إلى حال يصير إليه، كبرق يضيء كوامن الشاعر ويمضي تاركا في اللغة وهججه، وفي الصورة جنوح الخيال،

وفي المعنى تعدد ينغلق فلا يدركه السبر ولا التعريف المحدد، بل يشكّل فضاء شاسعا للتأويل.. وهي بهذا

المعنى جدلية فيزيائية، بين الطبيعة بعناصرها وكائناتها والكائن الإنساني، ينكشف فيها للشاعر سر

العناصر وسحرها وثرء الكون والحياة.

في حين اعتمد المثل أسلوبا والرمز كمغزى أخلاقي، في ثلاثيته الإنجليزية: المجنون – السابق –

التائه؛ وما البراقع السبعة للمجنون، إلا حُجُب المجتمع وأقنعتة، و(المجنون) هو الخطوة الأولى نحو انعدام

الأنانية، وكشف حماقة الناس وجبنهم، والوسيلة إلى أسرار الحياة وغايتها وسموّها الروحي والتوق إلى

كماها.²

¹ - جبران خليل جبران - البلاد المحجوبة. تاريخ الاطلاع: 2015/11/28م.

<https://ourarabicculture.wordpress.com>

² - جبران خليل جبران، المجنون، تحقيق، ترجمة: أنطونيوس بشير، ط 1، القاهرة: دار العرب للبيستاني، 1990م.

فيما تناول في كتابه الثاني (السابق)، مفهوم وحدة الوجود، معتقداً بفكرة التقمُّص، وأن حياتنا الحاضرة، هي لاحقة لحياة مضت قبلها أو سابقة لحياة ستأتي بعدها، والحياة الآتية بعدها ستصبح بدورها سابقة لحياة أخرى.¹

ويبدو كتابه الثالث (التائه)، ليس سوى اسم آخر للمجنون، يسخر فيه (جبران) من ازدواجية البشر والتناقضات التي تفتك بهم.²

لتجسّد ثلاثية الأخرى باللغة الإنجليزية: النبي - حديقة النبي - يسوع ابن الإنسان، ذروة نضجه، وخلاصة تجاربه وتأمّلاته في الحياة والإنسان والكون والعلاقات المتسامية.

فيما تُصنّف نصوصه العربية بأنها وعظمية، وفتحت رسائله ومسوّداته التي سبقت مؤلّفاته، آفاق جديدة في فهم حميمياته العاطفية والفكرية.³

ويكاد هذا النتاج/الموقف، أن يكون علامة فارقة في تُراث تباينت حوله الآراء، لكن كان هناك دائماً إجماع على شموليته الإنسانية، التي تُروحن الغرب بحكمتها الصوفية، وتُخرج الشرق من المسلمات المسبقة إلى التجربة الشخصية الحيّة باتجاه المطلق:

1- جبران خليل جبران، السابق، تحقيق، ترجمة: نازك سابا يارد، بيروت: مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع، ط 1، 2003م.

2- جبران خليل جبران، التائه، تحقيق، ترجمة: نازك سابا يارد، بيروت: مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع، ط 1، 1992م.

3- جبران خليل جبران، الرسائل، المجموعة الكاملة لمؤلّفات جبران خليل جبران: تقديم: أنطوان محسن القوال، بيروت: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، 1994م.

"يا سيفي البتار وترسي البراق، قد قرأت في عينيك أن الإنسان متى جلس على عرش الملك صار عبدا، ومتى أدرك الناس أعماق روحه فقد طوي كتاب حياته، ومتى بلغ كماله فقد قضى نجه".¹

5- عقيدة جبران:

لم يكن (جبران خليل جبران) شاعرا ولا أديبا ولا مفكرا ولا رساما فحسب، لكنه كان أيضا معلما روحيا ومناضلا إنسانيا ثائرا، ولم يكن رومانسيا بدقة، ولا رمزيا يشهد له الرمزيون، ولا مثاليا يكتبه الجوهر المجرد، وإنما كان الجنون والثائر والمتمرد والحكيم، تجاوزَ رومنطيقيته إلى التزام سياسي مُعاد للبطش العثماني، والفكرة الصهيونية معا، ثم إلى انسحاب صوفي وإيمان بالخلاص الفردي..

وتتلخّص تعاليمه في وحدة الروح، ووحدة الوجود، وخلود الحياة:

"أَيْتُهَا الْعَمَامَةُ، يَا أُخْتِي الْعَمَامَةُ

أَنَا وَأَنْتِ الْآنَ شَيْءٌ وَاحِدٌ

لَمْ أَكُنْ ذَاتًا مُنْذُ وَقْتِ طَوِيلٍ

الْجُدْرَانُ انْهَارَتْ

وَالسَّلَاسِلُ انْكَسَرَتْ

وَأَنَا ارْتَفَعْتُ إِلَيْكَ

وَسُنْبُحْرُ مَعًا إِلَى أَنْ يَأْتِيَ يَوْمُ الْحَيَاةِ الثَّانِيَةِ

¹ - جبران خليل جبران، مناجاة أرواح، الدوحة: المكتبة الثقافية للنشر والتوزيع، 1997م، ط 1، ص 70.

عِنْدَمَا يُلْقِيكَ الْفَجْرُ قَطْرَاتُ نَدَى فِي حَدِيقَةٍ

وَيَقْدِفُ بِي طِفْلاً فِي حُضْنِ امْرَأَةٍ...¹

أما التدئين، فحالة استبطانية، وليس سلعة بين يدي المحتالين:²

الَّذِينَ فِي النَّاسِ حَقْلٌ لَيْسَ يَزْرَعُهُ

غَيْرُ الْأُولَى لَهُمْ فِي زَرْعِهِ وَطَرَ

مِنْ أَمَلٍ بِنَعِيمِ الْخُلْدِ مُبْتَشِرُ

وَمِنْ جَهَوْلٍ يَخَافُ النَّارَ تَسْتَعِرُ

وَالْقَوْمُ لَوْلَا عِقَابُ الْبَعْثِ مَا عَبَدُوا رَبًّا

وَلَوْلَا التَّوَابُ الْمُرْتَحَى كَفَرُوا

كَأَنَّمَا الْيَدِيُّ ضَرَبُ مِنْ تَجَارَتِهِمْ

إِنْ وَأَظْبُوا رُحُوا أَوْ أَهْمَلُوا خَسِرُوا³..

ولن يتسنى لقاء الروح الكلّية، إلا لمن أخذ شرطه الإنساني على محمل الجد، فسعى إلى الكمال:

¹ - جبران خليل جبران، حديقة النبي، تحقيق، ترجمة: سامي ج. الخوري، ص 97.

² - ربيعة أبي فاضل، جبران والتراث العربي، ص 56.

³ - خليل جبران، جبران. المواكب، ص 71.

"باطلة هي الاعتقادات والتعاليم التي تجعل الإنسان تعسا في حياته، وكذّابة هي العواطف التي تقوده إلى اليأس والحزن والشقاء. لأن واجب الإنسان أن يكون سعيدا وأن يعلم سبل السعادة ويهدي الناس إليها أينما كان."¹

ويكتب إلى (ماري هاسكل):

"ما من شيء ينبغي أن يُظهر الأشياء سوداء لعينيك أو لعينيّ، فما يشعر به الناس ويفكرون فيه هو جزء من الحياة، وأنت وأنا قبلنا دائما الحياة بأسرها، فحذر الشجرة ليس أعلى من أدنى أغصانها."²
ويختلف يسوع (جبران) تماما عن يسوع الإنجيل، في (يسوع ابن الإنسان)؛³ فهو ليس إلهًا، بل إنسانٌ حُرٌّ جَبَّارٌ، متمرِّدٌ على التقاليد الدينية، يعشق الفرح ويحمل إلى الناس رسالة الغفران والمحبة،⁴

¹ - جبران خليل جبران، الأرواح المتمردة، بيروت: دار الجيل، 2011م.

2- "Nothing should show black things to your eyes or my eye, so what people feel and think about is part of Life, you and I always accept the whole life, the root of the tree is no higher than the bottom of its branches."

Virginia Hilu, Beloved Prophet, The love letters of Kahlil Gibran and Mary Haskell and her Private Journal. Kahlil Gibran à Mary Haskell, p 67.

³ - حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص 229.

⁴ - جبران خليل جبران. يسوع ابن الإنسان، ترجمة: ثروت عكاشة، ط 6، 1999م.

مثما تصوّره فلسفة الموحدين (Unitarianism)، المنتشرة بين بعض الطبقات الخاصة من المجتمع الأمريكي.¹

أمّا رسالة النبي المهاجر في (حديقة النبي)، فتبقى دائماً وأبداً من أجل الإنسان في كل زمان ومكان للأخذ بيده إلى عالم أسمى.²

وقد نشأت بينه وبين بهائية أمريكية تدعى (جوليت تومسون)، كان بيتها مقابل بيته في منطقة (مانهاتن غرينويتش) بنيويورك سنة 1911م، صداقة قوية، ومن خلالها تعرّف على رسالة مؤسس الدّين البهائي في إيران (الميرزا حسين علي النوري المازندراني)، الملقّب بـ (بهاء الله) (1817م – 1892م)،³ وتنفيذاً لوصيته، خلفه ابنه الأرشد (عباس أفندي) (1844م – 1921م)، في تدبير أمور الجامعة البهائية.⁴

¹ – وديع ديب، الشعر العربي في المهجر الأميركي، بيروت: دار العلم للملايين، ط 2، 1993م، ص 175.

² – جبران خليل جبران، حديقة النبي، تحقيق، ترجمة: سامي ج. الخوري، دمشق: مؤسسة علاء الدين للطباعة والتوزيع والتوزيع، ط 1، 2004م.

³ – حسين علي نوري - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. تاريخ الاطلاع: 2015/12/18م.

<https://ar.wikipedia.org>

⁴ – عبد البهاء عباس - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. تاريخ الاطلاع: 2016/8/26م.

<https://ar.wikipedia.org>

وهي إحدى الديانات التوحيدية، التي تؤكد في مبدأها الأساسي على الوحدة الروحية للجنس البشري،¹ فاطَّلَعَ (جبران) على كتاباته العربية، وحين اجتمع بهائيو نيويورك ذات مساء، في قاعة المركز البهائي بالمدينة، لمشاهدة فيلم متحرِّك يعرض زيارة حضرة (عبد البهاء) لأمريكا، حضر (جبران) إلى الاجتماع، وكان يجلس إلى جانب (جوليت) في الصف الأمامي، لكنَّه أجهش بالبكاء عندما شاهد حضرة (عبد البهاء) على الشاشة، وحينها طلب منه الحضور إلقاء كلمة بالمناسبة، فقام على التو ووقف على المنصة، فيما كانت عيناه تغورقان بالدموع، وخاطب جمهور البهائيين الأمريكيين، مُعلنًا أن (عبد البهاء) هو مظهر الله في هذا اليوم، ولم يزد على ذلك أي كلمة، ودموعه ما تزال تنهمر، فنزل عن المنصة، وعاد للجلوس إلى جانب (جوليت)، فأمسك بيدها، وقال لها بأنها فتحت أمامه بابا في هذه الليلة، وبعدها غادر القاعة.²

وتتسع آفاق (جبران) في البحث عن سعادة الإنسان وخلوده، إلى التفرُّع بالشرقيين، لشدة ما هم طيِّعين للاسترقاق:

"ماذا تطلبون من الحياة، والحياة لم تعد تحسبكم من أبنائها؟ أرواحكم تنتفض في مقابض الكهَّان والمشعوذين، وأجسادكم ترتجف بين أنياب الطغاة والسفَّاحين، وبلادكم ترتعش تحت أقدام

¹ - بهائية - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. تاريخ الاطلاع: 2015/1/09م.

<https://ar.wikipedia.org>

² - جبران خليل جبران - البهائيون في لبنان. تاريخ الاطلاع: 2016/9/15م.

www.bahaileb.org

الأعداء الفاتحين. فماذا ترجون من وقوفكم أمام وجه الشمس؟ دينكم رياء، ودنياكم ادعاء، وآخرتكم هباء. فلماذا تحيون والموت راحة الأشقياء؟ أنا أكرهكم يا بني أُمي لأنكم تكرهون المجد والعظمة، أنا أحتقركم لأنكم تحتقرون نفوسكم، أنا عدوكم لأنكم أعداء الآلهة ولكنكم لا تعلمون.¹

وما العبودية إلا أدوار تمثيلية على مسرح الحياة الإنسانية:

"يطلب الشرقيون من الكاتب أن يكون كالنحلة التي تطوف مرفرفة في الحقول، جامعة حلاوة الأزهار لتصنع منها أقراصا من العسل. إنَّ الشرقيين يحبون العسل ولا يستطيعون سواه مأكلا، وقد أفرطوا بالتهامه حتى تحوّلت نفوسهم إلى عسل تسيل أمام النار ولا تتجمد إلا إذا وضعت على الثلج. وبالاختصار فالشرقيون يعيشون في مسارح الماضي الغابر ويميلون إلى الأمور السلبية المسلية المفككة، ويكرهون المبادئ والتعاليم الإيجابية المجردة التي تلسعهم وتنبههم من رقادهم العميق المغمور بالأحلام الهادئة. إنما الشرق مريض قد تناوبته العلل وتداولته الأوبئة حتى تعود السقم وألف الألم، وأصبح ينظر إلى أوصابه وأوجاعه كصفات طبيعية بل كخلال حسنة ترافق الأرواح النبيلة والأجساد الصحيحة، فمن كان خاليا منها غُدَّ ناقصا محروما من المواهب والكمالات العلوية، وأطباء الشرق كثيرون يلازمون مضجعه ويتآمرون في شأنه، ولكنهم لا يداوونه بغير المخدرات الوقتية التي تطيل زمن العلة ولا تُبرئها. أمّا تلك المخدرات المعنوية فكثيرة الأنواع متعدّدة الأشكال متباينة الألوان، وقد تولّد بعضها عن بعض مثلما تناسخت الأمراض والعاهات بعضها عن بعض. وكلما ظهر في الشرق مرض جديد يكتشف له

¹ - جبران خليل جبران، العواصف، القاهرة: دار العربي للبيستاني، 1997م، ص 71.

أطباء الشرق مخدراً جديداً. وأما الأسباب التي آلت إلى وجود المخدرات فعديدة، أهمها استسلام العليل إلى فلسفة القضاء والقدر المشهورة، وجبانة الأطباء وخوفهم من تهيج الألم الذي تحدثه الأدوية الناجعة.¹

ويبقى (جبران)، بين هواجسه ومثاليته! الكتلة العصبية على الفهم الغربي بملكاته التحليلية، وعلى الفهم الشرقي بأحكامه الأخلاقية، جدّ في البحث عن الحقيقة، فكان نبي عصره وكل العصور..

شخصية المجنون ودلالاتها في أدب جبران:

يُمكن لقارئ (جبران) أن يلاحظ بوضوح، أن مجنون (جبران) قد حمل مفهوماً مغايراً للشخص الذي يسبُّ ويخرق الثوب، فهو غالباً المتمرد على الواقع، والرافض للشرائع الظالمة، والطامح إلى بناء عالم آخر أكثر إنسانية وجمالاً وعدالة، كما استخدمه (جبران) ليصف نفسه، بعد أن يعطيه دلالات التطرّف، والنقمة، وهدم القديم البالي لبناء الجديد المتقدّم.

ويضفي على مجنونه في حكاية (كيف صرت مجنوناً)، من كتاب (المجنون)، طابع الأسطورة والقداسة، عندما يجعله قديماً قدم الزمان نفسه:

"لكنني مجنون مُنجذب عن العالم الذي تقطنه أنت إلى عالم غريب بعيد.²"

¹ - جبران خليل جبران، العواصف، ص 59.

² - جبران خليل جبران، المجنون، تحقيق، ترجمة: أنطونيوس بشير، ط 1، القاهرة: دار العرب للبستاني، 1990م، ص 21.

ويصبح في نص (الوجوه)، الرائي والعارف المستبصر القادر على اختراق حجب المظاهر

الخارجية للنفاد إلى الحقيقة الكامنة في لبّ الأشياء:

"أنا أعرف الوجوه لأنني أنظفها بالحدس وأقاربها عبر إزالة حُجب الواقع حتى تتمكن أنفُسنا من

التواصل مع الروح الكلّي الخالد وهكذا أنظر إليها من خلال ما ينسجه بصري، فأرى الحقيقة التي

وراءها بياصرتي."¹

ولا تكتمل وحدة الوجود هذه في نص (الله)، إلاّ عند إيمانه بأنه ليس سوى جدول يطويه الله في

أعماقه:

"إلهي الحكيم العليم، يا كمالي ومحجّي، أنا أمسك وأنت غدي، أنا عروق لك في ظلمات

الأرض، وأنت أزاهر لي في أنوار السماوات، ونحن ننمو معا أمام وجه الشمس."²

وهكذا يكون المجنون تجلّيًا للإنسان الكامل، ولكن عليه أن لا يلتفت إلى الوراثة في نص (الليل

والمجنون)، ليرى آثار أقدامه على الرمال، ولا يرتعش أمام الآلام كي لا يهوله سماع أناشيد الهاوية، وأن

يتخذ من ذاته الجبّارة صديقا لا من ذاته الصغرى، وأن يكون شريعة نفسه، ويزيل القناع عن روحه،

ويحمل قلبه على كفه، لتتكشف له مكنونات نفسه ومكنونات اللانهاية.

ويكشف (يوحنا المجنون)، في (عرائس المروج)، زيف رجال الدين، الذين يستغلون أرديتهم

¹ - جبران خليل جبران، المجنون، تحقيق، ترجمة: أنطونيوس بشير، ص 40.

² - جبران خليل جبران، نفسه، ص 54.

السوداء في التحالف مع الحكّام والأغنياء أصحاب الشر.¹

ويثور (الإله المجنون) في (العواصف)، على تقديس العادات والتقاليد المزيفة الخادعة، وعدم قدرة البعض على فتح قلوبهم وعقولهم أمام رياح التجديد والتحديث، لذلك فهو يتوق إلى الثورة والحرية لتجديد الثقة بالحياة، غير معترف بقدسية أية تعاليم أو مبادئ غير تلك التي تنبع من نفسه:

"أنا ربُّ نفسي، أنا مجنون قويٌّ، أسير فتميد الأرض تحت قدميِّ، وأقف فتقف معي مواكب النجوم. وقد تعلّمتُ الاستهزاء بالبشر من الأبالسة، وفهمت أسرار الوجود والعدم بعد أن عاشرت ملوك الجنِّ ورافقت جبابرة الليل."²

لكنّه يدرك أن مرحلة الكمال تبقى حلما ميتافيزيقيا بعيد المنال:

"ولكن لم أنا ههنا، يا رب؟ لم أنا ههنا، وأنا ثمرة عجرا لم تنل شهوتها من النماء، وعاصفة صمّاء هوجاء لا شرقا تبتغي ولا غربا، وذرة هائمة تائهة من كوكب محترق ثائر؟... لم أنا ههنا؟ لم أنا ههنا، يا إله النفوس الضائعة، أيها الضائع بين الآلهة؟"³

ولا تفترق الدلالات السابقة، عن دلالة المجنون في التراث العربي، الزاخر بالأخبار والحكايات

والأقوال؛ فتمنحه تارةً معنى الاختلاف:

¹ - جبران خليل جبران، عرائس المروج، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران العربية، تقديم: د. جميل جبر، ص 69.

² - جبران خليل جبران، العواصف، ص 37.

³ - جبران خليل جبران، المجنون، تحقيق، ترجمة: أنطونيوس بشير، ص 62.

"المجنون من يخالف الناس في عاداتهم فيجزيء بما يُنكرون، ولذلك دعت الأمم الرسل مجانين
لأنهم شقوا عصاهم، فنادوهم وأتوا بخلاف ما هم فيه."¹
وتارةً معنى الرفض والتمرد:

"حدّثنا مشايخ همدان قالوا: كان عندنا مجنون تجتمع عليه الناس، فإذا اجتمعوا عليه قال لهم:
تَرُونَ ما أنتم فيه من حيرتكم وغفلتكم شيئاً، ما هو إلاّ محنة العبودية ووطأة الشريعة في الدنيا، والحبس
والحساب والسؤال والعذاب في الآخرة."²

وما كان للمجنون أن يكون مختلفاً، ورافضاً متمرداً، لو كان في حالة من الغفلة أو الجهل أو
ذهاب العقل، لذلك فهو العارف المستبصر:

"سمعت محمد بن علي بن الحسن الكوفي يقول: قال رجل لعليان المجنون: أجننت؟ قال: أمّا عن
الغفلة فنعم، وعن المعرفة فلا."³
وهو أيضاً البليغ والحكيم:

"وقد يأتي لهؤلاء المجانين كلام نادر محكم لا يُسمع بمثله."⁴
وهو كذلك الشخص الذي يهاؤه عامة الناس وخاصّتهم، ويعدونه من الأولياء والقديسين:

¹ – أبو القاسم الحسن بن حبيب النيسابوري، عقلاء المجانين، بيروت: دار النفائس، 1987م، ص 30.

² – المرجع نفسه، ص 323.

³ – أبو القاسم الحسن بن حبيب النيسابوري، عقلاء المجانين، ص 163.

⁴ – ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، بيروت: دار الكتب العلمية، 1982م، ج 7، ص 80.

"سيدي عبد القادر الدشطوطي، الذي كانت له هيئة المجاذيب، كان له القبول التام عند الخاص والعام، وكان السلطان قايتباي يمرّغ وجهه على أقدامه."¹

مفهوم الحرية الجبرانية وهدفها:

فقط الإنسان الحر من يستطيع تحقيق غاياته وأهدافه، أما المستعبَد فلا يستطيع أن يحقّق شيئا، والحرية فعل إرادي، وليس حُلما ننتظر تحقيقه بأعجوبة:

"يقولون لي: إذا رأيت عبدا نائما فلا تنبّه لعلّه يحلم بحريّة، وأقول لهم: إذا رأيت عبدا نائما نَبّهته وحدّثته عن الحرية..²

ولأنّ الإنسان هو القائد لدقّة حياته، فليقُدّها كما يشاء وليجعل الله له عوناً فهو محرّر الجميع. ويبقى عليه، إذا أراد أن يكون عظيما بعظمة خالقه، أن يستعيد حقه الذي سلب منه، ويحتاز قسوة الشرائع، التي تنتقص من دور الحقيقة المثلى في بناء كيانه، وتقف عائقا أمام مسيرته نحو الجد، وكأننا به، يكتب لإنسان العالم، مخاطبا عالم الإنسان..³

والحرية شاملة على غرار الحقيقة، ولا حقيقة حيث لا حرية، فالحق هو الحرية، وما العبوديّة سوى قُبُول ضمني من الإنسان لجميع أشكالها، وإدّا لا يكون حرّا بما في الحرية من الحق والواجب.

¹ - عبد الوهاب الشعراي، لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، ترجمة، تحقيق: خليل منصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1997م، ص 75.

² - سهيل بديع بشروني، جبران خليل جبران - مختارات ودراسات (مهرجان جبران العالمي من 23 إلى 30 ماي 1970) بيروت: دار المشرق، 1970م، ص 31.

³ - غسان خالد، جبران الفيلسوف. بيروت: مؤسسة نوفل للطباعة والنشر، ط 2، 1983م، ص 39.

أما الحق فيحتاج إلى رجلين؛ رجل ينطق به، ورجل يفهمه، ولذلك رأى (جبران)، أن يثور في

وجه الفروقات، لتعود الإنسانية إلى العدالة الطبيعية:¹

"وأني قانون يقيّد من يحدّق إلى الشمس ويركض مع الريح،

أو يقيّد من كسر قيوده ومزّق ثيابه وجارى الطبيعة مجازاة القبرة لسليقة الغناء!"²

ويعتمد (جبران) الحدس، طريقةً في التفكير والبحث، تماماً كما فعل الفيلسوف الفرنسي (هنري

برغسون H.Bergson) في فصل (الإلتزام الأخلاقي L'obligation morale)، من كتابه

(منبعاً الأخلاق والدين Les deux sources de la morale et de la religion)،³

والذي يتحدّث فيه عن الأخلاق المنفتحة (Morale ouverte)، التي تُمكن الإنسان المتفوّق من

كسر طوق المجتمع وقوانينه، وإبداع مفاهيم جديدة، مثبتاً حريته، في تحدّي المفاهيم السائدة بشجاعة،

والتخلّص من عبودية شرائع فُرضت عليه فرضاً..⁴ ولْيُفَعَل ما يشاء ما دام يفعلُه بكلّ جمال.

¹ - كعدي فرهود كعدي، جبران خليل جبران في الميزان، بيروت: منشورات كعدي، ط 1، ص ص 70 - 71، 1992م.

² - جبران خليل جبران، النبي، ترجمة: أنطونيوس بشير، ص 39.

³ - H. Bergson, Les deux sources de la morale et de la religion 88 .ème. Ed. - P.U.F. - 1958.

⁴ - هنري برغسون، منبعاً الأخلاق والدين، تحقيق، ترجمة: سامي الدروبي وعبد الله عبد الدائم، بيروت: دار العلم للملايين، ط 2، 1984م ص 109.

وإذ يستهين بكل ضوابط السلوك، فهو يرفض الحرية عن طريق الإشراق

(Illumination)،¹ أي الإضاءة والإنارة،² كمذهب فلسفي يؤمن بـ:

"ظهور الأنوار الإلهية في قلب الإنسان العارف الصوفي."³

ومعرفة الله من طريق الكشف: "نتيجة لانبعث نور من العالم غير المحسوس إلى الذهن."⁴

وعليه فينبغي أن نتكلم عن الحرية الجبرانية، من منطلق التحرُّر من المبادئ الجامدة التي تكبّل

الإنسان، وبطولة البحث عن جوهر مفقود، ومثال يُرثى كل ما هو موجود، لإبداع ما يجب أن يكون

عليه الوجود، لا كصفة للذات الإنسانية وشكل من أشكال الوحي.

وهي بذلك دعوة نحو حياة جديدة مليئة بالمتاعب ولكنها مُثمرة،⁵ فغاية الحرية هو الخلاص من

التناقض في حياة الإنسان، ومناهضة الأنا التي خلقت قيود الشريعة.

والإنسان يتوق إلى اللقاء بذاته، ولا وجود للشر، كعنصر مادي مستقل، وما الشر إن لم يكن

الخير بعينه وقد برّح به عطشه وجوعه؟

¹ - سليم بدوي، مقدّمة في فكر جبران السياسي، بيروت: منشورات ليبانيا، ط 1، 1983م، ص 57.

² - جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، بيروت: الشركة العالمية للكتاب، 1994م، ج 1، ص 35.

³ - بكري علاء الدين، الموسوعة العربية، دمشق: هيئة الموسوعة العربية، دت، ص 41.

⁴ - منير البعلبكي، موسوعة المورد العربية، بيروت: دار العلم للملايين، 1991م، ج 1، ص 45.

⁵ - يوحنا قمير، جبران في الميزان، بيروت: دار المشرق، ط 1، 1992م، ص 80.

إلّا أن افتقارنا لذاتنا الحقيقية، وغربتنا عنها في صراعنا الدائم بين الأنا المثالية، والأنا الأرضية، هو الذي ولّد الخير والشر، الذي استحق عليه بالتالي ثوابا أو عقابا..

أنواع الحرية الجبرانية:

لم يكن استعادة وجه الحياة القديم، ليُشبع خيال (جبران)، ولم يكن لديه بدٌّ من التحرّي عن الحرّية، في نطاقها الخاص والعام:

1- الحرية الصغرى:

وتتلخّص في تحرير الأدب من المقاييس القديمة التي يتشبّث بها المحافظون، وتحرير المجتمع من الظلم وقمع السلطات الأجنبية المحتلّة، وكأنّ تحرير الأدب من المظهر الخارجي عند (جبران)، إنّما هو لتحرير الحياة من التبعر والبشاعة واتّحادها بالجمال.

2- الحرية الكبرى:

وهي سبيل الإنسان المتفوّق للخروج من تقطيعات الزمان والمكان المقيّدة، ليتبيّن وجه الحقيقة المندفع فطريا نحو الألوهة؛¹ نحو الكمال، نحو حرّيته الكبرى، في مداها الكياني الماورائي المطلق.. أما شرطها الأساسي فالتخلّص من الماضي، ومن التاريخ ورواسبه.

وطريق الحرية الكبرى طويل وشاق، فالإنسان مدعوٌ للاتحاد بالإله:

"لَيْسَ دَمَكَ سِوَى عَصَاةٍ قَدْ أُعِدَّتْ مِنْذُ الْأَزَلِّ"

¹ - يوحنا الخوري، مع جبران في عالم الأرواح، صيدا: المطبعة المخلصية، 1959م.

غِذَاءً لِشَجَرَةِ السَّمَاءِ.¹

لذلك فتمنينا باهظ؛ فلا نستطيع إلقاء أثقال الزمن الماضي والحاضر، إلا إذا مررنا بالألم:

"إِنَّ مَا تَشْعُرُونَ بِهِ مِنَ الْأَلَمِ هُوَ انْكِسَارُ الْقَشِيرَةِ الَّتِي تُعَلِّفُ إِذْرَاكُمْ.

وَكَمَا أَنَّ قَشِيرَةَ النَّوَاةِ الصَّلْدَةِ يَجِبُ أَنْ تُحَطَّم

تُحَطَّمِ الْآلَامُ فُشُورَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَعْرِفُوا مَعْنَى الْحَيَاةِ.

لِأَنَّكُمْ لَوْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تُعِيرُوا عَجَائِبَ حَيَاتِكُمْ الْيَوْمِيَّةَ حَقَّهَا مِنَ التَّأَمُّلِ وَالتَّفَكِيرِ، لَمَا كُنْتُمْ تَرَوْنَ

آلَامَكُمْ أَقْلَ غَرَابَةٍ مِنْ أَفْرَاحِكُمْ.

بَلْ كُنْتُمْ تَتَعَبَّلُونَ فُضُولَ قُلُوبِكُمْ، كَمَا قَدْ قَبَلْتُمْ فِي مَدَى حَيَاتِكُمْ الْفُضُولَ الَّتِي مَرَّتْ عَلَيَّ

حُقُولِكُمْ.

وَهَذَا الْكَثِيرُ مِنْ آلَامِكُمْ هُوَ الْجُرْعَةُ الشَّدِيدَةُ الْمَرَارَةِ الَّتِي بِوَاسِطَتِهَا يَشْفِي الطَّبِيبُ الْحَكِيمُ السَّاهِرُ فِي

أَعْمَاقِكُمْ أَسْقَامَ نُفُوسِكُمْ الْمَرِيضَةِ.

لِذَلِكَ آمِنُوا بِطَبِيبِ نُفُوسِكُمْ وَتَقَوُّوا بِمَا يَصِفُهُ لَكُمْ مِنَ الدَّوَاءِ الشَّافِي، وَتَنَاوَلُوا جُرْعَتَهُ الْمَرَّةَ بِسَكِينَةٍ

وَطُمَأْنِينَةٍ.

لِأَنَّ يَمِينَهُ، وَإِنْ بَدَتْ لَكُمْ ثَقِيلَةً قَاسِيَةً، فَهِيَ تَتَحَرَّكُ مَقُودَةً بِيَدِ غَيْرِ الْمُنْظُورِ اللَّطِيفَةِ.

1- جبران خليل جبران، النبي، ترجمة: أنطونيوس بشير، ص 34.

وَالكَأْسُ الَّتِي يُقَدِّمُهَا إِلَيْكُمْ، وَإِنْ أَحْرَقْتَ شِفَاهَكُمْ، فَهِيَ مَصْنُوعَةٌ مِنَ الطِّينِ الَّتِي جَلَبْتَهُ يَدَا
الْحَزَافِ الْأَرَبِيِّ بِدُمُوعِهِ الْمُقَدَّسَةِ.¹

ويشاء (جبران) أن يبقى منطقيا؛ فحرّر الإنسان، وتحرّر هو بكل حكمة، وبراءة أطفال،
وشجاعة، وحب للجمال، في مواجهة الحقيقة.²

كانت تِلْكُمْ بَرَأِينَا، الملامح الأساسية، والعصب الرئيسي، الذي مهّد لموضوع كتابه الأشهر
(النبي)، كمفردة تتقاطع مع مفردات جبرانية أخرى، نحو الكافر والمجنون والشاعر... والتي كرّسته
كمجدّد فاعل، لا يُمكن لأحد أن ينزع عنه رداءه الأثيري المشع.³

وإن رَحَلَ، فقد بقيت روحه (أجنحة متكسرة) قست عليها الحياة، لكنها رغم ما عانت من
(عواصف)، لا تزال (النبي) الذي يعرف تماما أن الدنيا ليست إلاّ (دمعة وابتسامة).

¹ - جبران خليل جبران، النبي، ترجمة: أنطونيوس بشير، ص 59.

² - الشّمس اليباس أنطوان جانجي - الحرية في فكر جبران خليل جبران. تاريخ الاطلاع: 2015/01/01م.
www.nabilkhalil.org

³ - سهيل بديع بشروئي - نتذكر جبران ليحيا لبنان ونتذكر لبنان ليحيا جبران (الذكرى السنوية لغياب جبران
خليل
جبران ومرور ثلاثة أرباع القرن على وفاته). تاريخ الاطلاع: 2006/4/12م.
www.diwanalarab.com

جبران في الذاكرة العالمية:

لعلَّ (جبران)، ليس في حاجة إلى تخليد ذكره في الحجر أو البرونز أو سواهما، فهو أخلد منهما كإنسان وأبقى أثرا كشاعر وفنان، ولا نفع له أو لسواه من نصب يقوم في ساحة من مدينة، فيُمسي على التماذي محطة للعصافير ومصيدة للغبار.

وإذا كان المقصود من كل ذلك، يضيف صديقه اللدود (ميخائيل نعيمة)، تكريم (جبران)، فأجمل ما نكرّمه به، هو نشر أدبه وفنه بين الناس. ذاك أمرٌ على قلبه بما لا يقاس، وذاك ما أنفق حياته لأجله، فإنَّ تماثيل تقيمها روحه في أرواح الناس لأعظم وأروع من تماثيل يقيمها له الناس في ساحات المدن وعلى قوارع الطرق.¹

لكنَّ ذكرى (جبران) اختلفت بأشكالها وأبعادها في الضمير العالمي:

أ- الإتحاد العالمي لدراسة حياة جبران وآثاره:

الذي سيركز في أنشطته ومؤتمراته، وذلك منذ ولادته سنة 1931م، على يد رئيسه (سهيل بديع بشروئي)، على تأثير (جبران)، بموهبته الفطرية المصقولة بالجد والاجتهاد والتأمل العميق، في احترام حقوق الفرد والجماعة، وتبني نمط حياة جديد متحرر من الأزمات والنزاعات.²

¹ - ميخائيل نعيمة، جبران خليل جبران، بيروت: مؤسسة نوفل، ط 6، 1971م، ص 41.

² - ديب شاهين - قراءة أولى في الأدب المهجري. تاريخ الاطلاع: 2006/5/22م.

وهي القيم، التي جعلت منه، رغم مرور أكثر من خمسة وثمانون عاماً على غيابه، رمزاً لتوحيد الشعوب.

ب- حديقة النصب التذكاري في العاصمة واشنطن دي سي:

اجتمع في يوم من أيام العام 1982م، بعض العرب الأمريكيين، وقرروا إحياء ذكرى (جبران خليل جبران)، فلعل الرسالة الخالدة للبناني الأمريكي، الذي نطق بكلمات التسامح، وقبول الآخر، واحترام الأديان، تستطيع الجمع بين الفرقاء وإنهاء العنف الذي يشهده لبنان آنذاك، واتفقوا على تأسيس (منظمة ذكرى جبران خليل جبران المئوية)، وما هي إلاّ سنين قليلة من العمل، حتى أخذت المنظمة مكانتها اللائقة بهذا الشاعر، وأصبح الرئيس الأمريكي الأسبق (جيمي كارتر)، رئيساً لجنيتها الفخرية، وتمكّنت من تمرير قرار من الكونغرس الأمريكي، بتخصيص أرض مناسبة لبناء نصب (جبران) التذكاري.

وبالفعل فقد عمل (جورج متشيل)، عضو مجلس الشيوخ عن ولاية ماين، و(إبراهيم كازن)، عضو الكونغرس عن ولاية تكساس، و(ماري روز عكار)، عضوة الكونغرس عن ولاية أوهايو، على إيصال القرار إلى مكتب الرئيس (رونالد ريغن)، الذي وقّع على القرار بتاريخ التاسع عشر أكتوبر 1984م.

ووقع الاختيار على قطعة أرض في شارع (ماساتشوستس)، مقابل المنزل الدائم لنائب الرئيس الأمريكي والسفارة البريطانية، كاختيار يحمل في طياته الكثير من الرمزية؛ فهو طريق السفارات

(Embassy Row)، ما يناسب رسالة (جبران) العالمية، ناهيك عن قربه من المركز الإسلامي والكاثدرائية الوطنية، وإلى كل ذلك فهو بالولاية التي قضى فيها (جبران) طفولته وشبابه، وانطلق منها إلى العالمية.

وقد تكفلت شركتي (هيلموث أوباتا HOK & Hellmuth Obata)، و(كاسابوم الهندسية Kassabaum architects)، بتصميم النصب التذكري وفق الطراز الإسلامي، الذي عكس الجمال الهندسي للموروث العربي، فيما كان نحت التمثال البرونزي من نصيب (جوردان كراي Gordon Kray)، ولا يمكن أن يخطئ الزائر المعاني الراسخة في حجار الحديقة ومرمرها المصقول، حيث صدى أبيات خالدة لجبران.

ليتم إهداء حديقة النصب التذكري إلى الشعب الأمريكي، والتي تقبلها حينها في الرابع

والعشرين ماي 1991م، الرئيس الأمريكي (جورج اتش بوش)، الذي صرّح عند قص الشريط، بأنّ

هذا الإرث العظيم كان المفتاح الذي فتح خيالنا الإبداعي.¹

¹ – اقتفاءً لأثر جبران في الضمير الأمريكي. تاريخ الاطلاع: 2010/2/26م.

Kahlil Gibran



Artist	Gordon Kray
Type	Bronze
Location	Washington, D.C. ¹

1- Kahlil Gibran (Kray) -Wikipedia. تاريخ الاطلاع: 2017/10/19 م.
[https://en.wikipedia.org/wiki/Kahlil_Gibran_\(Kray\)](https://en.wikipedia.org/wiki/Kahlil_Gibran_(Kray))

ج- جائزة جبران:

أراد العرب الأمريكيون في الولايات المتحدة، إسماع صوتهم إلى صنّاع القرار في الحكومة الأمريكية، لما فيه النفع المشترك للأمة الأمريكية، بعرقياتها وثقافتها ودياناتها وأجناسها المختلفة، فأسسوا سنة 1985م، (المعهد العربي الأمريكي)، لكنهم أدركوا بعدها، أن نجاحه يبقى منقوصا، دون جهود منظمات، تعمل بشكل حثيث على إحداث تغيير إيجابي، ونجحوا في إقامة (جائزة جبران خليل جبران السنوية للروح الإنسانية)، لدعم أشخاص أو مؤسسات أو منظمات أو مجتمعات، استطاعت أن تعزّز مفاهيم التسامح والتعايش وقبول الآخر في بيئتها المحلية أو مجتمعها الأمريكي الأكبر، إيماننا بوحدة الروح، التي تتزوّج عن الغرق في وحل الفروقات التافهة والهامشية للعرق والشكل واللون والجنس.¹

ح- أكاديمية جبران خليل جبران العالمية:

وهي مدرسة إعدادية عامة، تُدرّس العربية إلى جانب الإنجليزية، تقع في حي (بروكلين) بمدينة نيويورك، فتحت أبوابها سنة 2007م، للمهاجرين على اختلاف لغاتهم ودياناتهم. تُعنى عمليا بتخريج طلبة وفق أبعاد عالمية؛ على قدر وافر من الفهم لثقافات أخرى غير ثقافتهم المحلية.

¹ - سهيل بديع بشروئي، عباس أفندي. بيروت: منشورات الجمل، 2010م، ص 130.

والأكيد أن اختيار اسم (جبران)، يُعطيها بعداً إنسانياً عالمياً يُناسب المهمة التي وضعت لها.¹

جبران بين منتقديه ومناصريه:

أُهم (جبران) بالجنون، ونَشَر الأفكار الكفرية، ورأى البعض أنه امتلك رؤية فلسفية ولم يكن له فلسفة خاصة به، وذهب آخرون إلى افتقاره لكليهما، وأنه كاتب غير معروف في أمريكا، إلا من القلّة التي تحب الكلام المنمّق، لذلك ينهانا (أسعد أبو خليل)، عن محاولة البحث عن الفكر في كتاباته الإنجليزية، فهي لا ترتقي إلى مصاف الأدب بالمعيار الأكاديمي، ولا تُدرّس في أي جامعة غربية في باب الأدب الإنجليزي، بل مجرد كلام جميل مرصوف، يكون أحيانا بمذاق شعبي يصلح لبطاقات (هولمرك) للمعايدة، لهذا كان قريبا من الشباب أوائل القرن العشرين حتى بداية القرن الحادي والعشرين، لسلاسة صياغته ونغمية موسيقته، حتى إن (نجيب حنكش) تحدّث عن سهولة تلحينه لقصيدة (أعطني الناي وغني)، التي اشتهرت في غناءها المطربة اللبنانية (فيروز)، أمّا كتاباته عن الحرية فلا معنى لها، لأنه لا تعريف للحرية فيها، وإن تكلم عن التمرد، فحديثه كان خاليا من أي مضمون سياسي، لكنه يعود ويستثني كتاباته العربية، لأنه برأيه أجادها أكثر، وبعضها مفيد وجريء للغاية، وحمل أفكارا إصلاحية، وخرق بعضها جدار الإنشائية التقليدية.²

¹ - سهيل بديع بشروئي، عباس أفندي، ص 135.

² - أسعد أبو خليل - جبران خليل جبران: أساطير التفوق اللبناني. تاريخ الاطلاع: 2010/10/16م.

ويبدو في قبضة المحامي اللبناني (كعدي فرهود كعدي)، متهم ومدان سلفا بالتناقض بين أقواله وأفعاله، وسرقة الكثير من كتابات كتّاب غربيين، كادغار آلان بو، ووليم بلايك، وامرسن... وغيرهم، وحتى رسومه تبدو ساقطة، فلو أنه صوّر نفسه بريشته، لرأى عيوبها فأقبل على اصلاحها! ولذلك حكمت محكمة (كعدي)، بالدعوة إلى حرق مؤلفات (جبران) السامة، ولا تأخذنا شهرته الطنانة، ولا تكريماته التي تجاوزت الحد، فكيف نكرّم من يعترف بأنه عدو الانسانية.¹

ومن اللافت أنّ إرث (جبران) قد تعرّض للتشويه؛ فالقوى التي نبذته وكفّرت به في حياته، عادت وقرّرت أن تلبّنه وتنصّره بعد وفاته..

أمّا (جان داية)، فيحرّره في مقالته (لكم جبرانكم ولي جبراني)، من أكاذيب الوطنية اللبنانية؛ فجبران لم يُعن بوضع برنامج إصلاحى ولم يكن صاحب فكر سياسي مبكّل، وعلينا إعادة دراسته بجدّية، إذ يحق أن نطالب بعودة جبران الحقيقي، لا جبران المتخيّل، ويجب أن نستطيع تقدير كتّابنا وفنّانينا، حتى لو لم يُعجب بهم الرجل الأبيض، ثم ماذا لو عارضنا مقاييس الرجل الأبيض ومعايره؟²

1- كعدي فرهود كعدي، جبران خليل جبران في الميزان، بيروت: منشورات كعدي، ط 1، 1992م.

2- أسعد أبو خليل، جبران خليل جبران - أساطير التفوق اللبناني. تاريخ الاطلاع: 2010/10/16م.

فيما اكتشف (سهيل بديع بشروئي)، بمقارباته النقدية الجديدة، فكر (جبران) العرفاني الحي، وفلسفته الوجدانية الطابع، وقوله بوحدة الأديان، ومسيحيته الحرة المتحررة من الشروط الأيديولوجية، وأعجب برسالته الروحية وتماهيه الفكري والصوفي المثالي، وإرثه الإنساني الخالد.¹

ولا شيء كان عابراً في حياة (جبران)، يعقب (ألفريد كنوبف)، مؤسس دار النشر (ألفريد كنوبف) سنة 1915م، وناشر كتاب (النبي)، فقد كان فداً في شاعريته وفنه، وكانت الأحداث تسعى لمجاراته، فتضع في طريقة أناساً على مستوى تلك الموهبة، مساندين لعطائه الذي يفيض من جوانحه.²

¹ - سهيل بديع بشروئي - نتذكر جبران ليحيا لبنان ونتذكر لبنان ليحيا جبران (الذكرى السنوية لغياب جبران خليل جبران ومرور ثلاثة أرباع القرن على وفاته). تاريخ الاطلاع: 2006/04/12م.

www.diwanalarab.com

² - اقتفاء لأثر جبران في الضمير الأمريكي. تاريخ الاطلاع: 2010/2/ 26م.

<http://iipdigital.usembassy.gov>

تاريخ نشر النبي:

يصف (جبران) هذا العمل، بأنه حياته وولادته الثانية، ويُخبر (مي زيادة) سنة 1918م، بأنه فكّر فيه منذ ألف عام، وأنه غيّر عنوانه أربع مرات قبل أن يبدأ في كتابته.¹

ليُكرّس له جُلُّ وقته منذ العام 1919م، وفعلاً لم تذهب جهوده عبثاً، فما فتى هذا العمل يظهر شهر سبتمبر من سنة 1923م، بالولايات المتحدة الأمريكية، في عنوانه الأصلي (النبي the prophet)، حتى أخذ بمجامع قلوب شريحة واسعة جداً من الناس، وطُبع ست مرات قبل نهاية تلك السنة.

لتحقّق مبيعاته بعدها أرقاماً قياسية، بلغت التسعة ملايين نسخة سنة 1996م، في الولايات المتحدة وحدها.

فيما تجاوزت ترجماته الأربعين لغة عالمية، كانت آخرها اللغة الصينية، وكان الأرشمندريت (أنطونيوس بشير) سبّاقاً إلى نقله إلى العربية سنة 1926م، أي قبل وفاة (جبران)، ثم تلتها ترجمة (ميخائيل نعيمة) سنة 1956م، ثم ترجمة ثالثة للأديب والوزير المصري (ثروت عكاشة) سنة 1966م، وصدرت بعدها بسنتين ترجمة رابعة للشاعر (يوسف الخال)، فترجمة خامسة للأديب الفلسطيني (نويل

¹ - جبران خليل جبران، الرسائل، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران، تقديم: أنطوان محسن القوال، ص

عبد الأحد) سنة 1993م، وترجمة حديثة صدرت سنة 2000م عن دار النهار، في خمسة وسبعون صفحة لـ (عيسى سليمان).

وتبدو أرقام المبيعات مُبهرة حين نستعرضها؛ 1200 نسخة سنة 1923م، 2400 نسخة سنة 1924م، 4800 نسخة سنة 1925م، واستمرت مبيعاته في التضاعف عاماً بعد عام، إلى أن وصل مجموع النسخ المباعة مليون نسخة عام 1957م، وإثنان مليون نسخة سنة 1965م، وثلاثة ملايين نسخة سنة 1968م، وخمسة ملايين سنة 1973م، وسبعة ملايين مع نهاية السبعينات.¹

وما يزال كتاب (النبي) محتفظاً إلى اليوم بشهرته، ويتداوله ملايين القراء في أنحاء العالم، لكن العجيب أن النسخة الورقية لم تبق هي الوحيدة؛ فهناك النسخ الإلكترونية، لكن (نيكالوس فلاديمير) عن دار نشر (كنوبف) يؤكّد، أن الرقم يتخطى الاثنتي عشر مليون نسخة، ليقمى (جبران) الأكثر مبيعا بعد شكسبير ولاوتزو.

محتوى النبي:

يشتمل كتاب (النبي) على ست وعشرين قصيدة نثرية، تحوي خلاصة الآراء الجبرانية في: الحب، والزواج، والأطفال، والعطاء، والمأكل والمشرب، والعمل، الفرح والحزن، والبيوت، والثياب، والبيع والشراء، الجريمة والعقاب، والقوانين، والحرية، والعقل والعاطفة، والألم، ومعرفة النفس، والتعليم، والصدقة، والكلام، والزمن، والخير والشر، والصلاة، والمتعة، والجمال، والدين، والموت، وردت على

¹ - اسنكدر نجار، جبران خليل جبران، ترجمة: بسام حجار، ص 71.

لسان رجل حكيم اسمه (المصطفى)، يرحل عن مدينة من نسج الخيال، قضى بها اثنتي عشر سنة، فطلب منه الأهالي قبل مغادرته، أن يُشركهم في علمه ومعرفته، وفي جوٍّ من الوحدة الصوفية، يحاول أن يقرِّبهم من أسرار الوجود الخفية؛ المادية والروحية والأخلاقية:

"وظَلَّ المصْطَفَى، المَخْتَارَ الحَيِّبُ

الذِي كَانَ فَجْرًا لِرَمَانِهِ...

يَنْتَظِرُ سَفِينَتَهُ... فِي مَدِينَةِ أُورِفِيلِس¹

اِثْنَيْ عَشْرَةَ سَنَةً لِيَرْكَبَهَا عَائِدًا إِلَى الْجَزِيرَةِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا.

وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشَرَ، فِي السَّابِعِ مِنْ شَهْرِ الحِصَادِ

صَعَدَ إِلَى إِحْدَى التَّلَالِ وَنَظَرَ صَوْبَ البَحْرِ، وَرَأَى سَفِينَتَهُ آتِيَةً

فَصَلَّى فِي سُكُونِ نَفْسِهِ، وَقَالَ فِي قَلْبِهِ:

"كَيْفَ أَمْضِي عَنْ هَذِهِ المَدِينَةِ... وَأَعْبُرُ البَحْرَ مِنْ غَيْرِ كَأَيَّةٍ؟"

وَعِنْدَمَا دَخَلَ المَدِينَةَ...

فِي هَذِهِ السَّاعَةِ يَتَجَمَّعُ النَّاسُ حَوْلَهُ يَسْأَلُونَهُ وَهُوَ يُجِيبُ:

¹ - منطقة قريبة من أثينا.

اسْتَقْبَلَهُ الشَّعْبُ، كَأَنَّهُ يَهْتَفُونَ: "لَا تُفَارِقْنَا، لَا تُفَارِقْنَا، فَالْحَبَّةُ لَا تَعْرِفُ عُمَقَهَا... إِيَّاسَاعَةَ

الْفِرَاقِ"¹

وما أن فرغ من حديثه – وكان وقت الغروب – حتى أشار إلى الملاحين:

"فَرَقُّوْا الْمَرْسَاةَ عَلَى الْقَوْرِ،

وَأَطْلُقُوا السَّفِينَةَ مِنْ عُقَاهَا،

وَمَضُوا شَطْرَ الْمَشْرِقِ."²

ليعود مرة أخرى، بعد أن نطق بكل ما نطق! إلى مهد حضارته وديانته.

عنوان الكتاب:

لعل مفتاح هذا الكتاب هو عنوانه؛ فقد أراد (جبران) لقصائده، التي همس فيها إلى الذات

الإنسانية، أن تنفلت من ضيق المادة وتلتقي متحدة في السماء، فكان (النبي) رسالة لكل الأجيال، وفي

جميع أصقاع الأرض، فلن تبيد..

أفكار النبي:

انتقل (جبران) نهائيًا إلى الكتابة باللغة الإنجليزية منذ سنة 1920م، وهو ما ساعد في انتشار

أعماله، لكن كتابه (النبي) يبقى إبداعه العالمي بامتياز، والذي قامت عليه شهرته، ضمّه خلاصة فكره

1- جبران خليل جبران، النبي، ترجمة: أنطونيوس بشير، ص 25.

2- المصدر نفسه، ص 89.

الإشراقي والإجتماعي، بما يُرضي الحالمين والواقعيين معا، وبدا فيه أكثر تقديرا للقوة والحزم، مع احتفاظه بالروح الحاملة المفرطة في الغنائية، وأضفى عليه سحنة دينية متسامية، ونظرة ماورائية لحياة الإنسان، ليربط بين عالم واقعي قريب وآخر بعيد وحالم، جعل فيه تأكيد الأول باكتماله مع الثاني. ولا شك أن حكمة (النبي)، لم تأت طفرة، وإنما كانت حصداً من الشرق والغرب، اختار لها (جبران) حكيما من الشرق ليكون لسان حاله، حمّله مثله الأعلى التي بلغت حد النضج، عبر طرح يوتوبي منطقي.

فبعد (العواصف) و (الأرواح المتمردة)، هداً (جبران)، وأدرك عالمية رسالته وشموها، فتسلّل عبر تراتبية الإبداع الأورو أمريكي الصارم، باحثاً عن الحكمة في قلبه، ويعيدنا هذا إلى أوّل ما صدر (النبي)، حين تهاقت عليه الأمريكيون، وما لبث أن تصدّر لائحة المبيعات في الولايات المتحدة (Bestseller)، بعد الكتاب المقدّس مباشرة، وغدا في مجال الكتب الروحية والأخلاقية الكلاسيكية، ووَزَّع الجيش الأمريكي منه مليون نسخة، على جنوده الذاهبين إلى جبهات قتال أوروبا، إبان الحرب العالمية الثانية،¹ وكُرِّم كاتبه من الرئيس الأمريكي (فرانكلين ديالانو روزفلت Franklin Delano Roosevelt)، الذي خاطبه قائلاً: "أنت أوّل عاصفة انطلقت من الشرق واكتسحت الغرب،

¹ - روبن ووترفيلد، جبران خليل جبران نبي عصره، ترجمة: ميشيل خوري، دمشق: دار ورد، 2003م، ص 13.

ولكنّها لم تحمل إلى شواطئنا إلاّ الزهور"¹ وكتبت صحيفة (نيويورك صان) الأمريكية، يوم وفاته: "مات نبي."²

لينتصب (جبران)، الذي طالما طعنت الكنيسة الشرقية في إيمانه، مُرشداً روحياً تُتلى آياته في كنائس العالم ومعابده.³

وإذا تخطّينا الترجمات الحرفية لكتاب (النبي)، وقراءتها المتجدّدة، وفهمنا عالم (جبران) المؤمن بوحدة الوجود، والمعتقد في المحبة الانسانية الشاملة، فإننا نلمس ابداع الأديب وخياله في إدراك المعرفة، وسموّه الإنساني، وعمق الفيلسوف، وطهارة المتصوّف، الذي تحنُّ نفسه إلى الانعتاق من عالم المادة إلى عالم الروح الكلية السرمدية الألامحدودة.

إلّا أن رسالة النبي متجدّدة، بتجدد الزمن ومُعطيّاته:

"فَأَنَا مُسْتَعِدُّ."

لَقَدْ بَلَغَ الْجُدُولُ الْبَحْرَ. وَهِيَ أُمُّهُ الْكُبْرَى تَضُمُّهُ ثَانِيَةً

إِلَى صَدْرِهَا.

¹ - معلومة عن جبران خليل جبران - منتديات الشروق أون لاين. تاريخ الاطلاع: 2009/10/25م.

montada.echoroukonline.com

² - جبران خليل جبران - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. تاريخ الاطلاع: 2016/12/22م.

https://ar.wikipedia.org

³ - تانيا سامونز - على صعيد أعلى. تاريخ الاطلاع: 2010/10/16م.

www.al-akhbar.com

الْوَدَاعُ يَا أَهْلَ أَوْزِفَلِيسَ

لَقَدْ انْتَهَى هَذَا النَّهَارُ.

وَهُوَ يَنْعَلِقُ الْآنَ عَلَيْنَا كَمَا تَنْعَلِقُ زَنْبَقُهُ الْمَاءِ عَلَى عَدِهَا.

إِنَّا سَنَحْتَفِظُ بِمَا أَعْطَيْنَاهُ هَاهُنَا، وَإِنْ هُوَ لَمْ يَكُنْفَنَا،

فَعَلَيْنَا إِذْ ذَكَ أَنْ نَعُودَ فَنَجْتَمِعُ ثَانِيَةً،

وَأَنْ نَبْسُطَ أَيْدِينَا مَعًا إِلَى النَّهْرِ.

لَا يَغْرَبُنَّ عَنْ بَالِكُمْ أَنِّي سَأَعُودُ إِلَيْكُمْ.¹

ويقف (النبي) بصفحاته المحدودة، كمدرسة حقيقية لسلوكية الإنسان الحياتية واليومية، يعالج

علاقاته الإنسانية، ويؤكد إيمانه الراسخ بمستقبل الإنسانية واتحادها الروحي:

"أَنْتُمْ الطَّرِيقُ،

وَأَنْتُمْ السَّالِكُونَ فِيهِ.

وَعِنْدَمَا يَسْقُطُ أَحَدُكُمْ فَإِنَّمَا يَسْقُطُ نَذِيرًا لِلْمَاشِيَةِ خَلْفَهُ بِوُجُودِ حَجَرٍ عَثْرَةٍ فِي الطَّرِيقِ.

أَجَلْ.

وَهُوَ يَسْقُطُ فِي سَبِيلِ الدِّينِ تَقَدَّمُوهُ كَذَلِكَ.

لِأَنَّهُمْ،

¹ - جبران خليل جبران، النبي، ترجمة: أنطونيوس بشير، ص 83.

وَإِنْ كَانُوا أَثْبَتَ مِنْهُ قَدَمًا وَأَوْسَعُ خُطَى،

إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَرْفَعُوا حَجَرَ الْعَثْرَةِ مِنَ الطَّرِيقِ.¹

وما زالت دعوة (جبران) إلى الوحدة والتآخي منتشرة في كل مكان، تعكس ضميره الملتزم بقيم

وأسس، لا غنى عنها لبناء نظام عالمي جديد، في ظل التعايش السلمي واحترام الأديان:

"لَا يَسْتَطِيعُ إِنْسَانٌ أَنْ يَكْشِفَ لَكَ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا إِذَا كَانَ عَافِيًا فِي بَحْرِ مَعْرِفَتِكَ..

المَعْلَمُ الَّذِي يَمْشِي فِي ظِلِّ المَعْبُدِ بَيْنَ مُرِيدِيهِ

لَا يُعْطِي مِنْ حِكْمَتِهِ بَلْ مِنْ إِيمَانِهِ وَمَحَبَّتِهِ،

فَإِنْ كَانَ قَدْ أُوتِيَ الحِكْمَةَ حَقًّا،

فَإِنَّهُ لَا يَدْعُكَ تَلِجَ بَابَ حِكْمَتِهِ بَلْ يُقَوِّدُكَ إِلَى عَتَبَةِ فِكْرِكَ أَنْتَ."²

ليتحطى بذلك المصطفى – النبي، الحواجز التي أقامها البشر بينهم، وفي تراث كل أمة، يقول

(سهيل بديع بشروئي)، وحي من أساطير البطولة؛ فلايرلنديين مثلا، البطل (كوهالين)، رمزا للوعي

الوطني والطموح، ولا يهم إذا كان شخصية حقيقية، أم مجرد أسطورة من نسج الخيال، فالأهم ما يمثله

شخصه بالنسبة لإيرلندا.³

¹ – جبران خليل جبران، النبي، ترجمة: أنطونيوس بشير، ص 41.

² – المصدر نفسه، ص 82.

³ – سهيل بديع بشروئي – نتذكر جبران ليحيا لبنان ونتذكر لبنان ليحيا جبران (الذكرى السنوية لغياب جبران خليل جبران ومرور ثلاثة أرباع القرن على وفاته). تاريخ الاطلاع: 2006/4/12م.

ويؤكد فكرة الحرية:

"وَلَعُمْرِي إِنَّ الْأُمُورَ جَمِيعاً،

مَرْغُوبَةٌ أَوْ مَرْهُوبَةٌ، مَمْقُوتَةٌ أَوْ مَكْرُوهَةٌ،

تَتَحَرَّكُ كُلُّهَا فِي أَعْمَاقِ وُجُودِكَ تَكَادُ تَتَعَانَقُ أَبَدًا."¹

مُعتمداً كلمة (ناموس) بدلا من كلمة (شريعة)؛ الأولى طريق الحرية والكمال، والثانية أداة

الإستعباد:

"إِنَّكُمْ لَتَجِدُونَ لَذَّةً فِي سِنِّ الْقَوَانِينِ،

وَلَكِنَّكُمْ تَجِدُونَ لَذَّةً أَعْظَمَ فِي انْتِهَاقِهَا.

فَعَالِكُمْ مَعَ قَوَانِينِكُمْ هِيَ حَالُ الصَّبِيَةِ يَبْتُونُ أَبْرَاجًا مِنَ الرَّمْلِ عَلَى الشَّاطِئِ بَجْدٍ وَمُتَابِرَةً فَلَا يَلْبَثُونَ

أَنْ يَهْدِمُوهَا ضَاحِكِينَ.

مَا قَوْلُكُمْ فِي الكَسِيحِ الذِّي يَكْرَهُ الرَاقِصِينَ، وَفِي الثَّوْرِ الذِّي يُحِبُّ نِيرَهُ وَيَحْسَبُ الظَّيِّ وَالْأَيْلِ فِي

العَابِ مِنَ المَخْلُوقَاتِ المَتَشَرِّدَةِ؟

إِنْ يَكُنْ مَا تَبْتَغُونَ التَّخْلُصَ مِنْهُ شَرَعَةً جَائِزَةً،

فَادْكُرُوا أَنَّكُمْ أَنْتُمْ الذِّينَ كَتَبْتُمُوهَا بِأَيْدِيكُمْ عَلَى جِبَاهِكُمْ.

وَإِنْ يَكُنْ مُبْتَغَاكُمْ أَنْ تُنْزِلُوا طَاعِيَةً عَنِ عَرْشِهِ،

1- جبران خليل جبران، النبي، ترجمة: أنطونيوس بشير، ص 74.

فَاعْمَلُوا أَوْلاً عَلَى تَحْطِيمِ ذَلِكَ الْعَرْشِ الَّذِي أَقَمْتُمُوهُ لَهُ فِي قُلُوبِكُمْ.
أَوْ يَكُنْ مَا تَسْعَوْنَ إِلَى الْخَلَاصِ مِنْهُ خَوْفاً مِنَ الْمَخَافِ،
فَلَا تَنْسُوا أَنَّ مَقَرَّ ذَلِكَ الْخَوْفِ فِي قُلُوبِكُمْ وَلَيْسَ فِي يَدِ الشَّبَحِ الَّذِي تَخَافُونَهُ.
حَقًّا إِنَّ مَا تَرَعَّبُونَ فِيهِ أَوْ تَخْشَوْنَهُ، وَمَا تُهَوِّنُونَهُ أَوْ تَمْتَقُونَهُ، وَمَا تَسْعَوْنَ إِلَيْهِ أَوْ تَتَهَرَّبُونَ مِنْهُ،
إِنَّ كُلَّ هَذِهِ مُقِيمَةٌ فِيكُمْ.¹

ولا شريعة، إلا شريعة الحب، فهو جوهر الحياة ونشيدها:

"أَمَا أَنْتِ إِذَا أَحْبَبْتِ فَلَا تَقُلْ

أَنَّ اللَّهَ فِي قَلْبِي،

بَلْ قُلْ بِالْأُخْرَى

أَنَا فِي قَلْبِ اللَّهِ."²

والله روح موزعة في أجزاء الكون الموحد:

"كُلُّ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ الْعِبَادَةَ نَافِذَةٌ يَفْتَحُهَا ثُمَّ يُغْلِقُهَا،

فَهُوَ لَمْ يَبْلُغْ بَعْدُ إِلَى هَيْكَلِ نَفْسِهِ الَّذِي نَوَافِذُهُ مَفْتُوحَةٌ مِنَ الْفَجْرِ إِلَى الْفَجْرِ.

إِنَّ حَيَاتِكُمْ الْيَوْمِيَّةُ هِيَ هَيْكَلِكُمْ وَهِيَ دِيَانَتِكُمْ،

فَخُذُوا مَعَكُمْ كُلَّ مَالِكُمْ عِنْدَمَا تَدْخُلُونَ هَيْكَلَهَا.

¹ - جبران خليل جبران، النبي، ترجمة: أنطونيوس بشير، ص ص 43 - 44.

² - المصدر نفسه، ص 27.

وَأِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَعْرِفُوا رَبَّكُمْ، لَا تُعْنُوا بِحِلِّ الْأَحَاجِي وَالْأَلْعَازِ،

بَلْ تَأَمَّلُوا فِيَمَا حَوْلَكُمْ بِجَدُّوهُ لَاعِبًا مَعَ أَوْلَادِكُمْ.

وَارْفَعُوا أَنْظَارَكُمْ إِلَى الْفَضَاءِ الْوَسِيعِ تُبْصِرُوهُ يَمْشِي فِي السَّحَابِ، وَيَبْسُطُ ذِرَاعِيهِ فِي الْبَرْقِ، وَيَنْزِلُ إِلَى

الْأَرْضِ مَعَ الْأَمْطَارِ.

تَأَلَّمُوا جِيدًا، تَرَوْا رَبَّكُمْ يَبْتَسِمُ بِثُعُورِ الْأَزْهَارِ، ثُمَّ يَنْهَضُ وَيُحْرِكُ يَدَيْهِ بِالْأَشْجَارِ.¹

وفي (النبي) نزعة روحية، تسمو بالنفس إلى إدراك أسرارها وسر أغوارها:

لَا تَقُلْ وَجَدْتُ الْحَقِيقَةَ بَلْ قُلْ وَجَدْتُ بَعْضَ الْحَقِيقَةِ،

وَلَا تَقُلْ اكْتَشَفْتُ سَبِيلَ الرُّوحِ بَلْ قُلْ وَجَدْتُ الرُّوحَ تَسِيرٌ فِي سَبِيلِي.

فَإِنَّ الرُّوحَ تَسِيرٌ فِي جَمِيعِ السُّبُلِ، وَإِنَّ الدَّاتَ بَحْرٌ مُتَرَامٍ لَا يُحَدُّ وَلَا يُقَاسُ.²

وينعق بنشيد الإنسان العظيم، الذي يضم بين جوانحه روحا متوهجة أبدا:

"أَيْنَ عَسَاكُمْ تُفْتَشُونَ عَنِ الْجَمَالِ وَكَيْفَ بَجِدُونَهُ مَا لَمْ يَكُنِ الْجَمَالُ عَيْنُهُ هَادِيَكُمْ وَطَرِيْقَكُمْ.

يَا أَهْلَ أَوْفَلَيْسَ!

إِنَّمَا الْجَمَالُ الْحَيَاةُ وَقَدْ نَزَعَتْ الْحِجَابَ عَنِّي

وَجْهَهَا الْقُدُوسِ،

وَلَكِنْ أَنْتُمْ الْحَيَاةُ وَالْحِجَابُ.

¹ - جبران خليل جبران، النبي، ترجمة: أنطونيوس بشير، ص 55.

² - المصدر نفسه، ص 85.

إِنَّمَا الْجَمَالُ الْأَبَدِيُّ مُحَدَّقَةٌ إِلَى وَجْهِهَا فِي الْمِرْآةِ،

وَلَكِنْ أَنْتُمْ الْأَبَدِيُّ وَالْمِرْآةُ.¹

ويفيض بالحكم العملية:

"وَالْحَقُّ أَقْوَلُ لَكُمْ

إِنَّ الثَّمَرَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُولَ لِلْجَذْرِ

كُنْ مِثْلِي نَاضِحًا، جَمِيلًا، جَوَادًّا، يَبْدُلُ كُلَّ مَا فِيهِ لِأَجْلِ غَيْرِهِ

لِأَنَّ الْعَطَاءَ حَاجَةٌ مِنْ حَاجَاتِ الثَّمَرَةِ الَّتِي لَا تَعِيشُ بِدُونِهَا،

كَمَا أَنَّ الْأَخَذَ حَاجَةٌ مِنْ حَاجَاتِ الْجَذْرِ لَا تَحْيَا بِغَيْرِهَا.²

وقريبٌ من تلك الفكرة، ما قال به (يوشيا) في رواية (الأخوة كارامازوف)، للكاتب الروسي

(فيودور ميخائيلوفيتش دوستويفسكي)، من ضرورة التضحية؛ فما من حبة قمح تسقط على الأرض ولا

تموت، إلا وتبقى وحدها، أمّا إن ماتت فتعطي حبة كثيرة.³

وعندما تكلم عن الموت، صوّره حياة أبدية، ووحدة كونية:

¹ - جبران خليل جبران، النبي، ترجمة: أنطونيوس بشير، ص 57.

² - المصدر نفسه، ص 36.

³ - فيودور دوستويفسكي، الأخوة كارامازوف، الأعمال الأدبية الكاملة، مجلد 16، ترجمة: سامي الدروبي، بيروت: دار ابن رشد، 1985م، ص 109.

"عِنْدَيْدٍ تَكَلَّمَتِ الْمَطْرَةُ¹ قَائِلَةً:

إِنَّا نَسْأَلُكَ الْآنَ عَنِ الْمَوْتِ

فَأَجَابَ وَقَالَ:

تُرِيدُونَ أَنْ تَعْرِفُوا سِرَّ الْمَوْتِ.

وَلَكِنْ أَيْ لَكُمْ أَنْ بَجِدُوهُ مَا لَمْ تُقْتِشُوا عَنْهُ فِي قَلْبِ الْحَيَاةِ!

إِنَّ الْبُومَةَ الْحَجَبَةَ عَيْنَاهَا بِظُلْمَةِ اللَّيْلِ لَعَمِيَاءُ عَنِ النَّهَارِ فَهِيَ

لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَهْتِكَ الْحِجَابَ عَنِ النُّورِ وَسِرِّ النُّورِ.

إِذَا كُنْتُمْ تُرِيدُونَ حَقًّا أَنْ تُبْصِرُوا رُوحَ الْمَوْتِ، فَافْتَحُوا أَبْوَابَ

قُلُوبِكُمْ عَلَى مِصْرَاعَيْهَا لِجَسَدِ الْحَيَاةِ.

لِأَنَّ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّ النَّهْرَ وَالْبَحْرَ وَاحِدًا

إِنَّ مَعْرِفَتَكُمْ الصَّامِتَةَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ لَتَسْتَقِرُّ فِي أَعْمَاقِ آمَالِكُمْ

وَأَهْوَائِكُمْ

وَمِثْلَمَا تَحْلُمُ الْبُودُورُ الَّتِي تَحْتَ الثَّلْجِ هَكَذَا تَحْلُمُ قُلُوبُكُمْ بِالرِّبِيعِ

أَلَا تَقُولُوا بِأَخْلَامِكُمْ، لِأَنَّ فِيهَا تَحْتَبِي أَبْوَابَ الْأَبَدِيَّةِ.²

¹ – امرأة عرافة من بيت المقدس، كانت أول من صدق المصطفى حين حلَّ بأرض أورشليم.

² – جبران خليل جبران، النبي، ترجمة: أنطونيوس بشير، ص ص 59 – 60.

أما الصالح والطالح فليسا إلا إنسانا واحدا:

"إِنَّ ذَاتَكُمْ التُّورَانِيَّةَ كَالْبَحْرِ الْمَحِيطِ تَظَلُّ إِلَى الْأَبَدِ نَقِيَّةً مُبْرَأَةً مِنَ الدَّنَسِ..

وَلَكِنَّهَا لَا تُقِيمُ وَحْدَهَا فِي كَيَانِكُمْ فَقَدَرٌ كَبِيرٌ مِنْكُمْ لَا يَزَالُ إِنْسِيًّا..

وَقَدَرٌ كَبِيرٌ لَمْ يُصْبِحْ إِنْسِيًّا بَعْدُ إِنَّمَا هُوَ مَسْحُ لَا شَكَلَ لَهُ،

وَلَا حَدَّثْتَكُمْ عَنِ الْإِنْسِيِّ فِيكُمْ

إِنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ لَا ذَاتَكُمْ التُّورَانِيَّةَ وَلَا الْمَسْحَ،

يَعْرِفُ الْجَرِيمَةَ وَعِقَابَهَا." ¹

ولا شيء يمكن أن يفصلنا عن المحبة؛ فالله محبة، وهو أحبنا أولا، ولنواصل السير في طريق المحبة:

"حِينَئِذٍ قَالَتْ (الْمِطْرَةُ) حَدَّثْنَا عَنِ الْمَحَبَّةِ، فَقَالَ:

إِذَا الْمَحَبَّةُ أَوْمَتْ إِلَيْكُمْ فَاتَّبِعُوهَا،

وَإِنْ كَانَتْ مَسَالِكُهَا صَعْبَةً مَتَّحِدْرَةً.

إِذَا ضَمَّتْكُمْ بِجَنَاحَيْهَا فَأَطِيعُوهَا،

وَإِنْ جَرَحَكُمْ السَّيْفُ الْمَسْتَوْرُ بَيْنَ رِيشِهَا.

إِذَا الْمَحَبَّةُ خَاطَبَتْكُمْ فَصَدِّقُوهَا،

وَإِنْ عَطَلَتْ صَوْتَهَا أَحْلَامُكُمْ وَبَدَّدَهَا كَمَا تَجْعَلُ الرِّيحُ الشَّمَالِيَّةُ الْبُسْتَانَ قَاعًا صَفْصَفًا.

1- جبران خليل جبران، النبي، ترجمة: أنطونيوس بشير، ص 71.

لأنه كما أن المحبة تُكَلِّلُكُمْ، فهي أيضًا تصليبُكُمْ.

المحبة تَضُمُّكُمْ إِلَى قَلْبِهَا كَأَعْمَارِ حَنْطَةٍ.

المحبة على يَبَادِرِهَا تَدْرُسُكُمْ لِتُظْهِرَ عُزْرَتَكُمْ.

المحبة تُعْرِيلُكُمْ لِتُحَرِّرَكُمْ مِنْ قُشُورِكُمْ.

المحبة تَطْحَنُكُمْ فَتَجْعَلُكُمْ كَالثَلْجِ أَنْقِيَاءَ.

المحبة تَعْجُنُكُمْ بِدُمُوعِهَا حَتَّى تَلِينُوا،

ثُمَّ تُعِدُّكُمْ لِنَارِهَا الْمُقَدَّسَةِ، لِكَيْ تَصِيرُوا خُبْرًا مُقَدَّسًا يُقَرَّبُ عَلَى مَائِدَةِ الرَّبِّ

المُقَدَّسَةِ.

كُلُّ هَذَا تَصْنَعُهُ بِكُمْ لِكَيْ تُدْرِكُوا أَسْرَارَ قُلُوبِكُمْ، فَتُصْبِحُوا بِهَذَا الإِدْرَاكِ جُزْءًا مِنْ

قَلْبِ الحَيَاةِ.

غَيْرِ أَنْكُمْ إِذَا حَفْتُمْ، وَقَصَرْتُمْ سَعِيَكُمْ عَلَى الطَّمَأْنِينَةِ وَاللَّذَّةِ فِي المحبةِ.

فَالأَجْدَرُ بِكُمْ أَنْ تَسْتُرُوا عُزْرَتَكُمْ وَتَخْرُجُوا مِنْ بَيْدَرِ المحبةِ إِلَى العَالَمِ البَعِيدِ حَيْثُمَا

تَضْحَكُونَ، وَلَكِنْ لَيْسَ كُلُّ ضِحْكِكُمْ. وَتَبْكُونَ، وَلَكِنْ لَيْسَ كُلُّ مَا فِيكُمْ مِنَ الدُّمُوعِ.

المحبة لَا تُعْطِي إِلَّا ذَاتَهَا، المحبة لَا تَأْخُذُ إِلَّا مِنْ ذَاتِهَا.

لَا تَمْلِكُ المحبةُ شَيْئًا، وَلَا تُرِيدُ أَنْ أَحَدًا يَمْلِكُهَا.

لِأَنَّ الْحَبَّةَ مُكْتَنَفِيَةٌ بِالْحَبَّةِ.

وَلَا يَخْطُرُ لَكَ الْبَتَّةَ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَسَلَّطَ عَلَى مَسَالِكِ الْحَبَّةِ، لِأَنَّ الْحَبَّةَ إِنْ رَأَتْ

فِيكَ اسْتِحْقَاقًا لِنِعْمَتِهَا، تَتَسَلَّطُ هِيَ عَلَى مَسَالِكِكَ.

وَالْحَبَّةُ لَا رَغْبَةَ لَهَا إِلَّا فِي أَنْ تُكْمَلَ نَفْسَهَا.¹

وحيث سألته عن الزواج، أجابها:

"وَلِدْتُمَا مَعًا، وَتَظَلَّانِ مَعًا حَتَّى فِي سَكُونِ تَذَكَرَاتِ اللَّهِ

وَمَعًا حِينَ تُبَدِّدُكُمَا، أَجْحِحُهُ الْمَوْتَ الْبَيْضَاءَ...

كُونَا فَرِحِينَ، غَنِينَا فَرِحِينَ...

إِنَّمَا أَتْرَكَا بَيْنَكُمَا بَعْضَ فَسَحَاتِ

لِتَرْفُصَ فِيهَا، رِيَّاحُ السَّمَاوَاتِ

أَحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا

وَلَكِنْ حَذَارِ أَنْ تَجْعَلُوا مِنَ الْحَبِّ قَيْدًا

بَلْ لِيَكُنْ حُبُّكُمْ بَحْرًا مَائِجًا بَيْنَ شَوَاطِئِ نُفُوسِكُمْ،

عَنُّوا وَارْقُصُوا وَأَفْرَحُوا مَعًا

وَلَكِنْ لِيَبْقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى جَدِّهِ

¹ - جبران خليل جبران، النبي، ترجمة: أنطونيوس بشير، ص ص 26 - 28.

كَمَا تَبَقَى أوتَارُ القِيَارَةِ عَلَى حِدِهِ

إِذْ هِيَ تَهْتَزُّ مَعًا بِنَعْمٍ وَاحِدٍ..

جُودُوا بِقُلُوبِكُمْ،

وَلَكِنْ دُونَ أَنْ تَأْتِمُوا سِوَاكُمْ عَلَيْهَا فَمَا مِنْ يَدٍ تَتَّسِعُ لِقُلُوبِكُمْ إِلَّا يَدُ الحَيَاةِ.¹

ثم قالت له المطرة حدثنا عن الأولاد، فقال:

"أَوْلَادُكُمْ لَيْسُوا لَكُمْ

إِنَّهُمْ أَبْنَاءُ وَبَنَاتُ الحَيَاةِ المَشْتَاقَةِ إِلَى نَفْسِهَا..

أَنْتُمْ الأَفْوَاسُ، مِنْهَا يَنْطَلِقُ أَبْنَاؤُكُمْ سَهَامًا حَيَّةً.

بِكُمْ يَخْرُجُونَ إِلَى الحَيَاةِ، وَلَكِنْ لَيْسَ مِنْكُمْ،

وَإِنْ عَاشُوا فِي كَنَفِكُمْ فَمَا هُمْ مُلْكًا لَكُمْ.

قَدْ مَنَحُوهُمْ حُبَّكُمْ وَلَكِنَّ دُونَ أَفْكَارِكُمْ،

فَلَهُمْ أَفْكَارُهُمْ.

وَلَقَدْ تُزَوُّونَ أَجْسَادَهُمْ لَا أَرْوَاحَهُمْ؛

فَأَرْوَاحُهُمْ تَسْكُنُ فِي دَارِ العَدِيدِ، وَهَيْهَاتَ أَنْ تَلْمُوا بِهِ، وَلَوْ فِي خَطَرَاتِ أَحْلَامِكُمْ.

1- جبران خليل جبران، النبي، ترجمة: أنطونيوس بشير، ص 31.

وَفِي وَسْعِكُمْ السَّعْيُ لِتَكُونُوا مِثْلَهُمْ، وَلَكِنْ لَا تُحَاوِلُوا أَنْ تَجْعَلُوهُمْ مِثْلَكُمْ.

فَالْحَيَاةُ لَا تَعُودُ الْقَهْقَرِي، وَلَا تَتَمَهَّلُ عِنْدَ الْأَمْسِ.¹

وعندما تحدّث عن العطاء، ألبسه سحنة روحانية صوفية:

"ثُمَّ قَالَ لَهُ رَجُلٌ غَنِيٌّ: هَاتِ حَدِيثَنَا عَنِ الْعَطَاءِ.

فَأَجَابَ قَائِلًا:

جَمِيلٌ أَنْ تُعْطِيَ مَنْ يَسْأَلُكَ، وَأَجْمَلُ مِنْهُ أَنْ تُعْطِيَ مَنْ لَا يَسْأَلُكَ وَقَدْ أَدْرَكَتْ عَوْرَتُهُ؛

مَا أَكْثَرَ مَا تَقُولُ: لَتَصُبُّونَ نَفْسِي إِلَى الْعَطَاءِ، وَلَكِنْ لَا أُعْطِي إِلَّا مَنْ يَسْتَحِقُّ.

لَيْسَ ذَلِكَ قَوْلُ الْأَشْحَارِ فِي بُسْتَانِكَ، وَلَا الْقِطْعَانُ فِي مَرْعَاكَ.

إِنَّهَا تُعْطِي لِتَحْيَا؛ لِأَنَّ الْاِمْتِنَاعَ عَنِ الْعَطَاءِ سَبِيلُ الْفَنَاءِ.

فَالْحَقُّ أَنَّ الْحَيَاةَ هِيَ الَّتِي تُعْطِي الْحَيَاةَ، وَلَسْتَ أَنْتَ، يَا مَنْ تَطْئُ أَنْكَ مُعْطٍ، سِوَى شَاهِدٍ.

أَمَّا أَنْتُمْ الَّذِينَ يَتَنَاوَلُونَ الْعَطَاءَ وَالْإِحْسَانَ وَكُلُّكُمْ مِنْهُمْ، فَلَا تَتَّظَاهَرُوا بِثِقَلِ وَاجِبِ مَعْرِفَةِ الْجَمِيلِ

لِيَأْلا

تَضَعُوا بِأَيْدِيكُمْ نِيرًا ثَقِيلَ الْحَمْلِ عَلَى رِقَابِكُمْ وَرِقَابِ الَّذِينَ أَعْطَوْكُمْ.

بَلْ فَلْتَكُنْ عَطَايَا الْمُعْطِي أَجْنِحَةً تَرْتَفِعُونَ بِهَا مَعَهُ، لِأَنَّكُمْ إِذَا أَكْثَرْتُمْ مِنَ الشُّعُورِ بِمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ

الدَّيْنِ

¹ – جبران خليل جبران، النبي، ترجمة: أنطونيوس بشير، ص 33.

فَإِنَّكُمْ بِذَلِكَ تُظْهِرُونَ الشُّكَّ وَالرُّيْبَةَ فِي أَرْيَاحِةِ الْمُحْسِنِ الَّذِي أُمُّهُ الْأَرْضُ السَّخِيَّةُ وَأَبُوهُ الرَّبُّ الْكَرِيمُ.¹

أما الدين فحياة وعمل؛ ومن يستطيع أن يفصل إيمانه وعقيدته عن عمله:

"ثُمَّ تَكَلَّمَ كَاهِنٌ مُسْنِنٌ فَقَالَ:

حَدَّثْنَا عَنِ الدِّينِ

فَأَجَابَهُ قَائِلًا:

أَلْعَلَّنِي تَكَلَّمْتُ الْيَوْمَ إِلَّا عَنِ الدِّينِ؟

أَلَيْسَ الدِّينُ كُلُّ مَا نَعْمَلُهُ وَنُفَكِّرُ بِهِ²

ويبقى العمل هو سبيل التحرر:

"طَالَمَا أُخْبِرْتُمْ أَنَّ الْعَمَلَ لَعْنَةٌ،

وَالشُّغْلَ نَكْبَةٌ وَمُصِيبَةٌ.

أَمَا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ:

إِنَّكُمْ بِالْعَمَلِ تَحْقِقُونَ جُزْءًا مِنْ حُلْمِ الْأَرْضِ الْبَعِيدِ،

جُزْءًا خُصِّصَ لَكُمْ عِنْدَ مِيلَادِ ذَلِكَ الْحُلْمِ.

فَإِذَا وَاطَّبْتُمْ عَلَى الْعَمَلِ النَّافِعِ تَفْتَحُونَ قُلُوبَكُمْ بِالْحَقِيقَةِ لِمَحَبَّةِ الْحَيَاةِ.

¹ - جبران خليل جبران، النبي، ترجمة: أنطونيوس بشير، ص 38-39.

² - المصدر نفسه، ص 49.

لَأَنَّ مَنْ أَحَبَّ الْحَيَاةَ بِالْعَمَلِ النَّافِعِ تَفْتَحَ لَهُ الْحَيَاةَ أَعْمَاقَهَا، وَتُدْنِيهِ مِنْ أْبَعَدِ أَسْرَارِهَا.

وَلِعُمْرِي إِنَّ الْحَيَاةَ ظَلَامٌ إِلَّا إِذَا صَاحَبَهَا الْحَافِزُ،

وَكُلُّ حَافِزٍ ضَرِيرٌ إِلَّا إِذَا اقْتَرَنَ بِالْمَعْرِفَةِ،

وَكُلُّ مَعْرِفَةٍ هَبَاءٌ، إِلَّا إِذَا رَافَقَهَا الْعَمَلُ،

وَكُلُّ عَمَلٍ خَوَاءٌ، إِلَّا إِذَا امْتَرَجَ بِالْحُبِّ؛

فَإِذَا امْتَرَجَ عَمَلُكَ بِالْحُبِّ فَقَدْ وَصَلْتَ نَفْسَكَ بِنَفْسِكَ، وَبِالنَّاسِ وَبِاللَّهِ.¹

ويؤكد على إيمانه بوحدة الوجود:

"وَحِينَ تَنْحُرُ ذَيْبِيحَتَكَ نَاجِهَا فِي سَرِيرَتِكَ قَائِلًا:

إِنَّ الْقُدْرَةَ الَّتِي تَذْبَحُكَ هِيَ نَفْسُهَا تَذْبِحُنِي؛ وَأَنَا مِثْلُكَ مَصِيرِي الْفَنَاءُ.

فَإِنَّ النَّامُوسَ الَّذِي أَسْلَمَكَ إِلَى يَدَيِّ سَوْفَ يُسَلِّمُنِي إِلَى يَدِ أَشَدُّ بَأْسًا.

وَمَا دَمِي وَدَمُكَ إِلَّا الْعَصِيرُ يَغْدُو شَجَرَةَ الْخُلْدِ.

وَحِينَ تَقْضِمُ الثُّفَّاحَةَ بَيْنَ أَسْنَانِكَ، نَاجِهَا قَائِلًا:

لَسَوْفَ نَحْيَا بُدُورَكَ فِي جَسَدِي،

وَتُزْهِرُ بَرَاعِمُ عَدُكَ فِي قَلْبِي،

وَيُصْبِحُ عَيْبِرُكَ أَنْفَاسِي،

1- جبران خليل جبران، النبي، ترجمة: أنطونيوس بشير، ص 51.

وَمَعَا نَبْتَهْجِ عَلَيَّ مَرَّ الْفُصُولِ.

وَفِي الْحَرْيفِ مَتَى أَخَذْتِ فِي جَمْعِ الْعِنَبِ مِنْ

كَرْمَتِكَ لِتُلْقِي بِهِ إِلَى الْمِعْصَرَةِ، نَاجِهِ قَائِلًا:

أَنَا أَيْضًا كَرْمَةٌ ثَمَارُهَا إِلَى جَنِّي مَالَهُ الْمِعْصَرَةُ،

وَكَالْحَمْرَةِ الْجَدِيدَةِ سَاحَقَطُ فِي قَنَائِي الْخُلُودِ.¹

ويعتقد بفكرة التقمص:

"قَلِيلًا وَلَا تَرُونَنِي،

وَقَلِيلًا وَتَرُونَنِي لِأَنَّ امْرَأَةً أُخْرَى سَتَلِدُنِي."²

لكنَّ الأکید أنَّ کتاب (النبي)، أمسى حاجة ملحة في عالمنا اليوم، الذي تتجاذبه التناقضات

وتمزقه الصراعات، لإسماع صوت (جبران) المنطقي والعاطفي، الذي ينفذ إلى ما وراء العالم الظاهر،

ويجيب ما في النفوس من نبل:

"مَا أَكْثَرَ مَا تَكُونُ نُفُوسُكُمْ سَاحَةً قِتَالٍ، تَشْتُهُ

عُقُولُكُمْ وَنُهَائِكُمْ عَلَى عَوَاطِفِكُمْ وَشَهَوَاتِكُمْ.

وَإِنِّي لِأَتَمَنَّى أَنْ أَحُلَّ فِي نُفُوسِكُمْ صَانِعَ سَلَامٍ،

فَأُشَبِّعَ الْوَحْدَةَ بَيْنَ عَنَاصِرِكُمْ الْمُتَنَافِرَةِ، وَأُرْدَ تَنَافُسَهَا

¹ - جبران خليل جبران، النبي، ترجمة: أنطونيوس بشير، ص ص 75 - 76.

² - المصدر نفسه، ص 89.

إِلَى وِثَامٍ وَتَنَاعُيمٍ.

وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يُتَّاحَ لِي ذَلِكَ إِلَّا إِذَا كُنْتُمْ أَنْتُمْ
أَنْفُسَكُمْ صُنَاعَ سَلَامٍ، بَلْ عُشَاقًا جِئْتُمْ عَنَّا صِرْكُكُمْ.

...

إِنَّ عُقُولَكُمْ وَعَوَاطِفَكُمْ هِيَ الدَّفْعَةُ وَالشِّرَاعُ

لِأَرْوَاحِكُمْ السَّارِحَةُ فِي الْبِحَارِ،

فَإِذَا تَحَطَّمَتِ الدَّفْعَةُ أَوْ تَمَزَّقَ الشِّرَاعُ، تَقَادَفْتُمْهَا الْأَمْوَاجُ

فَصَلَّتْ أَوْ تَوَقَّفَتْ بِأَجْرِكِ وَسَطِ الْخِصْمِ.

فَالْعَقْلُ إِذَا سَيَّطَرَ وَخَدَهُ بَاتَ قُوَّةً تُعَيِّدُكُمْ؛

وَالْعَاطِفَةُ إِذَا تَرَكْتِ وَشَأْنَهَا دُونَ وَارِعٍ غَدَّتْ لَهِيْبًا

يَتَلَطَّى حَتَّى تَحْمُدُ؛

فَدَغَّ رُوحَكَ مُخَلِّقٌ إِلَى ذُرَى الْعَاطِفَةِ، حَتَّى تَصْدَحَ بِالنِّعَمِ

وَدَعَهَا تَهْدِي عَاطِفَتَكَ بِالْحِجَا؛ فَالْعَاطِفَةُ تُحْيَا

كُلَّ يَوْمٍ بِالْبَعْثِ الْمَتَجَدِّدِ، كَالْعَنْقَاءِ تَحْرِقُ نَفْسَهَا

تُمْ تَنْهَضُ مِنْ بَيْنِ الرَّمَادِ.

وَلَيْتَكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَى نُهَاكُمْ وَشَهَوَاتِكُمْ نَظَرْتَكُمْ إِلَى

ضَيْفَيْنِ عَزِيزَيْنِ حَلَاءً بَدَارِكُمْ.

يَقِينًا أَنْكُمْ لَنْ تُؤَثِّرُوا أَحَدَهُمَا عَلَى الْآخَرِ؛ فَإِنَّكُمْ

إِنْ أَسْرَفْتُمْ فِي الْعِنَايَةِ بِأَحَدِهِمَا فَقَدْتُمْ حُبَّ الْآخَرَيْنِ

وَوَقَّعْتَهُمَا.¹

النبي بين معارضيه ومؤيديه:

ترى بعض المؤسسات الأدبية، أن (جبران) كاتب ساذج مُفرغ من الجوهر، وأن كلامه في (النبي)

من قبيل المرطقات الكفرية الفلسفية!

فيما ترى أخرى، أنه كاتب مُتشبع بعقيدة يرى نفسه أنه نبيها، وأن كتابه (النبي) تحفة فنية

وأدبية!

وحاول (روبن ووترفيلد)، ترتيب تلك الأوراق، فاحتطت منها تفكيكيا، انتهى به إلى أن،

حضور (جبران) المشرذم، يعود إلى حركة مجتمع ناهض، أكثر منه لطغيان موهبة تبحث عن مكان لها

تحت الشمس، فهو بكل بساطة لم يكن قادرا على التلاؤم مع مثاله الأعلى، وصعب عليه تحمّل

¹ - جبران خليل جبران، النبي، ترجمة: أنطونيوس بشير، ص ص 80 - 81.

حقيقته ككائن بشري.. ولكن ليتنا نستطيع أن نحوّل مثله، تناقضاتنا واضطرابنا وقلقنا إلى مصادر طاقة.¹

ولمست (كوليت مرشليان) في (النبي)، تجربة إنسانية وكتابية متفوّقة، في خلق مناخات سماوية تسطع على الأرض، حتى يخال لقارئه، الذي أحبّه، أو عايشه وتلمّس مناخاته، أن قد مسّته الآلهة، وصار بدوره في منزلة مترفّعة بين الأرض والسماء أو الواقع والمنتخيل، وهكذا الفنان، يبلغ أبراجاً عالية من السكينة والحقيقة، حينما يصفو من اشتباكات الدنيا ونزواتها، ويخُذ إلى القوة الكبرى المستكينة داخله.²

ولعلنا اليوم، في حاجة إلى نقد ودراسة مقاطعه النثرية بشكل مُختلف، كخطوة باتجاه سير أغوار عالمه الخاص، وأسلوبه الكتابي السهل الممتنع؛ فحين كان الأمر في بادئ الأمر مجرد دراسة تقليدية، كانت الاعتبارات مختلفة في فهم كتاباته، عمّا بات إليه الأمر مع تطوّر النظريات. وبذلك يحلُّ التساؤل بدل الرفض؛ فقد بقي (جبران)، في كل تنقلاته خارج الزمان والمكان، واختار رسم كل شخصياته عارية أمام وجه الحقيقة، أي على صورته تماماً؛ بأجسادٍ مُقبلة على المجهول، وأيديّ مفتوحةٍ على المغامرة وشغف الآتي..

¹ - روبن ووترفيلد، جبران خليل جبران: نبي عصره، ترجمة: ميشيل خوري، ص ص 79 - 80.

² - كوليت مرشليان - جبران خليل جبران رائد التمرد والثورة وقصيدة النثر العربية في الذكرى 125 لولادته.

تاريخ

الاطلاع: 2008/04/22م.

ويبقى (النبي) أسلوب قبل كل شيء، أو هو أسلوب فقط لا غير!

فنانون تغنُّوا بكلماته:

دفع (جبران) بالكثير من الشباب في الغرب، خلال الستينيات، إلى الانتقال لما أُطلق عليه،

الحركات الثقافية البديلة عن الكنيسة!

ووجد مجتمع الهيببيين (Hippies)، على أنغام موسيقى الروك، في كتابه (النبي) ضالته، على

وقع عبارة (أولادكم ليسوا لكم)، وكان إنشاءه خفيف الوقع على فرقة الخنافس (البيتلزن)، الذين رَوَّجوا

لكتابته عبر ترديد بعض عباراته.

كما ألهم الكثير من الفنانين الأمريكيين والعالميين؛ فغنَّت فرقة (Mr. Mister) الأمريكية له،

مقطعا من (الأجنحة المتكسرة)، بعنوان (Broken Wings)، وعزف له عازف الساكسفون ألتو

(جاكي ماكلين Jackie McLean)، مقطوعة موسيقية أسماها (خليل النبي Kahlil The

Prophet). واستخدم (جون لينون) مقاطع من (رمل وزيد)، وأفرد الفنان اللبناني (غبريال عبد النور

Gabriel Abdelnour)، لقصائده ألبوما كاملا، وتبقى المطربة اللبنانية (فيروز)، أكثر من تغنَّى

بقصائد (جبران)؛ فغنَّت له بعد (المواكب)، مقاطع كاملة من كتاب (النبي)، ثم قصيدة (يا بني أُمي)،

واقتبس القس (لوري سو) من (النبي)، في مناسبات عقد القران، وحوَّلت الممثلة والمنتجة المكسيكية من

أصل لبناني (سلمى حايك)، كتابه إلى فيلم رسوم متحركة روائي، يحكي قصة رجل اسمه (مصطفى)،

تشير كلماته الحكيمة خوف السلطات السياسية، فتجبره على الإقامة الجبرية في جزيرة (أورفليس) الخيالية

لسنوات عديدة، قبل أن تطلب منه الرحيل على متن سفينة راسية بشاطئ الجزيرة، وأثناء توجُّهه إليها طلب منه الأهالي أن يشركهم في علمه ومعرفته، فحدّثهم عن الموت والحياة والزواج، والعمل، والمحبة... وقام المخرج الأمريكي (روجر ألرز)، بكتابة سيناريو العمل وإخراجه، بمشاركة عشرة مخرجين، منهم (محمد حريب) من الإمارات، و(مرجان ستري) من إيران، و(جان سفار) من فرنسا، و(توم مور) من بريطانيا، و(ليزا أزيولوس) من الولايات المتحدة، وحمل توقيع المؤلف الموسيقي اللبناني (غبريال يارد)، وشارك في تسجيل أصوات الشخصيات المتحرّكة، ممثلون عالميون من بينهم (سلمى حايك)، التي أدّت صوت شخصية (كاملة)، و(وليام نيسون)، الذي أدّى صوت (النبي)، وتمّ إطلاق الفيلم عالمياً من بيروت، في السابع والعشرين من أبريل 2015م¹، ويطمح القيّمون على هذا العمل، إلى تحقيق أمنية (جبران خليل جبران)، في الدعوة إلى نشر الحب والسلام، وإلى ظمأ أعمق للحياة، خاصة في ظل الظروف المعقّدة التي يعيشها العالم اليوم، ولا سيما المنطقة العربية.

¹ - إطلاق فيلم النبي لجبران خليل جبران عالمياً بدءاً من لبنان. تاريخ الاطلاع: 2015/4/3م.

قراءة فنية للنبي:

لعل أول ما يُلفت النظر عند زيارة المكتبات على اختلافها، أن كتاب (النبي) يسكن في أقسام وأرفف مختلفة التصنيف..

إنَّه كذلك؛ فشخصياته ما بين أرضية وسماوية؛ من (المصطفى) إلى (المطر)، وما تضمَّنه من دون تحديد جواب واضح، لشاعرية وماورائيات وفتنازيا واجتماع وسياسة وثورة وحكمة... قد تركه خارج التصنيفات الأدبية.

وما زال إلى اليوم، يثير جدلا فلسفيا ودينيا؛ هل هو كتاب شعر وأدب؟ أم كتاب فلسفة؟ أم كتاب دين أو ما يقارب الدين؟

لكنَّ الأکید أنه فتح أبوابا موصدة، تُحاول أن تُحاكي المجهول والخفي والغامض، وتُخاطب الناس على اختلاف أعمارهم وديانتهم ونزعاتهم وأهوائهم، بعيدا عن كل فلسفة سياسية أودينية، تجمَّدت في صورة أبيض وأسود.

فاقترب من التراث النبوي، واختار لغة جديدة، طبعها نسمة من الروح الشعرية، أكثر التصاقا بلغة الأناجيل، والجرس التوراتي، واكتفتها خيالات أثرية قيثارية، بدت فيها كلماته متجددة الإشعاع، تُثير درب الاستكشاف، لكل روح صافية تروم في عممة الظلام، وأخرى تنتظر ومضات الإيمان، علَّها تلمح من وجه الحقيقة الأبدية، خيالا أو طيفا يؤاسيها دون مرأى، يطمئنها ويرفعها عاليا.

ودفعته الموضوعية المتمرّدة، إلى البحث عن صيغ أدبية غير تقليدية، ووسائل تصوير غير مألوفة،

كشفت عن مخيِّلة نادرة، وإحساس مرهف، في ترسل وعظي، بنبرة تأملية، حملت رموزاً ومعاني وتلميحات؛ من هو هذا النبي؟ ومن أين جاء؟ وإلى أين يمضي؟ السنة الثانية عشر، بأي تقويم؟ ما كان اليوم السابع من شهر الحصاد؟ هل كانت وقائع تاريخية؟ أم صور حاملة؟ أم رموز تحتاج إلى كشف؟ ولكن، هل يلزم بالضرورة أن تكون هناك إجابات؟

فتلك الأحاسيس والتجارب الشعورية، قد انصهرت في قالب من المعادلات؛ تبدأ بالتساؤل، وتفتح طرقاً للإجابة، تتسَّر تحت دَفْق لغوي عارم، يُغري بشاعريته بقدر ما يصدُّ بغماميته، وإن جاءت غامضة على الفهم، فإنَّ الغموض والسديم هما بداءة كلِّ شيءٍ لا نهاية له..

وتبقى الرومانتيكية الراضية لونه الأثير، وقد أخضعها بجمالية جامحة، لعلاقة الإنسان بالطبيعة، وكأنه يُضفي على مشاعره القوية مسحة ربانية، مُستعينا بمفردات قروية، تسرِّح في الحقول الشاسعة، وتقطع الدروب الوعرة، نحو أفق لامتناهي، فتُصبح الولادة زرع وحصاد، والموت والقيامة بيادر قمحٍ تندثر وتعود مع كل موسم..

ليؤكِّد هذا الكتاب الصغير، مصداقيته وصحته عبر السنوات، كأكثر الكتب التي كُتبت محبةً،

مُتجاوزاً حدود المكان، صامداً في وجه الزمن – بل يُسابقه إلى لمس الحقيقة-، يبدو فيه مؤلِّفه جلياً

لقارئه، الذي يستعيد تلك الأحلام والمعاني في كل مرة يستذكر سطورَه!

الفصل الثالث

ميرداد لميخائيل نعيمة

نبذة عن حياة ميخائيل نعيمة

مؤلفاته

أدبه ومواقفه

1- الخلفية الثقافية لميخائيل نعيمة

2- البعد الإنساني في فكر نعيمة

3- المحور العربي في أدب نعيمة

4- نعيمة الناقد

5- من الأدب إلى التصوف

نعيمة بين منتقديه ومناصريه

تاريخ نشر مرداد

عنوان الكتاب

محتوى مرداد

أفكار مرداد

قراءة فنية لمرداد

نبذة عن حياة ميخائيل نعيمة:

وُلد الشاعر والقاص والمسرحي والناقد وكاتب المقال اللبناني (ميخائيل نعيمة)، في السابع عشر أكتوبر 1889م، بقرية (بسكتتا)، على سفح جبل صنين، المطل على البحر المتوسط، في عائلة أرثوذكسية.

بدأ دراسته الباكرة في دار المعلمين الروسية، بمدينة الناصرة في فلسطين، قبل ارتحاله إلى بلاد القياصرة لتفوّقه، حيث التحق سنة 1906م بجامعة (بولتافا) الأوكرانية، ثم عاد إلى لبنان سنة 1911م، لينتقل سنة 1912م إلى واشنطن، حيث حصل من جامعتها على شهادة الحقوق سنة 1916م، كما خدم كمجنّد في الجيش الأمريكي، على الجبهة في فرنسا، خلال الحرب العالمية الأولى، وحصل بعد الحرب على منحة دراسية لمدة ثلاث سنوات، مكّنته من متابعة دراسة التاريخ والفن والأدب الفرنسي في جامعة رين، ومنها إلى نيويورك، حيث تابع صلته بالصحافة الأدبية العربية، وساهم سنة 1920م في إنشاء الرابطة القلمية، لكنه لم يستطع أن يندمج في الحياة الأمريكية، فعاد إلى قريته سنة 1932م، بعد موت (جيران خليل جبران) بسنة، وبقي هناك إلى أن وافته المنية، في الثاني والعشرين فيفري سنة 1988م، عن عمر ناهز المائة سنة.¹

¹ - خليل أحمد خليل، موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين، ج 3، ص 271.

أمّا (ناسك الشخروب)، فهو لقب أطلقه عليه الأديب (توفيق يوسف عوّاد)، بعد زيارته له في (الشخروب)، مكانه الأثير قرب (بسكنتا).

فقد انعزل (ميخائيل نعيمة) عند عودته من نيويورك، في حي يدعى (الشخروب)، منصرفاً إلى حياة تأمل طويلة، فكان لا يفارق شخروبه، إلّا نادراً إلى العاصمة بيروت، إما لحديث في الإذاعة اللبنانية، أو لمناسبة من المناسبات، ثم يعود إلى معتزله في أعالي الجبال، مُنصرفاً إلى القراءة والكتابة والتأليف، دون أية مشاركة في الحياة اللبنانية العامة، ولم يُسمع له صوت، ولم يُقرأ له حرف، عن الانتداب الفرنسي، مُصراً على اعتزله، وأن أمر تحرّر لبنان لا يتحمّل هو مسؤوليته!

فاختلف في هذا الجانب، عن (أمين الريحاني)، المطارد من الفرنسيين، لمعاداته للانتداب، ولاتفاقية (سايكس بيكو) التي قسّمت المشرق العربي إلى الدول الحالية، وعن (جبران خليل جبران)، الذي عمّل بنيويورك على تأسيس جمعيات، تُرسل معونات إلى اللبنانيين، وترفع قضيتهم في المحافل الدولية.¹

¹ - جهاد فاضل، ميخائيل نعيمة.. ربع قرن على الرحيل. جريدة القيس اللبنانية. ع 14110. الصادرة بتاريخ 2012/09/10م.

مؤلفاته:

أفردت المكتبة العربية مكانا كبيرا لكتب (ميخائيل نعيمة) بالعربية والإنجليزية والروسية، وهي كتابات تشهد له بالامتياز، وتحفظ له المنزلة السامية في عالم الفكر والأدب، نوردها بتسلسلها الزمني، حسب تواريخ صدورها للمرة الأولى:

كتب (نعيمة) أول مقال نقدي له سنة 1913م، ثم نشر بعدها مجموعته القصصية الأولى (سنتها الجديدة)، سنة 1914م، وكان حينها في أمريكا يتابع دراسة الحقوق، وفي العام التالي، نشر قصة (العافر).

صدر له (الآباء والبنون)، في طبعة أولى بنيويورك سنة 1917م، وهي تمثيلية اشتملت على أربعة فصول، عكست الزاد الإنساني الدسم، الذي سنألفه لاحقا في أعماله، وضمّ كتابه النقدي الرائد (الغريال)، الصادر سنة 1923م، اثنتين وعشرين مقالة نشرها سابقا في مجلات مهجرية، عمل من خلالها على تكسير القوالب الأدبية القديمة، فيما أكّدت مجموعته الزمكانيّة (كان ما كان) سنة 1927م، بقصصها الست القصيرة، على الأنا الإنسانية وعلاقتها بالآخر، ثم أصدر (المراحل) سنة 1934م، ثم (جبران خليل جبران) سنة 1936م.

صدر له سنة 1943م، مجموعته الشعرية باللغة الإنجليزية (همس الجفون)، التي عرّبها (محمد الصابغ) سنة 1945م، وأشاد بها الناقد المصري (محمد مندور)، مُعتبراً إيها نموذجا للشعر المهموس ذي النَّفس الحار القوي، لكنّها بقيت يتيمة في نتاج (نعيمة)، إذ لم ينشر سواها من الشعر.

وكان (زاد المعاد) سنة 1945م، رفيقا لكل من تضيئه أسرار الحياة، فانبري باحثا عن واحات الخلاص ودروب الهداية وسلام النفس والفكر.

ثم أصدر على التوالي:

(البيادر) سنة 1946م - لقاء سنة 1948م - كرم على درب الأوثان سنة 1948م -
(مذكرات الأرقش) سنة 1949م، وهي روايته الوحيدة - صوت العالم سنة 1949م - مذكرات
الأرقش سنة 1949م - مرداد: منارة وميناء سنة 1952م - النور والديجور سنة 1953م - دروب
سنة 1954م - مجموعة (أكابر) سنة 1956م، وهي قصص قصيرة، ارتفع فيها بالآني في حياته
وحياة الناس إلى الكوني المطلق، كما قام في نفس السنة بتعريب كتاب (النبي) لجزان خليل جبران - في
مهب الريح سنة 1957م - أبو بطة سنة 1958م، وهي مجموعة من الأقاصيص، يعرض فيها ألوانا
من الحياة التي يجيهاها الناس في كل يوم، ويعرضها بقلم يعرف مكامن الضعف والقوة في النفس البشرية،
ويجيد تصويرها، فيثير اهتمام القارئ بها ويحمله على التفكير العميق، وقد غدت مرجعا مدرسيا وجامعيا
للأدب القصصي اللبناني والعربي النازع إلى العالمية - سلسلة (سبعون)، ما بين سنتي 1959م و
1960م، في ثلاثة أجزاء، وهي سيرة ذاتية، بسط فيها لتجربته الأدبية وخبرته على هذه الأرض، ظنًا
منه أن السبعين ستكون آخر مطافه، ولكنه عاش حتى التاسعة والتسعين، وبذلك بقي عقدان من عمره
خارج سيرته - أبعد من موسكو ومن واشنطن سنة 1963م - اليوم الأخير، سنة 1965م، ويجعلنا
ندرك فيها، أن الإنسان حطبة مصيرها التعفن والتفتت والاندثار، إلا إذا عرف كيف يحرق أمام عتمة

الموت، ذلك الثقل المكثف البائد فيه، فيتحوّل به إلى لهب ونور - أيوب، سنة 1967م، وهي مسرحية من أربعة فصول، أحب أن يُعطي من خلالها نظرة شمولية عن الكون وتكامله- يا ابن آدم! حوار بين رجلين.. سنة 1969م - هوامش سنة 1972م - في الغريال الجديد سنة 1973م - رسائل سنة 1973م، كتبها إلى أدباء ومريدين كثيرين من مختلف بلدان العالم، تراوحت بين التفاصيل الصغيرة والشخصية إلى الهموم الكبيرة - نجوى الغروب سنة 1974م - مقالات متفرقة سنة 1974م - أحاديث مع الصحافة سنة 1974م - رسائل (تتمة) سنة 1975م - من وحي المسيح سنة 1975م - ومضات (شذور وأمثال) سنة 1977م.¹

ويبقى أن نُجَلِّ ثقله الثقافي، كانت مقالاته في مجلة الآداب، والأديب، والثقافة، والحكمة، والمراحل، والمقتطف، والمكشوف، والهلال، و... غيرها.²

وأثارت سيرته عن (جبران خليل جبران) لغطاً كبيراً؛ ففيما رأى البعض أن الغيرة كانت تعتمر في صدر (نعيمة)، وادّعى البعض أنها تصفية حسابات بينه وبين صديقه اللدود، وذهب البعض إلى أنه لم يتم يوماً أيُّ ودِّ حقيقي بين نعيمة وجبران، وأنه بعد رحيله انقضَّ عليه، وبدا كمن يتعمّد الإساءة إليه، وتشويه صورته الرومانسية، الأقرب إلى الصوفية، حاول (جهاد فاضل) أن يفهم مرامي (نعيمة)

1- خليل أحمد خليل، موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين، ج 3، ص ص 272 - 274.

2- محمد شفيق شيا، فلسفة ميخائيل نعيمة، ط 3، بيروت: مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع، 1987م، ص

الحقيقية؛ فقد هالته الهالة القدسيّة والتعظيميّة التي أحاطت بجران بعد عودة جثمانه، فأخضع صورته الخيالية للنقد والتدقيق، ليعطى صورة أقرب إلى حقيقته عن تلكم التي ما حادت عن مسلك التعظيم.¹

أدبه ومواقفه:

إذا كان لكلّ أمة أن تزدهي بكتّابها وشعرائها، وأن تباهي بعباقرتها وفلاسفتها ومفكراتها، فقد حقّ لنا نحن أبناء الأمة العربية، بل الشرق جميعاً، أن نفخر بميخائيل نعيمة، كمدرسة تجديدية، ومذهب مضىء بين مذاهب الفكر الإنساني.

1- الخلفية الثقافية لميخائيل نعيمة:

انتقل (ميخائيل نعيمة)، بين دفتي الثقافة الشرقية والغربية، وانعكس ذلك في محاولته خلق مقاييس وأشكال جديدة في الأدب العربي، عبر الاستعانة بالطرق العقلية المتفتحة في مجال النقد، وإعادة النظر في قدرة الأدب على اختراق نفس الإنسان، وبناءها فكرياً وانفعالياً أمام الحياة وأسرار الوجود، وتفجير ينابيع القوى الكامنة فيه، فيقلب إلحاده إيماناً، ويأسه رجاءً، ورذيلته فضيلة،² فالحياة والأدب توّمان لا ينفصلان، والإنسان هو محورهما.

¹ - جهاد فاضل، ميخائيل نعيمة.. ربع قرن على الرحيل.. جريدة القبس اللبنانية. ع 14110، الصادرة بتاريخ 10 /09 /2012.

² - هناء صقور، دراسة نقدية لكتاب الغريال، مجلة ثقافة وفنون، دمشق، نشرت بتاريخ 27/11/2014م.

أمّا الأديب فهو رسول الأمة، يحمل همومها ويصارع من أجل تحقيق ما يرفع من شأنها وينهض بها بين الأمم.

وقد سلّم له القلم واللسان قيادهما، فكان فصيح اللسان، سيّال القلم، واسع الاطلاع، عميق الفكر، بعيد الخيال، صلب الرأي حتى العناد.

ولأنّه اكتسب معرفة واسعة بالأدب الروسي، أثناء دراسته الجامعية في روسيا:

"إنّ الأدباء الروس فتحوا لي الباب إلى الأدب الإنساني الرحب، فنهجتُ نهمهم في ما صنّفت من قصص."¹

فقد فهم قوانين الحياة، وفصّل القشور عن اللباب،² وجاءت قصصه أقرب إلى الصدق النفسي والفني، فنظر إلى الأدب نظرة متسامية، غير معترف بالخطيئة؛ فالإنسان يتدرّج من الحيوان، إلى الإنسان، إلى الله، وهو في تدرّجه، لا بدّ أن يعثر هنا ويقوم هناك، والإنسان الذي لا يعثر لا

1- من حوار له في: جريدة العمل. بيروت: العدد الصادر بتاريخ _ 30 /11 /1961م.

jaridat.com

2- مارياً نيكولايفنا، ميخائيل نعيمة: الفيلسوف، الشاعر والإنسان، أعمال الندوة العلمية التي عقدت في رحاب الأكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة بجامعة البلمند بالاشتراك مع البيت اللبناني الروسي، بين الرابع والثامن مارس 1999م، طرابلس: دار نشر جروس برس، 1999م، ص 47.

يتعلم!¹

وحين قدم إلى المهجر الأمريكي، اتخذت خلفيته الروسية، شكل ثورة روحية رسولية، بلغت في أعماله، وخاصة المتأخر منها، حد الخروج بمسيحية جديدة، ولازمته واقعية إنسانية من النوع الروسي، تحوّلت بالتنظيرية والتعليمية والوعظية إلى التجسيد، وتبنت منها سيكولوجيا في التعاطي مع الوقائع والأحداث.

وقد اعتُبرت أعماله: (الآباء والبنون) و (كان ما كان) و (مذكرات الأرقش)، فاتحة المسرحية، والقصة، والأقصوصة، في الأدب العربي الحديث، بالمعنى الفني المعاصر.²

وبدا (نعيمة)، كائنا مجروحاً مجروحاً كونيًا دهرًا عميقًا، ليس له من طبعه أن يلتئم، ارتقى إلى مستوى الكشف الرؤيوي، لأبعاد الحياة الفردية والاجتماعية والكونية، يطوف في رحابه ابن الفارض والجنيد والحلاج، في ديوانه (همس الجفون).³

1- من حوار له مع عصام محفوظ والشاعر نقولا قربان، مجلة شعر، بيروت، جوان 1968م.

أعيد نشر هذا الحوار في صحيفة النهار، بيروت، بتاريخ 1988/3/2م، بعد بضعة أيام من وفاة (ميخائيل نعيمة).

2- نعيم نعيمة - الأدب المهجري تأثره بالغرب وتأثيره فيه. تاريخ الاطلاع: 2006/05/27م.

www.syrianstory.com

3- مناور عويس - مع ميخائيل نعيمة في همس الجفون. تاريخ الاطلاع: 2015/5/11م.

https://ar.wikisource.org

ووصل باحترامه للجميع الديانات، ودعوته للسلام والمحبة إلى النرفانا، التي حجَّ إليها من قبله، الغزالي، وابن عربي، والقديس فرنسيس الأسيزي، وغيرهم ممن صفت نفوسهم، وطُهرت قلوبهم من أقدار الأرض وأوضارها.

ليعود إلى نعمته المحبية عن الوجود، التي ترى أن الخير الأسمى، يكون في فرح المعرفة، واتحاد الروح بالطبيعة الكاملة.

2- البعد الإنساني في فكر نعيمة:

صرَّح (ميخائيل نعيمة)، في حوار له مع جريدة الصفا اللبنانية، في الخامس والعشرين أوت 1963م، أن متاعب الإنسان سببها تمزُّقه الكوني الوجودي:

"في اعتقادي أن جميع مشكلات الإنسان تنبت وتتفرَّع من مشكلة أساسية واحدة. وتلك المشكلة هي جهل الإنسان لنفسه ومكانته في الوجود."¹

وقد سعى عبر كتاباته إلى غاية نبيلة، هي محبة الإنسان:

"عناصر الكون أربعة: م. ح. ب. ة، يجمعها العنصر الفرد (أنا)"²

وكتب إلى (محمد صالح عاشور):

"الحب يا صاحبي إن لم يعدِّب لم يهدِّب، فهو المهذَّب الأكبر إذا نحن عرفنا كيف ننتفع

1- ميخائيل نعيمة، أحاديث مع الصحافة، بيروت: مؤسسة نوفل، ط 2، 1989م، ص 140.

2- ميخائيل نعيمة، كرم على درب، بيروت: مؤسسة نوفل، ط 9، 1989م، ص 43.

بدروسه وتوجيهاته.¹

كما رفض التعصُّب الديني، وفي رسالته إلى (سالم بن حسين عاشور) كتب يقول:

"أعيذك يا ابني من المفاضلة بين الأديان، سماوية كانت أو غير سماوية؛ فلبُّ الدين ليس في عقائده وشعائره ومراسمه، بل في مدى تأثيره على سلوك أتباعه تجاه أنفسهم وتجاه إخوانهم الناس وسائر المخلوقات. فالرجل الصالح مهما يكن دينه هو غاية كل دين، والصلاح ما كان يوماً من الأيام وقفاً على دين دون دين."²

وعن التعصُّب المذهبي كتب:

"فما دامت غايتك من مذهبك الوصول إلى الله، وغايتي من مذهبي الوصول إلى الله، فما شأنك معي أيَّ طريق أسلك إلى الهدف."³

وصبَّ فكره في الأبعد، فلم يقس الزمن بالمسافات الصغيرة:

"إنَّ العالم يسير في اتجاه دولة عالمية واحدة ودين علمي واحد هو الدين الإنساني، لتغدو هذه الدول وهذه الدويلات التي يكتظ بها سطح الأرض دولة واحدة لا منافس لها في الحكم والسلطان إلاَّ الطبيعة. وإذ ذاك فالقوى البدنية والروحية الهائلة التي تهدرها اليوم شعوب الأرض في المحافظة على كيانها

¹ - ميخائيل نعيمة، الرسائل، المجموعة الكاملة، بيروت: دار العلم للملايين، ط 2، مج 8، 1979م، ص 234.

² - ميخائيل نعيمة، الرسائل، المجموعة الكاملة، مج 8، ص 215.

³ - ميخائيل نعيمة، البيادر، المجموعة الكاملة، مج 2، ص 86.

القومي والسياسي والاقتصادي، أو في توسيع ذلك الكيان على حساب جاراتها القريبات والبعيدات، سوف تتحوّل من أسلحة هدّامة أثيمة إلى أسلحة بِنَاءة كريمة؛ فهي هدّامة ما دام الإنسان يستعملها لامتهان كرامة أخيه الإنسان، وهي بِنَاءة عندما يلجأ إليها لبيتز من الطبيعة خيراتها ويفضّ ما أُغلق عليه من أسرارها، فيسخّرُها لغاياته بدلا من أن يكون مسخّرا لغاياتها، ويدلّلها لمشيئته بدلا من أن يكون عبدا لمشيئتها.¹

وأدرك أن العالم في تغيّر مستمر، لكن هناك قدرة لا تتغيّر ولا تتبدّل، هي القدرة التي تُحدث التغيير، تلك القدرة التي إذا عرفناها عرفنا أنفسنا، وعندئذ استطعنا أن نعيش في عالم موحّد لا في عالم مجزأ؛ فما ينفع أمة ينفع كل الأمم، وما يضير أمة يضير كل الأمم، والأرض ليست موطننا لشعب دون شعب، وخيراتها ليست وقفا على دولة دون دولة، والنزاع على الأرض لا غالب فيه إلا للأرض، أما النزاع مع الأرض، فقد يؤدّي، بل سيؤدي حتما، إلى غلبة الإنسان على الأرض، وغلبة الإنسان على الأرض ستكون نقطة انطلاقه إلى الحرية، وهي غلبة لن تتم لهذه الأمة وحدها أو لهاتيك، بل تتمّ بجهود جميع الأمم وجميع الناس، وإذن فهي غلبة الإنسانية لا غلبة دولة بعينها أو إنسان بعينه:

¹ - ميخائيل نعيمة، صوت العالم، بيروت: مؤسسة نوفل، ط 10، 2014م، ص 69.

"ما تقمّط بالزمان ليبقى إلى الأبد رهين الزمان، بل ليقهر في النهاية الزمان، ولا استوطن الأرض ليستأثر للأرض، بل ليجعل منها نقطة الوثوب إلى السماء. وما التجارب والمحن سوى محك الوعي على الطريق الحتمي إلى الأعلى."¹

وكان يرى أن نقف من أنفسنا ومن العالم حوالينا، موقف المفكّر الرصين، لا موقف المتفرد اللامبالي، فالحياة بما فيها من لذة وألم، هي المصهر الذي تذوب فيه الذات المحدودة في الذات الشاملة، وليس يُعني الإنسان أن يعرف ذلك بفكره، بل لا بدّ له أن يتجّه إليه بجميع نيّاته وشهواته وأقواله وأعماله، وفي ذلك سرٌّ تعلّقنا بالبقاء على الرغم من كل ما فيه من كفاح ومرارة وألم، وليت الذين أقاموا أنفسهم وكلاء على الدّين، لو أنهم فهموا روح الدّين:

"ليس من المنطق في شيء أن تباهي بالحرية وأنت مكبّل بقيود المنطق."²

وكتب إلى (ناجية ثامر):

"حسبنا أن نظفر خلال العمر بلمحة واحدة من نور المعرفة، حتى نجعل من تلك اللمحة حافزا للآتين، في المثابرة على التفتيش واليقين بأن حياتنا أعمار تتصل بأعمار؛ فلا نهاية لنا كأفراد ولا نهاية لنا كمجموع. وهذا اليقين إن لم يأتك مني أو من سواي، سيأتيك من صميم نفسك يوما من الأيام."³

¹ - ميخائيل نعيمة، أكابر، بيروت: مؤسسة نوفل، ط 19، 2015م، ص 76.

² - ميخائيل نعيمة، كرم على درب، ص 105.

³ - ميخائيل نعيمة، الرسائل، المجموعة الكاملة، مج 8، ص 221.

3- المحور العربي في أدب نعيمة:

ويتلخص في الدعوة إلى نهضة العرب ضد الاستعمار، والإيمان بالوحدة العربية، في سبيل
لمّ شتات العرب، وإلى النهوض باللغة العربية الفصحى.

وكان في دعونه يساوي بين المعسكرين الرأسمالي والاشتراكي.

4- نعيمة الناقد:

بدأ (نعيمة) حياته الأدبية ناقداً، وكان أشبه بمحطة إصغاء عربية عبر البحار، يُعلن عن متعته
الخالصة في كسر أطواق المحرّمات المتصلّبة.

واستهان بقيمة التراث، ولم يُعن به في كتاباته، فغنّه أكثر من سمينه، ودعا إلى الوحدة العضوية
في القصيدة، ساخرا من المقدّمة الطللية، وأكّد ضرورة الثورة على الأوزان الشعرية التقليدية، التي تعيق
الشاعر، ويستخف بوفرة الأوزان العربية، التي لا تدل على غنى اللغة، ولا على عراقية التجربة الشعرية
العربية، بل هي منظومات مبتذلة خالية من المعنى، وإغراء عن كتابة المسرحية أو الرواية.

وهاجم حُماة القلعة التقليدية، الذين تسير بهم الحياة وهم قعود، إلّا أن ما تنبذه الحياة تنبذه من
نفسها، أحبه ضفادع الأدب أم لم يجوه.¹

1- من حوار له مع عصام محفوظ والشاعر نقولا قريان، مجلة شعر، بيروت، جوان 1968م.

أعيد نشر هذا الحوار في صحيفة النهار، بيروت، بتاريخ _ 1988/3/2م، بعد بضعة أيام من وفاة
(ميخائيل نعيمة).

والواضح أن (نعيمة) كان يُفضّل المعنى على اللفظ؛ فاللغة لا تتعدّى كونها مستودع رموز، ولا قيمة للرمز في ذاته، فالإنسان في حاجة إلى التعبير عن نفسه، والوصول إلى نور الحقيقة، ورؤية الجميل في كل شيء، وتكون قيمة الأدب بقدر ما يسدُّ من هذه الحاجات.

وأصّر في كتابه الأشهر نقديا (الغريال)، على أهمية النقد وقيّمته، ورفض إخضاع النقد لقواعد ثابتة؛ فلكل ناقد غرياله، وعليه أن يكون مبدعا ومرشدا لقراءه، وأن تكون مهنته غريلة الآثار الأدبية لا غريلة أصحابها.

لكنّ حملته الجارحة على الموروث الأدبي القديم، وآراءه النقدية، حملت بالمقابل شذبا للعقل العربي، فكان لمحاولاته التجديدية، أثرها الكبير على الأدب العربي الحديث، واستطاع بفكره النير أن يؤسس لمدرسة فريدة، تتبى مذهبها مُخلصا يقوم على مبادئ إنسانية:

"ما أضيق فكري ما دام لا يتسع لكل فكر."¹

5- من الأدب إلى التصوف:

يميل (ميخائيل نعيمة) في أعماله، إلى التفاؤل والتبشير بالخير والحب والجمال، وفي صياغته إلى سهولة تكاد تقترب من الشعبية، وفي رمزه إلى الإدهاش، وفي نصّه الشعري إلى مرجعية صوفية، يستحضر فيها فريد الدين العطار، وابن عربي، وجلال الدين الرومي، والحلاج، وغيرهم...

¹ - ميخائيل نعيمة، كرم على درب، ص 70.

وكان شعره، شعر أسئلة وجودية، واحتمالات ضاربة في عمق القلق الوجودي، والإرث العرفاني الإسلامي والعالمي، حيوي ويلبّي نداءات الروح، والشعر جزء من نداءات الروح، يحتوي متناقضات الوجود، ويستشرف طبقات الآفاق والأنفس... وفي مجرى اللغة، كما في مجرى الحياة، كل شيء يتحوّل، لذلك فقد استخدم لغة العصر لا لغة التراث.

أمّا علاقة اللحظة الراهنة بالماضي والمستقبل فهي علاقة طائر.. موسى حين طلب ذلك، خرّ مغشياً عليه، إذ رأى جبل الطور أمامه يندكّ دكّا، إنه طائر يحوم حول عليقة مشتعلة.¹ وبعد عودته إلى الوطن، اتقطع (ميخائيل نعيمة)، أكثر فأكثر عن الكتابة الأدبية، ولفرط ما أوغل في الخمسين سنة الأخيرة من حياته في الحديث عن التقمص، والنظريات الشيوصوفية، كاد الناس ينسون أن له تاريخاً أدبياً مشرقاً من نوع آخر.. حتى أن البعض يعدّه من النسّاك والمرشدين.²

ويؤكّد (أسعد خليل) أنّه من أكثر كتّاب الألفية الماضية صوفية وزهداً:

"فكريا، كان نعيمة زاهداً، يُدخل في فكره الكثير من التردّد المزعج عن الدنس وعن الأغراض

¹ - صفوان حيدر، قراءة سياسية لأدب أعلام المهجر. جريدة السفير، الصادرة في بيروت بتاريخ 2015/8/2.

jaridat.com

² - جهاد فاضل، ميخائيل نعيمة.. ربع قرن على الرحيل. جريدة القيس اللبنانية. ع 14110. الصادرة بتاريخ 2012/9/10م.

jaridat.com

وعن الطهارة. كان راهبا، أعلن ذلك أم لم يعلن.¹

وهذه أبيات من قصيدته (التائه)، سنة 1943م:

أَسِيرُ فِي طَرِيقِي فِي مَهْمِهِ سَحِيقِ

وَوَحْدِي رَفِيقِي وَوَجْهَتِي الْقَضَا

مَطَيِّبِي الثَّرَابُ وَخَوْذِي السَّحَابُ

وَدَرْعِي السَّرَابُ وَرَائِدِي الْقَضَا

تَسْوِفُنِي التَّوَانِي ... فِي مَوْكِبِ الزَّمَانِ

وَلَسْتُ أَذْرِي شَانِي ... فِي مَعْرِضِ الْوَرَى

فَلَا الْقَضَا يُنِينِي وَلَا الرَّجَا يَهْدِينِي

وَلَا السَّمَا تُعْطِينِي نُورًا لِكَيْ أَرَى

بَلْ فِي ضُلُوعِي نَارٌ تَتْبِرُهَا الْأَقْدَارُ

يَا لَيْتَهَا تَخْتَارُ سِوَايَ مَوْقِدًا

نَارٌ بِلَا زَمَادٍ يُشْوَى بِهَا فُؤَادِي

وَلَيْسَ إِذْ يُنَادِي مَنْ يَسْمَعُ النِّدَا

¹ - أسعد أبو خليل - جبران خليل جبران: أساطير التفوق اللبناني. تاريخ الاطلاع: 2010/10/16م.

وَاحْرَقْتِي، أَوَاهِ لَوْ كُنْتُ أُدْرِي مَا هِيَ
أَشْعَلُهُ الْإِلَهَ أَمْ شُعْلَةَ الرَّذَى
فَهِيَ الَّتِي تُحْيِينِي .. وَهِيَ الَّتِي تُفْنِينِي
وَهِيَ الَّتِي تَسْقِينِي .. مِنْ جَمْرِهَا نَدَى
وَهِيَ الَّتِي لَطَّأَهَا أَرَانِي الْإِلَآهًا،
وَهِيَ الَّتِي لَوَلَّأَهَا لَمْ أَعْرِفِ الشَّقَا
رَبَّاهُ هَلْ بَلَّيْتَهُ ذِي النَّارِ أَمْ عَطَيْتَهُ
تَخْلُو بِهَا الْمَنِيَّةَ وَيُعَذِّبُ الْبَقَا؟
هَلْ جَرَّهَا عِنَادِي عَلَيَّ أَمْ فَسَادِي،
أَمْ جَرَّهَا انْقِيَادِي لِسُلْطَةِ الْهَوَى؟
أَمْ جَرَّهَا غُرُورِي بِفِكْرِي الْمُبْتُورِ،
أَمْ جَرَّهَا قُصُورِي .. عَنْ فَهْمِ مَا انْطَوَى؟
رَبَّاهُ هَلْ يُلَآئِمُ مَنْ رُئِيَ أَوْامُ
وَنُورُهُ ظَلَامٌ إِنْ قَلْبُهُ كَبَا؟
أَمْ يَجْلِبُ الْعَقَابَا مَنْ يَرْتَدِي الضَّبَابَا
وَيَشْرَبُ السَّرَابَا إِنْ فِكْرُهُ نَبَا؟

أَخَالِقِي رُحْمَاكَ بِمَا بَرَّتْ يَدَاكَ!
إِنْ لَمْ أَكُنْ صَدَاكَ فَصَوْتُ مَنْ أَنَا؟
رَبِّي: أَلَا تَرَانِي أَسَاقُ كَالْحِمْلَانِ
رَبِّي، أَمَا كَفَانِي عَمَائِي وَالْوَقَى؟
فَابْدِلْ لَطْفِي نِيرَانِي بِجَمْرَةِ الْإِيمَانِ
وَاجْعَلْ مِنَ الْحَنَانِ لِلْقَلْبِ مَرْهَمًا
إِذْ ذَاكَ بِالتَّهْلِيلِ أَسِيرُ فِي سَبِيلِي
وَخَالِقِي ذَلِيلِي، وَوَجْهَتِي السَّمَاءَ!¹

نعيمة بين منتقديه ومناصريه:

لعل أكثر منتقديه، كان ابن خاله (كعدي فرهود كعدي)، الذي لم يكتفِ بشنِّ حملة شعواء على ابن عمته، تُشبه تشنيعات أبناء القرى على الشخص البارز من بينهم، بل صوّره شخصاً عديم الموهبة، يسرق عن الكتّاب الغربيين.²

أمّا الناقد المصري (وليد منير)، فرأى أن (نعيمة) كان أحد أعمدة مدرسة المهجر، وله مكانة خاصة بين رموز عصر التنوير، الذين ضاقت عندهم الفجوة بين التنظير والتطبيق، وإلى ذلك كان

¹ - ميخائيل نعيمة، ديوان همس الجفون، بيروت: مؤسسة نوفل، ط 6، 2004م، ص ص 78 - 79.

² - محمد علي فرحات - ماذا فعلت يا كعدي بنعيمة وجبران؟ تاريخ الاطلاع: 1992/8/03م.

يبحث عن الكونية، كخلاص من الضرورة اليومية، فتميّز نقده بروح التأمل، وجعل من الإنسان محور كتاباته، لأن الأدب قراءة في كتاب النفس، والكتابة تفتيش عن الذات، ولذلك نجده يركّز على أربعة من مقاييس الإشباع الإنساني هي: الحاجة إلى التعبير، والحاجة إلى الحقيقة، والحاجة إلى الجمال المطلق، والحاجة إلى الموسيقى، أمّا كتابه (الغربال)، الذي صدر في وقت متقارب، مع كتاب (الديوان في الأدب والنقد) لعباس محمد العقاد وإبراهيم المازني وعبد الرحمن شكري، فقد مهّد لنهضة أدبية عربية فارقة.¹

تاريخ نشر مرداد:

صدر (مرداد: منارة وميناء) في طبعة أولى سنة 1952م، بلغته الأصلية أي الإنجليزية، ثم قام (ميخائيل نعيمة) بتعريبه، وأعاد نشره سنة 1953م.

وقد تعدّى الإقبال على هذا الكتاب وتقديره، إلى خارج لبنان وغيره من البلاد العربية، فظهرت له ترجمات إلى لغات عالمية عديدة، منها الهولندية، ووَزَعَت دار نشر بريطانية، نُسخا منه في دول الكومنولث.

عنوان الكتاب:

(مرداد)، من التكرار والعودة المرة تلو الأخرى؛ وقد كان (مرداد) في مراحل من الزمن سابقة، وعاد من جديد ليُكمل رسالةً قرّر القيام بها منذ أجيال؛ فعلم نوحا، وسيعلم الباقين، وبعد أن ينتهي من تعليم رفاق الفلك، لن يموت، لأنه أقوى من الموت.. إنّه نسمة إلهية علوية في كتلة سفلية من طين:

¹ - وليد منير، ميخائيل نعيمة ناقداً... القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م، ص ص 45 - 47.

"أبيمار: أالأرض سلطان عليك كذلك، يا معلّم؟ فما أنت تبدو كما لو كنت واحداً منّا.

مرداد: إيّ أجيء حين أشاء. وأذهب حين أشاء. وأنا أجيء لأعتق شركاء الأرض من

عبوديتهم للأرض."¹

فمرداد يمثّل النموذج الأعلى عند (نعيمة)، لقدرته الخارقة على التحكم تحكّمها تماماً في المكان

والجسد، وعدم الخضوع لقيود الزمن؛ فقد قهر الزمن ماضياً وحاضراً، ومستقبلاً، لأنه غير مقيّد بعمر

من الأعمار يكون فيه ومن ثمّ ينتهي بانتهائه؛ فقد كان منذ أجيال، وهو كائن الآن، وسيعود في

المستقبل.. إنّه الدوام الذي لا يحول ولا يزول، وهذه سنّة الحياة وناموسها.

محتوى مرداد:

ضمّ (مرداد: منارة وميناء)، سبعة وثلاثون فصلاً، تدور فكرتها حول مكوث (مرداد) سبع

سنوات في القلّك، دون أن ينطق بكلمة واحدة، ويوم بدأ يفصح عن أفكاره، ويدعو رفاق القلّك إلى

تعاليمه، حاروا في أمره، وراحوا يتساءلون عمّن عساه يكون؟

وقوام هذا الكتاب، أسطورة حاكها المؤلّف، عن دير حرب مهجور، على قمة مستعصية، هي

قمة (الأس واللّبان).. لعلها رمز قمة (صنين)، التي كان الكاتب يقطن عند أحد سفوحها في لبنان:

¹ - ميخائيل نعيمة، مرداد: منارة وميناء، المجموعة الكاملة، مجلد 6، ص ص 642 - 643.

"في جبال الآسي واللّبان، على القمّة الشاهقة المعروفة بـ "قمّة المذبح"، ما تزال بقايا هيكل مهجور متهدّم يدعى (الْقُلُك). أما تاريخه فقد غاب في لجج سحيقّة من القِدَم تنتهي، في عرف التقاليد، إلى الطوفان.

كثيرة هي الأساطير التي حاكتها الأيام حول القُلُك، لكنما الأسطورة الأكثر رواجاً هي التي سمعتها مراراً من أفواه القاطنين في سفح قمّة المذبح حيث أتيح لي ذات سنة أن أمضي صيفاً بكامله،
وها أنا أرويها كما سمعتها.."¹

وتعود أسطورة الدير، إلى (نوح)، الذي استحضر قبيل وفاته كبير أبنائه (سام)، وأوصاه أن يبني على القمّة، تماماً حيث سبق أن رست السفينة، بيتاً للرّب، يكون ملجأً لجماعة من رجال مختارين، لا يزيد عددهم أبداً على التسعة ولا ينقص عنها. وهؤلاء سيعرفون باسم (رفاق القُلُك)، ويحرصوا أن يُيقوا في (القُلُك) نارا مشتعلة؛ فالبيت تذكير دائم للناس بالطوفان، والنار رمز للإيمان، الذي إذا استمروا في تعهّده جتّبهم طوفانا آخر.

كان سكّان القُلُك، ثمانية، هم نوح وزوجته وأبنائه الثلاثة وزوجاتهم، أما التاسع على ما أفضى به نوح لولده، فكان شخصاً غير منظور إلّا منه، رافقه طوال عهد السفينة، وأمسك دائماً بيده وهي قابضة الدقّة.

¹ - ميخائيل نعيمة، مرداد: منارة وميناء، المجموعة الكاملة، مجلد 6، ص 549.

وكان أمر (نوح) أن لا يهتم السدنة باختيار تاسعهم كلما نقص عددهم، بل يترتب عليهم إتمامه كما هو مقتضى الوصية، وذلك بأن يضموا إليهم أول طارق، مهما كان جنسه أو وضعه أو قيافته؛ فالذي أرسل التاسع إلى القللك، هو الذي سيتدبر أمر تاسعهم.

لكن البيت الذي رغب (نوح) أن يعيش فيه السدنة، على الحد الأدنى من الصدقات وأن يوزعوا الفئات على المحتاجين، قد أثقل مع الزمن بثروات الأرض على أنواعها، وحدث ما توقعه بحدسه، فتحول سدنته الذين أوثمنوا عليه من متصدقين، إلى جماع وطماع ومستثمرين.

أما أن البيت خرب ومهجور اليوم، فلأن رئيسه المتسلط الجشع، رفض في عهد مضى، استقبال طارئ أتى ليحل محل تاسع كان قد رحل، وذلك بسبب قيافته المزرية ومظهره الحقير.

غير أن هذا الطارئ نفسه قد عاد، ونجح في إقناع الرئيس أن يدخل البيت ولو خادما، وما لبث أن تكشف عن شخصية رائية غريبة، مغنطت بتعاليمها وإشعاع حضورها سائر الإخوة.

فنزح الرهبان عن البيت العتيق، ستائر دنياه التي حالت بين نوافذه وضوء النور الأصيل، وساروا خلف معلمهم من القمة إلى السفح، عبر منحدر من الصوان رهيب، ليكونوا الخميرة لعهد في الناس جديد.

وقد بقيت سيرة هذا الهادي وأقواله الخلاصية، التي دوّنها أحد الأبناء، في كتاب حمل اسمه

(كتاب مرداد)، تحت بلاطة المذبح.

أما الرئيس (شمامد)، فقد أنزل به المعلم قضاءه، فظلَّ حارساً للكتاب، لا ينحلُّ أسرته إلاَّ حين يُقيِّض الزمن من يرقى ثانية إلى القمة، لتسلم الوديعة.

أفكار مرداد:

بمضي (نعيمة)، في سرد قصة الثلك بكثير من الخيال، يأخذ القارئ إلى حيث تتوق نفسه دائماً وأبداً؛ إلى الانعتاق من قيود الواقع، حيث الطبيعة بشجرها وطيورها ونسائمها ونباييعها، فيتفرَّس في أشياء غابت عن ذهنه في خضم حياة مضنية، سلبت من يديه الاستمتاع بطبيعة ترتاح إليها نفسه، فيقف بين رفاقه السبعة، يسألونه عن الإنسان، والله، والدينونة،¹ والصلاة، والمال، والإيمان، والزواج، والحرب، والسلم...

وفي ملحمة فكرية، يقتبس فيها دور النبي، الذي يصحح الكثير من المفاهيم، يجب بأن هذا الكون الذي نعيش فيه، كون لا نعرف له بداية أو نهاية، لكننا نعلم أنه منظمٌ أبداع تنظيم، ولولا أنه كذلك، لما كان لنا أن نقوم بأيِّ عمل من الأعمال.

وواحد هو الله. ووحدته هي الناموس الأزلي الأبدي الذي لا ناموس إلاه. وهو ناموس يتمم

ذاته بذاته:

1- يُخبر الكتاب المقدس في (رؤيا ٢١ : ٣، ٤)، أن هذا اليوم فترة طولها ألف سنة، تتاح أثناءها للبشر فرصة استعادة ما خسره آدم وحواء؛ فالذين يُدانون دينونة مؤاتية سينعمون بحياة أبدية على الأرض في أحوال مثالية.

"لا دينونة في فمي. بل في فمي فهم مقدّس. فأنا ما جئت لأدين العالم، بل بالأحرى لأرفع عنه الدينونة. إذ أن الجهل وحده فُخُورٌ بِجُبَّةِ القضاء وولوع يشرح القانون وإنزال العقوبات بالناس. والجهل يدين ذاته بذاته. وليس أقسى من الجهل دَيْناً للجهل.

ألا اعلّموا أنّ ليس هنالك إله وإنسان. بل هنالك الإله - الإنسان، والإنسان - الإله. هنالك الواحد الذي مهما تكرر أو تجزأ بقي أبداً واحداً.¹

وركز (مرداد) - الإنسان - الذي عاد ثانية، بعدما اعتق من القيود البشرية، ليُتم رسالته في مساعدة غيره من الناس على تحقيق خلاصهم، على كلمة (الفهم) المفتاحية، كيما يدرك الإنسان ما يدور داخل نفسه وما يحيط به.

واقترن الفهم عنده أحياناً بالروح أو المقدّس، ليُصبح روح الفهم المقدّس، ويفصّل على مدار الكتاب في هذه الكلمات وتجلياتها، ويتابعه القارئ منذ خطواته الأولى، حتى وصوله إلى الفلّك، وتعرّضه للرفض، ثم يزداد عدد السامعين ومن تلقى كلماته ترحيبهم، وهكذا إلى أن يتحرّر من قيود الزمان والمكان والفكر، ثم التقمّص والعودة المتكرّرة إلى الأرض، حتى التلاشي في الذات الكلية والفناء في الله:

"وإذ لا شغل لمرداد على الأرض إلا أن يقود الإنسان إلى ميراثه الإلهي، فها هو قد أعدّ لكم فُلكاً عجيبة الصنع والقيادة. وهو ما صنعها من الخشب القطراني، ولا طلاها بالقار، ولن يجعلها مأوى

1- ميخائيل نعيمة، مرداد: منارة وميناء، المجموعة الكاملة، مجلد 6، ص 627.

للضرب والضرب والغراب. لكنه بناها من الفهم المقدس الذي لا منارة إلاه يهتدي بها كل من تاق إلى ميراثه. وهي لن تحمل خواصي نبيذ ومعاصر عنب بل قلوباً طافحة بالمحبة لكل. ولن تكون مثنقلة بالعقارات والرياش والفضة والذهب والجواهر بل بنفوس طلقت ظلالها وتوشحت بوشاح النور وحرية الفهم المقدس.

فليتقدم كل من رغب في قطع الأمراس التي تربطه بالشاطئ، وكل من أراد أن يتوحد، وكل من تاق إلى التغلب على نفسه:

فالفلك جاهزة،

والريح راهبة،

والبحر في ركود.

هكذا علمت نوحاً

وهكذا أعلمكم.¹

والإنسان لا يطلب إلا السعادة، وهذه السعادة لن تكون إلا بالمعرفة، ليعرف النظام فيسايره، فيبلغ سدة كماله وسعادته الروحية المطلقة، بدلا من أن يجهله فيعانده.

وعلينا إطلاق العنان للخيال إن شئنا أن ننتشي بسحر الأعالي، ونسحر بنشوة الأعماق:

¹ - ميخائيل نعيمة، مرداد: منارة وميناء، المجموعة الكاملة، مجلد 6، ص ص 812 - 813.

"يجب أن نتعلّم أولاً أن نبصر العين نفسها جليّة إذا ما شئنا أن نبصر الأشياء جليّة؛ لذلك فعلينا ألا ننظر بالعين بل من خلالها، كيما نبصر ما وراءها.

وبخيلنا وحده نعرف أنّ كل ما نبصره من تقلّب الأشياء وتغيّرها ليس سوى خفة يد وخديعة؛ فكيف للريح أن تسبق النسيم؟ أليس أن النسيم يلد الريح؟ أليس أن الريح تحمل النسيم أنّي أنّجت؟ حقا إنّ الإنسان لابن المسكونة المدلّل؛ فكلّ ما فيها يتنافس في ترفيحه وتغنيجه. من لم يفسده الدلال يرى في لسع الحية قبلة محبّة، أما الذين أفسدهم الدلال فيرون حتى في قبلة المحبّة لسعة حية.¹

والإنسان الذي هو الرجل والمرأة معا، مُطالب أكثر من تجديد النسل، ومن تعمير البيوت والمدن والممالك، ومن استثمار الأرض وخيراتها، وإذن فهو مُطالب بتحقيق صورة الله فيه، وصورة الله، تعني معرفة كل شيء، والقدرة على كل شيء.

والإنسان بذار إلهي، معّد لأن يصبح في النهاية إله؛ يتحكّم في كلّ شيء ولا يتحكّم فيه أيّ شيء؛ فلا فارق بين الخالق والمخلوق، وليس هناك خالق أو مخلوق، بل قدرة تتسع وتعبّر عن ذاتها في الحسوسات:

"الإنسان إله في القمط. فالزمان قماط. والمكان قماط. والبشرة قماط، ومثلها الحواس. الأم تعرف أن القمط هي غير الطفل المقمط بها. أما الطفل فلا يفقه ذلك قطّ.²

1- ميخائيل نعيمة، مرداد: منارة وميناء، المجموعة الكاملة، مجلد 6، ص 701 - 702.

2- المصدر نفسه، المجموعة الكاملة، مجلد 6، ص 601.

وما دام الإنسان مسوقاً بأشواق المعرفة، فذلك يعني أنه لن يتوقف عن العمل، طالما أن هناك شوقاً من أشواقه لم يتحقق؛ فهو لا يبلغ هدفاً من الأهداف، إلا وينبت له هدف جديد، وستبقى الأهداف تتعدّد وتكثّر وتتوّع إلى أن يبلغ النهاية، التي هي الهدف الأقصى الذي لا هدف بعده، وهو المعرفة التامة، أي أن لا يبقى في الكون ما يجله، فيعرف بالخبرة أنه كائن سرمدى، كما أن الله سرمدى، يتصلّ بكل ما كان وبكل ما هو كائن وبكل ما سيكون، لذلك ليس لوجوده بداية أو نهاية، كما أنه ليس لوجود الله بداية أو نهاية.

أمّا الموت فهو ليس نهاية الحياة، إنّما درب من دروب الحياة، لذلك فهو ليس نقيض الحياة، بل نقيض الولادة، وكمال الإنسان وتماه في أن يموت، فموت الإنسان الفردي حياة الإنسان الإنساني:

"ومثلما تموتون موتاً مستمراً وأنتم أحياء، كذلك تحيون حياة مستمرة وأنتم أموات، وإن لم يكن في هذا الجسد، ففي جسد شكله غير شكل هذا. لكنكم لا تنفكون تحيون في جسد ما إلى أن تتلاشوا في الله. وبكلمة أخرى، إلى أن تتغلبوا على كل تغير وتحول."¹

والإنسان يظل إنساناً حياً كان أم ميتاً، إلى أن يلتهمه الإله الكامن في قلبه، أي إلى أن يفهم وحدته مع الواحد الأحد:

¹ - ميخائيل نعيمة، مرداد: منارة وميناء، المجموعة الكاملة، مجلد 6، ص 683.

"ما أغرب هذه الأنا التي وُلدت لآدم حالما انفتحت عيناه، والتي راحت ترى ذاتها غير ذات حواء، وغير ذات الله، وغير كل مخلوقات الله! لكنّها ما كانت غير وهمِ صوّرتَه العين المنفتحة حديثاً، فلا جوهر فيها ولا حقيقة لها. وهي ما وُلدت لآدم إلا ليعرف بموتها ذاته الحقّة التي هي ذات الله."¹

والزمان، دولاب خلقتَه الحواس، ثم أطلّقتَه يدور في مفاوز الفضاء، يلتوي على ذاته، مقدّمته مقطورة أبدا بمؤخرته، ليس فيه ما ينتهي ويندثر، ولا فيه ما يبتدئ وينتهي.

وسبيل الموت والحياة واحد على إطار دولاب الزمان، لأن الحركة في دائرة، لن تبلغ يوماً منتهاها، أو تصرّف قواها، وكلُّ ما في العالم من حركات، ليس سوى حركات في دوائر، والإنسان سيفلت لأنه وارث الحرية المقدّسة، التي هي حرية الله.

فدولاب الزمان يدور ويدور، أما محوره فهادئ أبداً:

"الإنسان سائر إلى الله. فما من وجهة أخرى جديدة بآلامه. وأي بأس في أن يكون طريقه مفروشاً بالعواصف والزوابع؟ فالإيمان النقي القلب الحاد البصيرة والبصر ليتمنطق بالزوبعة ويمتطي العاصفة. ألا سابقوا الزمان. فكل ساعة تقتلونّها بالتذبذب والبطالة ساعة حبلى بالوجع. والناس حتى أكثرهم حركة متذبذبون في الغالب وبطّالون. أنتم بناء سفنٍ كلٌّ على طريقته. وأنتم بحّارون كل في سبيله. ذاك هو العمل المعدّ لكم منذ الأزل أن تمخروا عباب ذلك المحيط اللامتناهي الذي هو أنتم لتظفروا منه بلحن الوجود الصامت الذي هو الله. لكل شيء محور منه يشعّ وعليه تدور حركته، فإن

¹ - المصدر نفسه، المجموعة الكاملة، مجلد 6، ص 642.

تكن الحياة - حياتكم - دائرة محورها الوصول إلى الله فكل أعمالكم يجب أن تتمركز في ذلك المحور فتنتقل منه وتدور عليه وإلا كانت تذبذباً وبطالة. حتى وإن سحَّ منها عَرَقكم بلون الدم.¹

لكنَّه علينا، أن لا نخاف الحياة، ولا نهرب الردى ولا نطلبه، فإذا بلغنا هذه الدرجة، عرفنا حقيقة الحياة وحقيقة الموت، وأتَّهما في الواقع مظهران للحياة.

ومهما يكون الراحل صعلوكا، فهذا الإنسان فيه، هو الكائن في كل واحد منا، أمَّا الموت المقدَّس، فهو موت من أكمل عمله ظافرا، مباركا، مُطْمَئِنًّا لما أقسم عليه الأحياء إتمامه من هذا العمل. ويبقى الفرق بين الهدف، وبين الطريق إلى الهدف، أن الهدف فوق الخير والشر، وخلف الخير والشر، إذ تتلاشى عنده الازدواجية، أما الطريق المؤدِّية إلى الاتحادية، فهي طريق مزدوجة ثنائية، والطريق التي نسلکہا الآن هي طريق الخير والشر، الأبيض والأسود، لكن هذه الطريق ليست أبدية، إذ تنتهي عند نقطة تدعى الأحدية، وعندما نبلغ الأحدية، يتلاشى كل تناقض في الحياة، فلا يبقى هنالك من خير أو شر، من موت أو حياة، من ذكر أو أنثى... يبقى هنالك الواحد الأحد، الذي لا يمكن لنا أن نتصوَّره بعقلنا.

وطريق الخير والشر هو الطريق الأوحده إلى المعرفة. وأي معرفة؟ معرفة الحياة:

"واحدة هي شجرة الخير والشر وواحدة هي ثمرتها، وعبثاً تحاولون أن تتذوَّقوا الخير من غير أن تتذوَّقوا الشر في آن معا.. إن ثدياً ترضعون منه الحياة لهو عين الثدي الذي منه ترضعون الموت، وإن يداً

¹ - ميخائيل نعيمة، مرداد: منارة وميناء، المجموعة الكاملة، مجلد 6، ص ص 708 - 712.

تَهزُّكم في السرير لهي عين اليد التي تحفر لكم الرمس. تلکم أيها التائهون هي طبيعة الشائبة، فلا يخطرُن لأحدكم ببال أن يتصدى لها برأي أو باعتراض، وحادار ثم حذار أن تحاولوا شقَّها إلى شطرين لتأخذوا الشطر الذي تستسيغون وتطرحوا الآخر جانبا، ذلكم هو باطل الأباطيل وقبُض الريح. أتريدون أن تصبحوا أسياد الشائبة بدلا من أن تكونوا عبيدها؟ إذن روضوا أنفسكم على اقتبالها كما لو كانت بريئة من كل خير و شر.¹

والحبَّة ناموس الله:

"فأنتم ما حييتم إلا لتعرفوا الحبَّة. وأنتم ما أحببتم إلا لتعرفوا الحياة. تلك هي الأمثلة التي عليكم أن تحفظوها، والتي إذا ما حفظتموها كنتم في غنى عن كل أمثلة سواها."²

ويطرح (نعيمة)، في الفصل العشرون (أين نمضي بعد الموت؟)، تساؤلا فكريا، يتعلَّق بمصير الإنسان في حياته، وتاليا بعد موته.

فالموت صفة وجودية، يتساوى فيه القوي والضعيف، والسيد والحقير... لذا فهو حقيقة الحقائق، وهو قَمَّة الديمقراطية والمساواة.

أمَّا ما يجري بعد الموت، فيخفى عن أعين الأحياء، وهو القدر المشترك لجميع الناس، وتقبُّله كقضاء إلهي، يُبرِّر تواضع البشرية تجاه الله الحي الذي لا يموت، وهو اللغز، الذي أبدع الفلسفة، في محاولة للاستدلال على الحياة الخالدة:

¹ - ميخائيل نعيمة، مرداد: منارة وميناء، المجموعة الكاملة، مجلد 6، ص 809.

² - المصدر نفسه، المجموعة الكاملة، مجلد 6، ص 627.

"ميكاستر: أين نمضي يا معلّم بعد الموت؟

مرداد: أين أنت الآن يا ميكاستر؟

ميكاستر: في وكر النسور.

مرداد: أتظن وكر النسور من السعة بحيث يستطيع أن يسعك؟ أتظن أن لا مسكن إلاّ الأرض؟

إنّ أجسادكم، وإن تكن ضمن إطار من الزمان والمكان، لمركبة من كل ما في الزمان والمكان؛ فما كان منها مأخوذاً من الشمس عاش في الشمس، وما كان مأخوذاً من الأرض عاش في الأرض. وهكذا ما كان مأخوذاً من سائر الأجرام وما بينها من الفراغ.

إنّما الجاهل وحده يظنّ أن لا مسكن للإنسان إلاّ الأرض، وأن ربوات الأجرام السابحة في الفضاء ليست سوى زينة لمسكن الإنسان وأهوّة لعينيه.

ما سكن الإنسان الأرض إلاّ سكن معها نجمة الصبح والمجرّة والثريّا، فهذه ما لمست عينيه بشعاع من أشعّتها إلاّ رفعتة إليها. وهو ما مشى تحتها إلاّ اجتذبا إليها.

كلّ ما في الكون متداخل بعضه في بعض. فالكون كلّهُ في الإنسان، وكلّ الإنسان في الكون.

ثمّ إنّ الكون سد واحد، فما لمستم أقلّ أجزائه إلاّ لمستموه كاملاً.¹

واستتبع إيمانه، بوحدة الوجود، قوله بتعدّد الأعمار للحياة الواحدة؛ لتجسّد في تجربة حياة

مستمرة، هي خلاصة التجربة الحياتية، وصولاً إلى الانعتاق والخلاص.

¹ - ميخائيل نعيمة، مرداد: منارة وميناء، المجموعة الكاملة، مجلد 6، ص ص 682 - 683.

والمحبة هي سبيل الانعتاق والخلاص، وتاليا عدم العودة إلى الأرض مرة أخرى:

"ميكايون: أريد أن أفطم نفسي إلى الأبد عن ثدي الأرض. فكيف السبيل إلى ذلك يا معلم؟"

مرداد: السبيل هو أن تحبَّ الأرض وكل ما ترضعه الأرض. فعندما لا يبقى من رصيد حساب

بينك وبين الأرض غير المحبة، حينئذ تعتقك الأرض من كل دين لها في ذمتك.

ميكايون: لكننا المحبة رباط، والرباط قيد وعبودية.

مرداد: كلاً. بل المحبة انعتاق من كل رباط. فأنت عندما تحب كل شيء لا تبقى مرتبباً بشيء.

زهورا: ما منّا من ليس يخطئ ضدَّ المحبة. أفي استطاعتنا أن نغسل بالمحبة خطايانا ضدَّ المحبة كيما

نخلص من تكرارها حياة بعد حياة وهكذا نوقف دولاب الزمان عن الدوران؟

مرداد: ذلك تدركونه بالتوبة (...)"¹

كما لا تعرف المحبة تحوماً وحواجز:

"ليس في المحبة من (أكثر) ولا من (أقل). فساعة يخطر ببالكم أن تزنوا المحبة أو أن تقيسوها

تتسلل من قلوبكم تاركة وراءها ذكريات مُرَّة لا غير.

لا وليس في المحبة (الآن) و (عندئذ) ولا (هنا) أو (هناك). فكل الفصول فصول للمحبة وكل

الأماكن مساكن لائقة بها."²

¹ - ميخائيل نعيمة، مرداد: منارة وميناء، المجموعة الكاملة، مجلد 6، ص 683 - 684.

² - المصدر نفسه، المجموعة الكاملة، مجلد 6، ص 637.

ونعيمة الحائر بين الحياة ومكنوناتها، والموت وسرّه، قد أدرك أن الموت هو مظهر من مظاهر تجدد الحياة، وهو مثلها لا بداية له ولا نهاية.

وسيبقى الإنسان ينظر إلى الأشياء كموضوعات وحقائق مستقلة عن ذاته، إلى أن يدرك الهدف الأسمى للحياة الإنسانية، وأن ثمة وجود واحد هو بداية الأشياء ونهايتها:

"إنَّ أول إنسان اخترق غلاف الزمان واجتاز تخوم المكان قد دعي بحق ابن الله، مثلما دعي فهمه لألوهته روحاً قدساً. وها أنا أوكد لكم أنكم أنتم كذلك أبناء الله، وأن الروح القدس يعمل فيكم بغير انقطاع. ولكن حذارٍ من أن يُخَطَّر لأحدكم ببال أن يقول: "أنا الله" قبيل أن يخترق غلاف الزمان ويجوز حدود المكان. وإلى أن تتم لكم الغلبة قولوا: "الله أنا". احفظوا هذه الوصية في قلوبكم مخافة أن تتحاحها الكبرياء والأوهام المضلّة فتفسد خميرة روح القدس فيها. واعملوا مع الروح القدس لا ضده. فالذين يعاكسون الروح، وهم أكثر الناس، يطيلون أسرهم ويمدّون في عذابهم من حيث لا يعلمون."¹

ونجده بذلك متقدّماً على نظرية (نسبية الزمن)، التي أضافت الزمن كبعد رابع، إلى الأبعاد المكانية الثلاثة، فلم يعد مقياساً مطلقاً لسرعة حركة الأجسام، إذ يمكن أن يتباطأ كلما كانت السرعة النسبية بين الأجسام أقرب إلى سرعة الضوء، ويمكن أن يتوقف تماماً إذا ما وصلت هذه السرعة إلى سرعة الضوء..

¹ - ميخائيل نعيمة، مرداد: منارة وميناء، المجموعة الكاملة، مجلد 6، ص 789.

وهي تقترب من فكرة السفر والمسافرون عبر الزمن، في القرآن الكريم؛ مثل (عزيز) الذي أماته الله عز وجل مائة سنة ثم أحياه، وأصحاب الكهف الذين مكثوا في الكهف دهرا من الزمن، وحادثة الإسراء والمعراج مع النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -، وسفر الملائكة، وتبليغ جبريل - عليه السلام - للوحي.

ويبقى أمل النجاة من الموت باطلا، ما لم يتجاوز أكلوبة الحياة الأرضية، التي تنطلي على كثير من السطحيين، الذين ينسحقون وهم يسعون إلى ملذاتهم:

"ألا احرقوا الشهوة قبل أن تحرقكم.

لا تتفحصوا فم الشهوة لتروا ما إذا كان مسلحا بأنياب مسمومة أم بقوارض معسولة. فالنحلة التي تجني من الأزهار شهدها تجني سمها كذلك.

ولا تتأملوا وجه الشهوة أجميل هو أم قبيح. إن وجه الحية كان أجمل في عين حواء من وجه الله.

ولا تنزنوا الشهوة في ميزان، فمن منكم يقابل بين وزن الجبل ووزن عقد من اللؤلؤ؟ والحق أن عقد اللؤلؤ لأثقل من الجبل بكثير.

ثم إن من الشهوات ما يصدح في النهار صدح البلابل ويعرِّد أغاريد السماء، ولكنه يفحُّ فحيح الأفاعي ويعضُّ ويمزق تحت ستار الليل. ومنها ما هو سمين بالأفراح والملذات، إلا أنه لا يلبث أن ينقلب إلى هياكل عظمية تتدلَّى منها سرائد الأحزان والأوجاع. ومنها ما يبدو لكم وديع الطرف سهل المراس، ولكنه يتحوَّل بغتة إلى ذئاب خاطفة وضباع نهمه. ومنها ما تفوح منه رائحة ولا رائحة الفلّ

والياسمين ما دتمم بعيدين عنه، إلا أنكم حاملما تلمسونه تفوح منه عليكم روائح أشد كراهةً من روائح الجيف والجعلان.

لا تُغربلوا شهواتكم بُغية فصل الصالح منها عن الطالح، ذلكم عمل من الباطل بمكان، لأن الصالح لا يحيا بغير الطالح والطالح لا يمدُّ جذوره إلا في تربة الصالح.

أما تُحترِّب لبِن الحياة والموت واحمض في أفواهكم؟ أما آن لكم أن تشطفوا أفواهكم بمحلول جديد لا هو بالخير ولا هو بالشر لأنه أقوى وأنقى من الاثنين؟ أما آن لكم أن تتوقوا إلى الثمرة التي ليست بالحلوة ولا بالمرّة لأنها ما نمت على شجرة الخير والشر؟

أتودون أن تنعتقوا من براثن الثنائية؟ إذن فاقتلعوا شجرتكما - شجرة الخير والشر من قلوبكم، اقتلعوها بجذعها وجذورها كيما يتاح لبذرة الحياة الرّيانية بذرة الفهم المقدس المتسامي فوق كل خير و شر أن تنمو وتثمر مكانها.

تقولون: إنها لرسالة قائمة عابسة، فهي تسلبنا لذّة الأمل بالغد، وهي تجعلنا في الحياة بمثابة شهود بكم لا شأن لهم في كل ما يشهدون، في حين أننا نرغب في النضال مهما تكن قيمة الأمر المناضل من أجله. وما أحلى الصيد والقنص وإن لم تكن الطريدة غير منام أو خيال.

هكذا تقولون في قلوبكم، ناسين أن قلوبكم ليست قلوبكم على الإطلاق ما دامت أعنتها في أيدي شهواتكم من خير ومن شر.

أما إذا شتتم أن تملكوا أعنة قلوبكم فعليكم أن تعجنوا كلّ شهواتكم - صالحها وطالحها - في معجن واحد هو معجن المحبة كيما تخبزوها في تنور واحد هو تنور الفهم المقدس حيث تلتئم المتناقضات كلها في الله.

لِيَكُنَّ كُلُّ واحد منكم منذ الآن عن تعكير عالم تفاقم عكزه. كيف تأملون أن تنشلوا ماءً زلالاً من بئر لا تنفكون تطرحون فيها كل أنواع الأقدار والرجاسات؟ أم كيف لحوض من الماء أن يبقى صافياً ما دمتم تحركون الماء فيه بغير انقطاع؟

لا تلقوا شباكم في عالم كدر بغية صيد الصفاء لئلا تصطادوا الكدر لا غير.

ولا تُلْقُوها في عالم تتأكله الضغينة أملاً بأن تصطادوا المحبة لئلا تصطادوا الضغينة لا غير.

ولا تلقوها في عالم يمرح فيه الموت راجين أن تحظوا بالحياة لئلا تصطادوا الموت لا غير.

فالعالم لا يدفع لكم نقداً غير نقده، ونقد العالم أبداً ذو وجهين. إنكم لن تستدروا من الحجر

لبناً، ولن تبثوا من البقر هياكل.

ولكن ألقوا شباكم في ذاتكم الإلهية الغنية أبداً بسلام الفهم المقدس.

لا تطالبوا العالم بما لا تطالبون به أنفسكم. ولا تطالبوا إنساناً بغير ما ترون من حقه أن يطالبكم

به.

وما عسى أن يكون ذلك الشيء الذي إذا ما ظفرت به من العالم مكنكم من الغلبة على الطوفان ومن الوصول إلى أرض بتول طلقت الألم واقترنت بالسماء محبة أبدية وسلام سرمدي وفهم إلهي؟

أعله وفرة المتاع والصيت والسلطان؟ أم هو المجد العالمي وما يحفُّ به من التجلة والاحترام؟ أم هو الطموح تكلل بالظفر والأمل المنشود تحقق؟ ولكن جميع هذه ينابيع تغذي طوفانكم. ألا انبذوها ومن أفكاركم ألا اصرفوها عنكم. كونوا هادئين كيما تكونوا نيرين. كونوا نيرين كيما تنفذ أبصاركم إلى قلب العالم.

فأنتم إذا ما نفذتم إلى قلب العالم أبصرتم كل ما فيه من قحط وأدركتم أنه عاجز عن إعطائكم الحرية والسلام والحياة التي تنشدون.¹

ويبدأ فصله السابع والعشرون بجملة إستفهامية، طلبا للمعرفة، وردًا على قلق يحير جميع الناس؛ كبيرهم وصغيرهم، فقيرهم وغنيهم، فالموت حقيقة عظمى، والإنسان يولد ليموت، ولكن، أيجس أن تعلن الحقيقة لكل بالسواء أم للقليل من المختارين؟

إن معنى الحياة أن نجد أنفسنا أقوى من كل التطورات والتقلبات، وإذا لم يكن ذلك هدف حياتنا، فلا قيمة لحياتنا:

1- ميخائيل نعيمة، مرداد: منارة وميناء، المجموعة الكاملة، مجلد 6، ص 808 - 811.

"إنَّ بذور الحقِّ لَدَفينَة في كلِّ إنسان وكلِّ شيء. فليس شغلِكُم أن تَبذروا الحقَّ بل أن تُعدوا الظروف المواتية لظهوره."¹

وكل إنسان سيصل إلى هذا الهدف، فليس من هالك على الإطلاق، هكذا يتنبأ (ميخائيل نعيمة)، أمَّا متى يكون ذلك، فالزمن كله أمامنا!

لماذا يعتقد البسطاء أن الله شحيح، إلى حدِّ أن يقسم على الناس أعماراً أو سنوات معدودات، ويطلب إليهم في خلال هذه السنوات المعدودات، أن يعرفوه ويعرفوا نظامه وإرادته ويعيشوا وفق هذه الإرادة؟!!

الزمن كله هو العمر، فالأعمار ليست سوى حلقات في هذا الزمن، والحياة ليست جناية بل نعمة، لأنَّها تعطينا الأمل بالمعرفة والحرية، هنالك² الذين بلغوا الهدف، فأصبح شغلهم الشاغل أن يدلُّوا غيرهم عليه، وهؤلاء هم هداة العالم:

"ميكاستر: أعود إلى هذه الأرض إِبَّانَ تنقلنا من حالة إلى حالة؟"

مرداد: التكرار هو سنَّة الزمن. فلا بدَّ لما حدث مرَّة في الزمن من أن يعود فيحدث غير مرَّة. أمَّا طول الفترات وقصرها ما بين العودة والعودة فموقوف فيما اختصَّ بالإنسان؛ على إرادة كل إنسان وشدَّة رغبته في التكرار. فعندما تخرجون من الدورة المدعوَّة حياة إلى الدورة المدعوَّة موتاً حاملين معكم عطشاً إلى الأرض لما يرتو وجوعاً لما يشبع، حينئذٍ تعود الأرض فتجذبكم إلى صدرها من جديد.

1- ميخائيل نعيمة، مرداد: منارة وميناء، المجموعة الكاملة، مجلد 6، ص 726.

2- في علم الحرف، لفظ (هنالك) هو ماسكة لها استمرارية مع الزمن، وسعيُّ الإنسان فيه ليُمسك جزاء عمله.

وهكذا تعود الأرض ترضعكم، والزمان يفظمكم حياةً تلو حياة وموتاً بعد موت إلى أن تفظموا أنفسكم الفطام الأخير بملاء إرادتكم ومن تلقاء نفوسكم.¹

ولن يبقى الجاهل جاهلاً إلى الأبد، أو القاصر قاصراً إلى الأبد، وحيث تلتقي طرق كثيرة لا يجب أن تقف مترددين في أيُّها نسلك، فكل الدروب تؤدِّي إلى الله، عند من قلبه يفتش عن الله:

"خرج الإنسان من جنة عدن من الباب المزدوج - باب الخير والشر؛ ولكنه سيرجع إليها من الباب الموحد - باب الفهم المقدس. خرج وظهره نحو شجرة الحياة؛ ولكنه سيعود ووجهه إليها. ثم انطلق في سبيل الشائبة الطويل وبه خجل من عريه؛ لكنه سيبلغ نهاية السبيل ولا معزر على طهارته، وقلبه فخور بعريه. إلا أن ذلك لن يتم له حتى يتغلب على الخطيئة بالخطيئة. فالخطيئة في النهاية ستكون مهلكة للخطيئة. إذ لا خطيئة إلا في المئزر من ورق التين.

أجل، لا خطيئة إلا في الحاجز الذي أقامه الإنسان بين نفسه والله - بين ذاته والزائلة وذاته الأزلية الأبدية.²

ولكن كلمة الله مبعثرة الآن في طريق الكثيرين من الناس، لأنهم يتصوِّرون الله كما يتصوِّرون إنساناً!:

"أحقاً إن الله غضب على الإنسان لأنه أكل شجرة معرفة الخير والشر؟! معاذ الله، فالله ما أمر الإنسان أمراً قبل إنذاره. كذب القائلون للناس إنَّ الإساءة لا تمحوها إلاَّ الإساءة، فحتى اليوم ما ولدت

1- ميخائيل نعيمة، مرداد: منارة وميناء، المجموعة الكاملة، مجلد 6، ص 683.

2- المصدر نفسه، المجموعة الكاملة، مجلد 6، ص 769.

إساءتان حقا واحدا، دعوا الإساءة وشأها، فهي كفيلة بأن تمحو ذاتها بذاتها. أتريدون أن تحكموا الناس؟ إذا تعلموا أولا أن تحكموا أنفسكم، إذ كيف لكم أن تحكموا الغير حكما صالحا قبل أن تحكموا نفوسكم صالحا؟! أتستطيع موجة ترغي وتزيد تحت سياط العاصفة أن تحمل السكينة والسلام إلى البحر؟! أم عين دامعة أن تنفذ بسمه الغبطة إلى قلب دامع؟ أم ترتجف ذعرا وغيظا أن تدير سفينة وتسيرها في السبيل السوي؟!¹

ولعل اعقاده في الروح الكونية، قريبة من إدراك الحلاج وابن الفارض وابن عربي؛ فالعالم وحدة متماسكة، وإذا جزأناه نخسره، وقيمة أقل ما فيه، توازي قيمة أكبر ما فيه، إلى حدّ يستحيل على أيّ إنسان أن يفصل جزءا منه عن بقية الأجزاء، وإذا لم تُبصره كوحدة لن نفهمه على الإطلاق. وتلك هي النظرة الشاملة للكون؛ فإذا كان الكون لا بداية له ولا نهاية، فهو متكامل مستمر، وحين نريد أن نتخلّص من شيء في الكون، فكأنما نريد أن نتخلص من شيء في أنفسنا. وعندما يحارب الإنسان إنسانا آخر، فإنّه يحارب نفسه، فليس في الكون أعداء، الكون كله صديق لنا إذا عرفنا كيف نصادقه، وإذا عرفنا كيف نحب، لا يبقى لنا من عدو، ولا يبقى عندنا مشكلة العناصر والقوميات والحدود، ومن كان له عدو واحد كان بلا صديق واحد؛ إذ كيف للقلب الذي تسكنه العداوة أن يكون ميناؤا أميناً للصدّاقة؟:

¹ - ميخائيل نعيمة، مرداد: منارة وميناء، المجموعة الكاملة، مجلد 6، ص 696.

"كلُّ ما تُحِبُّون مرتبب بـكلِّ ما تـكرهون ارتبباً أوثق من ارتببـات صدوركم بظهوركم. فلو صدقتم مع أنفسكم لكان عليكم أن تُحِبُّوا ما تـكرهون وما يـكرهكم قبل أن تُحِبُّوا ما تُحِبُّون ويحبُّكم."¹

ونحن إن لم نجد السبيل إلى قلوب الناس، تعذّر علينا الوصول إلى قلب الله، وأيُّ جدوى من

حياتنا إذًا؟:

"ما من محبة مستطاعة إلا محبة الذات. وما من ذات حقّة إلا ذات الله. التي هي الوجود

بكامله. لذلك كان الله محبّة صافيةً لأنّه يحبُّ ذاته."²

وعدم الكره ليس محبة؛ فالمحبة قوّة إيجابية فعّالة، قائدة لخطانا. وإن جدولا عكرا ليستطيع أن

يعكّر جدولا آخر، ولكن أئى له أن يعكّر البحر الذي يقبله ضاحكا، فيأخذ أحواله ويفرشها في قاعه

ثم يعطيه ماء زلالا بدلا منها:

"كونوا كالأرض جودا وسكينة، وحولوا الأقدار التي بقلوب الناس عافية وجمالا للناس. اذكروا أن

مفتاح الحياة الكلمة المبدعة، وأمّ مفتاح الكلمة المبدعة هو المحبّة، وأمّ مفتاح المحبّة هو الفهم، املئوا

قلوبكم من هذه، وأريجوا ألسنتكم من تعب الكلام الكثير. المحبّة تجمع والبغض يفرّق؛ المحبّة سلام

نشوان بألحان الحياة، والبغض حرب صافية بصرخات الموت. فأئى الإثنين تختارون؟ أن تحبوا فتكونوا في

سلام دائم، أم أن تبغضوا فتكونوا في حرب أبدية."³

¹ - ميخائيل نعيمة، مرداد: منارة وميناء، المجموعة الكاملة، مجلد 6، ص 638.

² - المصدر نفسه، المجموعة الكاملة، مجلد 6، ص 635.

³ - المصدر نفسه، المجموعة الكاملة، مجلد 6، ص 592.

أما حب الرجل للمرأة فهو مفتاح المحبة الشاملة، لا المحبة الشاملة ذاتها؛ فعلى الإنسان المتغلب التوّاق إلى المعرفة والحرية، أن يجاهد نفسه إلى أن يتغلب على شهواته الجسدية كلّها، لأن الحياة في أسافلها لا ذكر ولا أنثى، ولذلك سوف تنتهي في أعاليها لا ذكرا ولا أنثى، وإذاً فعليه أيضا أن يتغلب على الإزدواجية في هذه الحياة حتى يصل إلى الأحادية:

"دعوا الرجال والنساء يتبيّحون بانجذاب اللحم إلى اللحم والتصاق العظم بالعظم من غير أن يتلفظوا باسم المحبة القدوس. لأن في ذلك تجذيفا وكفرا."

وكأنه يستشرف بأن الناس في يوم ما سيصبحون كلّهم تواقين؛ فهم كالمهرم؛ هناك الحجر في أسفله، والحجر الذي يحتتمه في الأعلى، والذي ينتهي في نقطة في الفضاء، وهي نقطة الانطلاق - الانعتاق - الشمول - ذوبان الذاتية المنفردة في الذات الشاملة.

فإذا تصوّرنا هذا الهرم، هرما متحرّكا من الأسفل إلى الأعلى، ففي إمكاننا أن نتصوّر أن كلّ إنسان - حجر في هذا الهرم سوف ينتقل من الأسفل إلى الأعلى:

"أنتم المولودين لتحلّقوا في الأعالي، لتجوبوا رحاب الفضاء الامتناهي، لتلّفوا المسكونة بأجنحتكم، وقد سجنتم أنفسكم في أقنان ضيقة من التقاليد والمعتقدات التي تهشم أجنحتكم وتضعف أبصاركم وتحجّر عضلاتكم. فكيف لكم أن تقهروا الطوفان يا أيها التائهون؟"¹

¹ - ميخائيل نعيمة، مرداد: منارة وميناء، المجموعة الكاملة، مجلد 6، ص ص 807.

وإذ يحزنه أن طريق الإنسان طريق شائكة، لكن لا بدَّ له من عبور هذه الطريق، ليلبغ الشوق الأكبر أو الحنين الأعظم، وإِنَّه لبالغه يوماً ما، على الرغم من تعثره في هذه الطريق، إنّما ليس في استطاعة البشر بلوغ تلك المرحلة دفعة واحدة، وهي بمعونة المعرفة القصوى والحرية القصوى لن تتوقف، هي حتمية هذا الإنسان المتحوّل، فإنَّ نوحاً يوم تغلّب على طوفانه ما تغلّب على طوفاننا، بل دلّنا على طريق الغلبة، وها هي أعماقنا تعجُّ وتثور وتكاد تبتلعنا.

ونحن لسنا حقيقيين قبل أن نقهر طوفاننا:

"كل منكم طوفان في ذاته وسفينة وربّان. وإلى أن تخرجوا كل واحد من سفينته لتطأوا أرضاً بكرةً ومغسولة من كلِّ أدرانها لستم جديرين بأن تحتفلوا بالنصر.

أتريدون أن تعرفوا كيف أصبح الإنسان طوفاناً في ذاته؟

عندما شطرت الإرادة الكلية آدمَ إلى شطرين كيما يتمكن من معرفة نفسه ووحدته مع الواحد الأحد عندئذ صار آدمُ آدمَين: آدمَ الذكر و آدمَ الأنثى. وعندئذ طغت عليه أمواج من الشهوات التي تولّدها الشائبة. وهي شهوات لا يكادُ يحصيها عدّ وليس لأشكالها وألوانها نهاية. وهي لا تشفق على ذاتها من التبذير؛ وقوّتها على التوليد والتناسل تكاد تكون بغير حدّ.

وها هو الإنسان حتى اليوم محمول على غوارب أمواجها الصاخبة. ما تكاد موجة ترفعه إلى الأعالي حتى تهبط به الأخرى إلى القاع. ذلك لأن هذه الشهوات تجري أزواجاً أزواجاً نظير ما يسير

الإنسان أزواجاً. وهي وإن تكن في الواقع متممة الواحدة للأخرى تبدو مع ذلك، لعين الجاهل كما لو كانت نقائض بعضها لبعض، وكأَنَّها في صراع أبدي لا هوادة فيه ولا هدنة على الإطلاق.

ذلكم هو الطوفان الذي حُتم على الإنسان مقاومته ساعةً فساعةً ويوماً فيوماً طوال مرحلة

الثائية الشاقّة.

ذلكم هو الطوفان الذي تنفجر يناييعه من قلوبكم وتكاد تجرفكم بسيلها العارم.

ذلكم هو الطوفان الذي لن يزيّن قوسُ قزحه سماءكم حتى تتحدّ سماؤكم بأرضكم في قران

أبدي فتصبحا واحداً.

منذ أن زرع آدم نفسه في حواء والناس يجنون إعصاراً تلو إعصار و طوفاناً تلو طوفان. فما إن

تتفاقم شهوات من صنف واحد فتشتدّ صولتها وترجح كفتها حتى يفقد الناس التوازن في حياتهم

ويطغى عليهم طوفان هذه الشهوات أو تلك إلى أن تستردّ حياتهم توازتها. ولكنّ هذا التوازن لن

يستتبّ لهم حتى يتعلّموا أن يعجنوا جميع شهواتهم في معجن المحبّة كيما يجبزوا منها خبز الفهم المقدس.

قد يكون الطوفان الذي غمر الأرض في عهد نوح أكبر طوفان عرفته البشرية حتى اليوم. ولكنه

ما كان الأول ولن يكون الأخير من سلسلة الطوفانات. فطوفان النار والدم الذي عمّا قريب سيحتاج

الأرض سيفوقه عنفاً وخراباً. أعلّكم اتخذتم العدة لتعموموا أم أنتم قانعون بأن تغرقوا مع الغارقين؟

وأسفاه! إنكم لفي شغل عن كل ذلك. و شغلكم الدائم هو أن تزيدوا فوق أوزاركم أوزاراً، وأن

تحدّروا دمائكم باللذات المثقلة بالألم، وأن تحتطّوا لكم سُبُلًا في مهامه لا ماء فيها ولا حياة، وأن

تفتشوا في عرصات أهراء الحياة عن حبوب تلتقطونها بين أقدار البهائم من غير أن يخطر لكم ولو أن تلوصوا من خصائص الأبواب على ما في داخل الأهراء من الخيرات. فكيف لكم ألا تغرقوا يا أيها التائهون؟

وأنتم وقد صوّر الله فيكم صورته ومثّل مثاله، توشكون أن تمحووا الصورة والمثال. فقد مسختم قامتكم الإلهية إلى حدّ أنكم لا تميّزونها عن قاماتكم بشيء، وطلّيتم وجهكم الربّاني بالوحل ثم حجبتموه بالمساخر البهلوانية. فكيف لكم أن تجابهوا الطوفان - طوفانكم - يا أيها التائهون؟ إنكم ما لم تعملوا بنصح مرداد سُدّت في وجهكم مسالك الأرض فما كانت الأرض لكم غير جدث، وأغلقت أبواب السماء فما كانت السماء لكم أكثر من كفن. حين أن الأرض أُعدّت من البدء لتكون لكم مهداً ملكيّاً، والسماء لتكون لكم عرشاً.

أقول لكم ثانية: أنتم الطوفان، وأنتم السفينة، وأنتم الرّبان. أما الطوفان فشهوآتكم. وأما السفينة فجسدكم. وأما الرّبان فإيمانكم. وهذه كلها تتخلّلها إرادتكم. ومن فوق هذه كلها يهيمن فهمكم.

فاهتموا لسفينةكم كيما تكون متينة وصالحة لمصادمة الأمواج. ولكن حذار من أن تذبذروا كل أيامكم على السفينة وحدها لئلا يفوتكم وقت الملاحاة فيدهمكم داهم الفناء ويقضي عليكم وعلى سفينةكم قضاء لا مردّ له.

ثُمَّ اهْتَمُّوا لِرَبَّانِكُمْ كَيْمَا يَكُونُ رَزِينًا وَغِيًّا الْخَبْرَةَ بِأَسْرَارِ الْمَلَاةِ. وَلَكِنْ الْأَهْمُّ مِنْ ذَلِكَ وَهَذَا أَنْ تَبْحَثُوا عَنْ يَنَابِيعِ الطُّوفَانِ وَأَنْ تَدْرِبُوا إِرَادَتَكُمْ عَلَى تَجْفِيفِهَا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ. وَإِذْ ذَاكَ تَهْدَأُ ثَوْرَةُ الطُّوفَانِ وَرَوِيدًا رَوِيدًا تَتَلَاشَى.¹

ولكل شيء إرادة، حتى الحجر الأصم الأبكم الذي لا حياة له في الظاهر ليس بغير إرادة، فلو لم تكن له إرادة لما كان:

"جُلْ مَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يُعْطِيَكُمْ إِيَّاهُ هُوَ الْجَسَدُ أَوْ الْقُلُوكُ الَّتِي بِهَا تَتَمَكَّنُونَ مِنْ مَخْرِعِ عِبَابِ الْحَيَاةِ الشَّنَائِيَةِ. وَذَلِكَ لَا يَجْرُوُ إِنْسَانٌ أَنْ يَتَمَنَّيَ عَلَيْكُمْ بِهِ. فَالْمَسْكُونَةُ مَكْلُفَةٌ بِتَأْدِيتِهِ لَكُمْ. أَمَا حَفْظُهُ قَوِيًّا وَخَالِيًّا مِنَ الْغَشِّ وَالْفَسَادِ لِيَكُونَ صَالِحًا لِمُقَاوَمَةِ الطُّوفَانِ - مِثْلَمَا كَانَتْ فَلَكَ نُوحٌ، أَمَا كَيْحٌ مَا فِيهِ مِنَ الْكُؤَاسِرِ وَالضُّوَارِيِّ - عَلَى حَدِّ مَا كَيْحُ نُوحِ الضُّوَارِيِّ وَالْكُؤَاسِرِ الَّتِي كَانَتْ فِي فَلَكَه - فَأَمْرٌ مَنْوُوطٌ بِكُمْ وَبِكُمْ لَا غَيْرَ.

وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ لَكُمْ إِيمَانٌ مُسْتَيَقِظُ الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ لِيَدِيرَ الدَّفْعَةَ، إِيمَانٌ لَا يَتَزَعَزَعُ بِالْإِرَادَةِ الْكَلِيَّةِ - الَّتِي لَنْ يَقُودَكُمْ سِوَاهَا إِلَى أَبْوَابِ عَدْنِ السَّعِيدَةِ - فَأَمْرٌ مَنْوُوطٌ بِكُمْ كَذَلِكَ وَبِكُمْ لَا غَيْرَ.

وَأَمَّا أَنْ تَكُونَ لَكُمْ إِرَادَةٌ لَا تَعْرِفُ الْجَزْعَ - إِرَادَةٌ التَّغْلِبِ وَالْوَصُولِ إِلَى شَجَرَةِ الْفَهْمِ الْمُقَدَّسِ الَّتِي هِيَ شَجَرَةُ الْحَيَاةِ - فَأَمْرٌ مَنْوُوطٌ بِكُمْ كَذَلِكَ وَبِكُمْ لَا غَيْرَ.²

¹ - ميخائيل نعيمة، مرداد: منارة وميناء، المجموعة الكاملة، مجلد 6، ص 805 - 808.

² - المصدر نفسه، المجموعة الكاملة، مجلد 6، ص 811.

ويبقى علينا أن لا نبكي ولا نياس، ذلك أن الحقيقة موجودة في كل مكان وكل شيء، إلا أنها
مخبوءة ولا تبدو إلا للباحث الجاد.

وإذاً يجب أن نكون أبداً نيرين، كي يستنير بنا السائرون في الظلام:

"فكروا كما لو كانت أفكاركم منقوشة بأحرف من نار على صفيحة الجلد حيث تبصرها وتقرأها
جميع الكائنات. وإنها في الواقع كذلك.

وتكلموا كما لو كان العالم كله أذنًا واحدة مصغية إلى ما تقولون. وإنه في الواقع كذلك.

واعملوا كما لو كنتم الأمنية التي تتمنون. وإنكم في الواقع كذلك.

وأحبوا كما لو كان رؤكم في حاجة إلى حياتكم ليحيا هو حياته. وإنه في الواقع كذلك."¹

وفي لفظة إنسانية، من فصله الخامس والثلاثون (شرارات على الطريق نحو الله):

"لا تحتقروا أحداً من الناس. فخير لكم أن تكونوا محتقرين من جميع الناس من أن تحتقروا إنساناً

واحداً.

لأنكم إذا احتقرتم أي إنسان احتقرتم الإله المشمول فيه. وإذا احتقرتم الإله المشمول في أي

إنسان فكأنكم احتقرتموه في نفوسكم.

وإن أنتم احتقرتم الإله المشمول فيكم - وهو دليلكم إلى الميناء، إلى الإله الشامل - فكيف

ترجون أن تبلغوا ميناءكم؟

1- ميخائيل نعيمة، مرداد: منارة وميناء، المجموعة الكاملة، مجلد 6، ص 625.

تطلَّعوا إلى فوق لتبصروا ما أسفل. وتطلَّعوا إلى أسفل لتبصروا ما فوق.

انحدروا على قدر ماترتقون. وإلا فقدتم توازنكم.¹

وقبل أن ينحدر المعلم عن درجات المذبح دعا السبعة إليه، وطلب أن يأتوه بالقيثار:

"وإذ جاؤوا بها أخذ يرثم معهم نشيد الفلك الجديدة. وسرعان ما التقط الجمهور اللحن، ومن

ألوف الأفواه تعالى القرار أمواجاً جارفة إلى السماء:

"ربانك الله، سيرى، فلك مرداد!"²

1- ميخائيل نعيمة، مرداد: منارة وميناء، المجموعة الكاملة، مجلد 6، ص 794.

2- المصدر نفسه، المجموعة الكاملة، مجلد 6، ص 813.

قراءة فنية لمرداد:

لم تشغل هذه الرواية أمكنة كثيرة، بل مكانا واحدا واسعا، ولم تحتو على أحداث بمفهومها المألوف، بل تحيل إلى حوادث قديمة، أو إمكانية حصول أمر ما نتيجة لسلوك معين.

كل ذلك في ظل روحانية تتسم بالعمومية، دون ارتباطها بتصوف أو دين خاص، مال فيها (ميخائيل نعيمة)، إلى الإقناع والمجادلة العقلية السهلة، بأسلوب غاية في السمو والوضوح، وإحساساً شفافاً، يتماهى فيه وجدانه.

وموضوعها أقرب ما يكون إلى أن يكون أدبا تأملياً، منه إلى الخاطرة أو الحكمة، تناول فيه قضية كئيبة كبرى في كل زمان ومكان، تتعلق بمصير الإنسان وقلقه على وجوده، وعلاقته بالكون، عاجلها بمقاربة منهجية منطقية، مزج فيها الذاتية بالموضوعية.

ويبحر (مرداد) في عوالم فضائلنا، وذاكرتنا، وإيماننا، وطيبتنا، ومحبتنا، وحظنا، وأفعالنا، وشهواتنا، وإرادتنا، وقوتنا، فيعيد برحمة سلبياتها، ويرسم جوهرها الصافي، ويضعنا كعادته في صفوة مع ذاتنا، نحتاج إلى قراءة متروية وذوافة لكلامه وأفكاره، حتى نستطيع إدراك عمقها.

والواضح أن (ناسك الشخروب)، قد استكمل صورة الحكمة، فوفانا بكتاب (مرداد: منارة وميناء)، حيث الكثير من شخصه، وروحه، وعصارة فكره، المتوجّه بالخلاص والحرية والأخلاق والفضيلة.

وحيث تدرّجت تصوّراته المهجرية، على شكل خط تواصلية تصاعدي، تجلّت في رواية، اعتمد فيها على معطيات معروفة عند القارئ؛ كالطوفان، ونوح، والسفينة المنقّذة (القلك)، والكهوف، والدروب... ومفاهيم ثنائية؛ نحو الخير والشر، والمحبة والطمع.¹

وتوجّه فيها، بصيغة المخاطب، وكلام أقرب إلى السريانية، مستخدماً أسلوباً حكاثياً، يستعير الكثير من تعاليم الإنجيل، التي يضعها ضمن إطار مقدّسات الشرق، ليدعو إلى الارتقاء بأهواء النفس، وتوجيهها إلى طريق الحق والخير والجمال، من أجل عالم أسمى وأجلى وأعدل، خالقاً وطناً من رماد الجذور، تسكنه كلمات حروفها من خيال ومعانيها دوائر تتجاوز المكان والإنسان تكثّف طرق النجاة..

1- نعيم نعيمة - الأدب المهجري تأثره بالغرب وتأثيره فيه. تاريخ الاطلاع: 2006/05/27م.

الفصل الرابع

دراسة موازنة

جدلية الشرق والغرب

الروح التحتية للحركة المهجرية

النزعة الروحية

التجربة التأملية

الرسالة الإنسانية

البعد النبوي

ثقافة ما بعد الإلتزام

المستوى الفني العام لأعمالهم

بدايةً ليس هناك أي هدف سياسي أو شخصي، وراء الأحكام التي قد ترد في هذا الفصل، بل الموضوعية والشمولية كانتا دافعينا الرئيسيين.

جدلية الشرق والغرب:

تحوّل العزلة التي قد تكون شديدة، بسبب الحنين اليومي، والجرح النازف كل لحظة، نتيجة معايشة أخبار الوطن عن بعد، إلى صراع نفسي بين ذكريات الكاتب وواقعه، ثم يحصل نوع من التأقلم، عندما تستقبل البيئة الجديدة فكره الثوري الذي رفضته بلاده، فتعوضه حضارة الرقي الإنساني، والانفتاح الثقافي، عن فكرة الوطن قليلاً، ليصير الوطن أبعد من الحدود الجغرافية، بل ممتداً إلى الأرض كلها.

وإن بقي الكثير من الأدباء يشعرون بالاغتراب، فلأنهم:

أولاً: يعيشون اغتراب الروح، ووجع الأرق الأبدي.

ثانياً: ذلك أنّ الوطن ليس مكان الذكريات ولا حلم المستقبل، لكنّه لحظة عشقية نختارها.

ثالثاً: يعيشون أحلام الحرف والوطن والهوية، وقلوبهم مأسورة بين المحيطين.

من هنا كانت جدلية المغترب مع ديار غربته، جدلية كيانية، لا جدلية نظرية متصلة باللغة أو

الثقافة أو الدين أو القومية، كما كان واقع الأمر عند أهل العربية القائلين في دياره.¹

¹ - نعيم نعيمه - الأدب المهجري: تأثره بالغرب وتأثيره فيه. تاريخ الاطلاع: 2006/5/27م.

فيقبل الأديب المهجري على الذات العربية، لا ليزيدها عن طريق الفن تسلية أو مُتعة أو معرفة أو ثقافة، فهذه شؤون كمية تعميمية، لا شأن للفن الذي دأبه الفرادة بها، بل يسافر في مجاهل النفس والكون نحو حقيقة ما، يبحث عنها خارج حدود أرضه ومحيطه وكيانه،¹ بما تُمليه عليه الموجبات الضمنية، وخصوصيتها وتميزها.

وإن نرح مقيموا العربية حضاريا إلى تماثل مع الغرب، فقد نرح المهجريون من غرب هم فيه إلى شرق ينتمون إليه.

فكان (مikhail نعيم)، يتألم بعد عشرون سنة اغتراب في مدينة نيويورك، من احتقار أبناء بلاده لأنفسهم، وتطلُّعهم إلى الغرب، وجهدهم في تقليد مدنيته المحتضرة. ولا تلبث الجدلية أن تجري بـ (أمين الريحاني)، من تماثل إلى تباين؛ فالغرب صديق إذا فتحنا له قلوبنا وعدو إذا وهبنا له قلوبنا.

وتحوّلت عند (جبران خليل جبران)، بعد ثلاثة عقود في غرب العلم والمختبر والآلة، إلى العلوي والكشف الروحي؛ فبعد أن أقام (المصطفى) اثنتي عشر سنة في مدينة (أورفليس) - وهي مدّة إقامة (جبران) في نيويورك حتى تاريخ صدور الكتاب سنة 1923م - أفضى إلى أهلها بروح شرقي خالص، زُبدة ما خلُص إليه عن الكون والوجود، قبل أن يركب سفينته عائدا إلى أرضه .. عائدا إلى الشرق.

¹ - لطفي حداد - الأدب العربي المهجري المعاصر. تاريخ الاطلاع: 2009/01/20م.

ولا يعني هذا، أن المهجريين رفضوا الغرب باسم تميّزهم عنه، وأغلقوا أبوابهم دون ثقافته ودونه، بل على العكس من ذلك تماما، فقد كانوا على قدر كاف من الفهم بالتفاعل الحي مع الغرب. فالمغترب قد لا يحتفظ بلغته ودينه وثقافته وأيديولوجياته على أنواعها، ويبقى على ذلك غريبا، ذلك أن هذه جميعا إضافات على الذات، من غير أن تكون هي ذاته الأصلية. لذا فإن استبدال عربيته بالإنجليزية، أو قناعته بغيرها من القناعات، أو نظام حياته بآخر، فمواجهته مع الغرب تزيد هويته الأصلية ولاءً ووضوحاً ورؤيةً لجوهر حقيقتها، لأنّ الإنسان جبلة، ومن غير الممكن تغييره من خارج طبيعته. لكن يبقى التراث الروحي، مجرد تعبير عن الذات، من غير أن يكون هو الذات نفسها، فحياتها واستمراريتها وقدسيتها، مستمدة من الإنسان لا من ذاته، وليس ينفع الشرقي أو الغربي تراث مُفرغ من إنسانه، فغدا طقوسا محنّطة، وأجسادا هشة من النصوص والشرائع والشعائر والممارسات. وإذا فالجدلية، لم تكن في عمقها جدلية إضافات، لأن المواجهة أصبحت بين إنسان وإنسان، لا بين إضافات وإضافات، وعليه لم يعد مطلوبا الارتداد إلى التراث، أو محاولة ردّ الحياة إليه، بإعادة تفسيره وتأويله أو فلسفته بحيث يتلاءم مع حياته وظروفه وعلومه ومكتشفاته ومقتضيات عصره. وإنّ دأب المقيمين من أهل العربية، أن يلوذوا بدينهم أو لغتهم أو تاريخهم أو تراثهم، كلّما أحسّوا بوطأة الغرب على هويتهم، وتعزّيزها غالبا بأيديولوجيات غريبة، الأمر الذي كان يفضي بهم إلى هوية غريبة مموّهة بطلاء مشرقى، ومن ثمة إلى هوية تشتت الثبات، فيما يُفترض أن تبقى الهوية

الحياة أبدا متحركاً، فيصبح والحالة هذه، إما أن نحرك الثابت لإحياء التراث، فلا يعود هوية، وإما أن نجهد المتحوّل حفاظاً على ثبات الهوية، فننتهي إلى تراث ميّت لغة وتاريخاً ومعتقداً؛ فإنّ ال (نحن) التي دخلها أهل العربية منذ مطلع القرن التاسع عشر، قد أصابها الهزّة، وعصفت بسقفها ربح الحداثة، ولم يعد بوسعها أن تبقى مستكينة تحت ذلك السقف، مُطمئنة إلى ثوابت وجودها ومطلقات قناعاتها، ولا نهائية نظرتها إلى الكون والحياة، فقد أدخل ال (هم) عدداً من الأفكار والممارسات وطرائق حياة مغايرة، فصلت بين الحياة الدينية وشريعتهما والحياة المدنية وسلطتها، ورَكَزَت على الفرد كقيمة وإرادة وحرية فعل وفكر واعتقاد، ما أفضى من باب الحرص نفسه، إلى تماثل يكاد يكون خالصاً، فأبدى (رفاعة رافع الطهطاوي) أواخر العشرينات، إعجابه بمنجزات الغرب، وألغى (طه حسين)، أواسط الثلاثينات، الجدلية من جذورها؛ فلا تباين ولا تماثل، ولا رفض أو قبول، ولا (هم) ولا (نحن)، بل سنتبع نهج الأوروبيين في الحكم والإدارة والتشريع؛ فالحضارة واحدة، ومقوماتها واحدة. وهكذا يتنبأ (ميخائيل نعيمة)، بنبيّ من المشرق، يُطلّ على العالم من جديد، يحمل مشعل العزيمة والقوة والحق والمعرفة والمحبة، وجسّد وجعه في نظرية نقدية، القاعدة فيها، أن الإنسان هو محور كل ما تليه؛ سابقاً وحاضراً ومستقبلاً، وهو في كل ما يفعل ويقول ويكتب إنما يفتش عن نفسه؛ فإن فتش عن الله سيجد نفسه في الله، وإن سعى وراء الجمال فإنما يسعى وراء نفسه في الجمال، وإن طلب الفضيلة فلا يطلب إلا نفسه في الفضيلة، وإن اكتشف سرا في الطبيعة، فما هو إلا مكتشفٌ سراً من أسرارهِ.

وحول هذا المحور، تدور علومه وفلسفته وصناعاته وتجاراته وفنونه وآدابه، ولا قيمة لما يأتيه، إلا بمقدار ما يُدنيه ذاك العمل من نفسه، وسواء أدرك الإنسان ذلك أو لم يُدركه، فهو أبداً يقيس كل مآتيه بهذا المقياس.

والكون ليس وحدة متواصلة الحلقات، يستطيع السالك أن ينسل في اتجاه واحد من حركية الدائر المحيط إلى سكون المحور، وليس عالمن اثنين نرى واحدهما في الآخر، يستطيع الإنسان بوسائل المعرفة المتيسرة أن ينتقل بحثاً واستقصاء وتجريداً، وأن يرقى من كثافة الزماني والمكاني إلى معقولية المطلق، وإنما هو فلقتان متباعدتان، لجرح دهري ضارب في الكيان الواحد؛ فلقة عدنية علوية إلهية، وفلقة أرضية سفلية هي عالم الزمن الساقط.

وغاية الحياة، أن يشدَّ الإنسان الفلقة الواحدة إلى الأخرى، فيلتئم الجرح، ويذول الشرخ، ويتوحد الكيان، ويرتد الزمن الساقط إلى ما قبل السقوط، ويعود آدم من هجرته في الأرض إلى عدن. ولذا لا يصح أن نفهم روحانية الشرق، عند (الريحاني) و(جبران) و(نعيمه)، في ظل علوم الغرب وتقنياته وفورة عمرانته المرئي التي أخضعت اللامرئي والروحي للمادي والمطلق للنسي، فكانت قطعاً النقيض الجدلي لـ (خالد)، و (مصطفى)، و(مرداد).

فدون قمة (مرداد) على امتداد شبه عمودي رهيب، مُنحدر مستحيل من الصوان المسنن الدقيق، تستثير الراوي فيشُدُّ الصعود إلى الكتاب، عتاده في ذلك عكاز وسبعة أرغفة، وما أن يُععن في التسلُّق، حتى تتعاقب عليه ظواهر عبثية؛ يعضُّه الجوع، فيأتيه من ينتزع أرغفته السبعة ويطعمها

كائنات أسطورية، وينهش الصوان حذاه ويبري قدميه، فيأتيه من يسلبه عكازه، ويُقبل عليه الليل ويلسعه البرد، فيأتيه من يعرّيه مما تبقي من ثيابه.

ويأخذه الوجع الأكبر، فإذا هو على شفير الهوة السوداء التي لا يلبث أن يغوص في غيبتها، وإذ في ذهاب النفس عودتها، فيستفيق ليجد نفسه فعلا على القمة، في الفلقة المقابلة من الجرح الكوني، والكتاب بين يديه يتصفّحه، ويستتر عريه بثياب السادن الذي انقلب صحرة، ويعاود الهبوط برسالة الخلاص إلى السفح.

وبين السفح وقمته منحدر طويل، أما من سيحتاز المنحدر، ففينيق عربي يختار أن يترمّد في عدن ومن أجلها.

لكن هذا الكائن المكلف أن يكون الصلة الكيانية بين ضفتي الجرح، قدره منذ البدء أن يظلّ في نريف دائم؛ دأبه أن يشدّ السفلي في نفسه وفي الناس إلى العلوي، وفي ذلك ما فيه من اقتلاع وتمزّق وتقطيع أوصال ووجع، أو أن يهبط بالعلوي إلى السفلي، بصيغة نبيّ أو كتاب أو مسيح، في محاولة أن يرتدّ بهذا السفلي إليه، وفي ذلك ما فيه من هجرة واغتراب، وهو مع كل شرخ يستبدل كيانا بكيان ووجودا بوجود، كأن يكون دودة مهیضة فيستحيل عبر الجرح فراشة مجنّحة، أو رمادا هامدا فيخضبه الجرح ويتحوّل به إلى فينيق.

ويبقى الحب الروحي الأعمق عند (المصطفى)، شوق النفس إلى الاكتمال بمعشوقها، ورمز

خلاصها من الانقسام في عالم الزمن، بعد عودته من شهوته الطاغية.

والدم المسفوح، هو نجيع الإنسان، يتوق السفلي فيه إلى العلوي، فيُفضي به إلى جسد يُذبح لأنه دون ما تشتاقه الروح، ويُنشُد فيه العلوي السفلي، فينتهي به الأمر إلى أن يضحّي بإله هو فوق ما يستطيع أن يتحمّله جسد..

ولا تعدو حضارة العقل والعلم والتكنولوجيا، في نظر (خالد) - على ما بلغته من قدرة وبأس وجبروت- أن تقف عند الفلقة السفلى من الجرح الكوني، وهي لا محالة غارقة في لجة ذاته، ما لم يتيسّر لها من يجتاز إليها فيجيزها الجرح.

والإنسان الإبراهيمي العربي، هو المؤهّل بطبيعة تكوينه الذهني، أن يجتاز المعبر جيئة وذهابا؛ فعل ذلك في ماضيه، وهو قادر أن يفعل ذلك أيضا في حاضره، إن هو تمكّن أن يعي ذاته ويستفيق على حقيقة هويته.

الروح التحتية للحركة المهجرية:

انتهى الغرب - كما أسلفنا - إلى علمانية تعتبر الإنسان قيمة مطلقة، تتمحور حوله جميع المعارف والمعتقدات والقيم، ومنه وبه وله ومن أجله تحصل وتُقبل وتُرفض، فما من مقدّس إلاّ بقدر خدمته له.

وأنّ المهجرين فهموا الجدلية القائمة بين الشرق والغرب، فهي جدلية إنسان وإنسان، لا جدلية دين ودين أو لغة ولغة أو تاريخ وتاريخ أو تراث وتراث، وأنّ منطق هذه الجدلية يقتضي من إنسان

الشرق تعزير ذاته، فينتفض على كل ما يُعيقه ويشلُّ حركته في حلبة الصراع، ليستعيد مركزه وسيادته على ما انتزع منه في مسيرته الدهرية.

واقترضى النهج المهجري، أن تخدم اللغة الإنسان لا يكون الإنسان في خدمتها، ما استتبع ثورة لغوية وأدبية، سخّرت التراث والتاريخ لخدمة الإنسان، بدل أن يكون رهينة لهما.

وافتح (أمين الريحاني) هذا النهج، ولحق به (جبران خليل جبران)، وتبعهما (ميخائيل نعيمة)، وارتفعت ثورتهم الروحية بالإنسان إلى مرتبة النبوءة والتأله؛ فانتهى (أمين الريحاني) إلى انتفاضة لاكهنوتية عارمة، على الإقطاع الديني والأخلاقي والاجتماعي في بلاده، اقتناعاً منه بالتطور الذي لا يلغي الروح، وثقّة بأن التاريخ صنيعه الأبطال، والبطل العادل من يستطيع أن يجمع ماضي الأُمَّة في حاضرها لتغيير مسارها.

وتسرّيت هذه الثورة إلى (جبران خليل جبران)، فينتفض على التقاليد والأعراف والديانات والمجتمع العتيق، ليقيم آخر جديد مثالي.

وتأرجحت مواقف (نعيمة) بين صوفية، واشتراكية طوباوية.

ولم تكن ثورتهم العارمة على الحياة الشرقية، للتطاول على الإنسان المشرقي، بسلخه من ذاته أو تغريبه، بل لتأكيدهِ وتحريرهِ من مكبّلاته.¹

¹ - نعيم نعيمة - الأدب المهجري تأثره بالغرب وتأثيره فيه. تاريخ الاطلاع: 2006/05/27م.

ويبقى أنّ الإنسان هو الذي يعطي لثورته هويتها الأصيلة أو الهجينة، والمطلوب الإنسان الكامل الذي يثور على مستبدّيه، وعلى نفسه أيضا، لأنّ أيّ نقص فيها، سيحجّب عنه الذات الرئانية الالاهية المحدودة الكاملة.

الزرعة الروحية:

وجد جبران ونعيمة في الطبيعة كتابا ومعلّما ومدرسة؛ فكانت لهما الغذاء الأبدي، أمدهما بدفق من الإحساس والمشاعر، وساعدتهما مطالعتهما الشخصية، يتلقّفها عقل متوقّد الذكاء، عبقرى المواهب، في نشر أشعة فكرهم التوّاق إلى الانطلاق.

وتبتت الجذور، وتوحي طلائعها، فأتتنا ثمارها موزّعة على واحات خمس، تتقارب وحداتها، بما يتناسب وترايط الغاية والوسيلة:

1- واحة التطهير:

وفيها السعي إلى نظافة تتجاوز الأجساد إلى الأرواح، ونقاء يتعدّى المظاهر إلى الضمائر، يدعوانها إلى الخلوّة والصمت والتأمل، لتستيقظ وتتوب.

2- واحة التنوير:

فالتنفس إذا تطهّرت، أصبحت شقّافة مشّعة، لذلك يجعلان من الجمال خاتم الفضيلة، ويحثّان على العمل كحركة مقدّسة وعبادة صالحة، وتقديسه بالعطاء الذي يبدّل الفقر المادي بالغنى الروحي.

3- واحة الطفولة:

بما فيها من مذاق البراءة المتواضعة، والصدق، والصدافة والحقيقة، والإيمان، والسعي إلى الله بصلاة حارة، وقلب طاهر عفيف؛ وهي درب الطفولة الروحية الموعودة بملكوت السماء في إنجيل القديس متى (1/18 - 5):

"إِنَّ لَمْ تَعُودُوا كالأَطْفَال، لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ"

4- واحة المحبة:

وهي الملكوت السماوي، والإنسان هو الكائن الوحيد على الأرض الذي يستطيع أن يتفهّم معناها ويتحمّل بجمالها، وهي السبيل الأوحّد إلى الفرح الحقيقي، تتفاعل مع تلك الثمار في تقوية نزعتة الروحية، فيجدّ في طلب الحرية والسلام، ويسعى إلى الكمال للتخلّص من الغربة، والوصول إلى الوطن الذي يشدّه الحنين إليه.

5- مجتمع الواحة:

اتفق جبران ونعيمة حول عظمة الإنسان، وأبرزاً سُمُوّ دوره في الحياة؛ أمّا وأبًا، إبنًا وأخًا، شابًا

وشَيْخًا.¹

1- رموند قبعين، النزعة الروحية في أدب جبران ونعيمة، ط 1، بيروت: دار الفكر اللبناني، 1993م، ص ص 319-326.

وإذ في هذه الآيات في الموت والحياة وعلاقة الناس ببعضهم وبالطبيعة وبالله، منارة مشّعة تحوّل السديم إلى شمس وأقمار، والأفكار المشوّشة والحنين المبهم والشوق المحرق، إلى أدب رفيع وفن رائع! خاصة أننا إذا عدنا إلى شعرنا العربي، اللهم إلا رائعة رهين المحبين الخالدة (غير مُجد)، نجد بأنّه شعر فردي، ولا يسمو فوق المكان والزمان..

والأديب الذي ينطق بلسانك، ويشرح ما يكنه جنانك، بأسلوب الملهمين وأصحاب الرسائل الروحية الخالدين، هو أديب فيه نبوة، وفي أدبه قدسيّة!

التجربة التأملية:

تنتهي التجربة التأملية في جوهرها، وإن بدت ذات خصوصية فردية، إلى خلفية فكرية ودينية، وقد تجلّت عند بطاركة الأدب المهجري، الريحاني وجبران ونعيمة، في نزعة رسولية إنسانية، وكأثما إنجيل قائم بذاته؛ فأصبح (كتاب خالد) كتاب النخبة، وصار كتاب (النبي) كتاب الناس في كل مكان، واختصر كتاب (مرداد) روح الفهم المقدّس.

وكأثما احترفوا الأدب، لإيمانهم بتقديمهم شيئا جديدا، يكون تدشيننا لعهد جديد من الكتابة الأدبية، وبقينا منهم بتأسيس مذهب خاص في الحياة، يكون ثمرة اندماج الحضارات والثقافات وتآلف الأديان، في روحٍ من الوحدة والعدل والسلام؛ تتوازن فيه مطالب القلب والعقل مع الإيمان والمنطق،

وقيم الروح مع متطلبات التكنولوجيا الحديثة في مسيرة الإنسانية نحو التطور والارتقاء؛¹ فآمن (الريحاني) بفكرة الأمة الواحدة، والحكم المدني، ووحدة أديان العالم، ودعا إلى مجتمع عربي حر، مع الاحتفاظ بالتقاليد السليمة والأعراف السامية، ونزَع (جبران) إلى العلمانية، واللا طائفية، ودخل (نعيمة) منطقة الجرح الكوني، بين أشواق تشدُّ إلى عالم الرؤيا فتسمر في المطلق، ومَنازع ترتدُّ إلى عالم الحس فتعمق جذورنا في الطين، فأراد أن يحرِّر الإنسان من ثنائية الأنا وانعدام الأنا، لأنَّ الحياة الأبدية لا يسار فيها ولا يمينا.²

إلَّا أن التحوُّل الأبرز، كان في الانتقال بالأدب من الانفعال إلى الفعل، فلم يعد دور الأديب يقتصر في الوقوف خارج الأشياء، وترجيع صداها، والتأثُّق بما يتيح الحذق اللفظي، بل أصبح يُضفي من ذاته أبعادا جديدة، تُسهم في إعادة خلقها، وتُعطي للحياة معاني أعمق وأجمل..

فالكلمة التي لا تزيد الإنسان دنوًّا من معرفة نفسه، والناس، ومكانه، ومكانهم من الحياة والوجود، تسقط من عائلة الأدب، والأدب إن لم يضيء الوجود الإنساني، فليس أدبا على الإطلاق. وكأهمُّ يُحاولون ترجمة الحياة، واستلهام العزاء وقوة الرجاء من الشعر بدل الدِّين؛ على اعتبار أنَّ الشاعر الحق، نبي وكاهن وفيلسوف؛ فهو نبي، لأنَّ دأبه أن يَنفَذ من المرئي ليعانق الماورائية

1- سهيل بديع بشروئي، الأدب اللبناني بالإنجليزية ورسالة القرن العشرين (كتاب خالد لأمين الريحاني مثالا)، ص 17.

2- طنسي زكا، أدب أعلام المهجر، بيروت: دار الفارابي. د. ت. ص 56.

المطلقة، وكاهن، لأنه ملتزم أبداً بتلك الحقائق ومُذيع لها ومُبشِّر بها، وفيلسوف، لأنه مُدرك للعلاقة بين المرئي واللامرئي، ومُنتهٍ من كل ذلك إلى موقف مُتكامل من الحياة والوجود.

الرسالة الإنسانية:

التزم المثلث المهجري، بالدعوة إلى تضامن أبناء الوطن الواحد؛ لا تمرِّقهم الطوائف التي تحركها الأيدي الأجنبية وأيدي التخلف المحلي، وإلى التحرر من الثعبان العثماني، ومناهضة الانتداب الفرنسي والبريطاني، ومعاهدة (سايكس بيكو) التي قسّمت سوريا ولبنان والعراق وفلسطين، وإلى مناوئة الصهيونية.

وقدّمت لهم الهجرة أدوات النقد، وهيئات لهم غربة القيم الشرقية والغربية، فأنجّوها إلى بلورة فكر إنساني، لا يشعر فيه أحد بالغربة.

فالإنسان يحاول أن يصل إلى الله، طريق الخلاص والسعادة.. والكلمة الله، ألم يقل إنجيلٌ

يُوحثنا:

« فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَتْ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ.»¹

والمعرفة الكلية صفة من صفات الله، ألم يقل القرآن الكريم في سورة العلق:

﴿ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5) ﴾²

¹ - إنجيلٌ يُوحثنا (1/1).

² - سورة العلق، الآيتين: 4 - 5.

لذا حمل أدهم طابعا عاطفيا وأخلاقيا، غايته الإصلاح والثورة على العلل التي تنخر جسم الشرق، أما عدته فتكون الكلمة يُطلقها مشحونة بالصدق والمحبة.

فألح (أمين الريحاني) على تسخير الأدب لخدمة الإنسان والحياة والمجتمع، وحلم بإمبراطورية كبرى، تكون المدينة العظمى لإنسان متفوق مترفع عن عيوب الشرق والغرب معا، وأكد (جبران خليل جبران) على هذا الدور، وما زال صوته النبوي الشفاف يتردد، بمملكة تأخذ من السماء والأرض، لكن الإنسان المتفوق هنا، إنسان يطمح إلى أن يكون على مستوى الإله؛ إيمانا بأصله الإلهي، ووحدة عناصر الكون صغيرها وكبيرها، كارتباط قطرات الندى بالمحيط، والشمس باليراعات... وأراد صديقه اللود (ميخائيل نعيمة)، بناء عالم أرحب وأكثر نورا، معتقداً مثله بفكرة التقمص.

لكن هناك من رأى، بأنها مفاهيم فلسفية قديمة، قامت على وحدة جميع الأديان والشعوب،¹ وأن مسلكهم متناقض، ولا يتحقق إلا بعالم الخيال، فقد أغفلوا ماهية الواحد الأحد، واستنجدوا كلما وصلوا لطريق مسدود، بأيديولوجية (المحبة) الماكرة الغامضة!²

البعد النبوي:

صدر (مرداد)، بعد تسع وعشرون عاما عن صدور (النبي)، وسبقهما (كتاب خالد) إلى

تسلق شجرة النبوة.

¹ - إليف شافاق، قواعد العشق الأربعون. ترجمة: محمد درويش، بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، 2013م.

² - حسن جميل الحريس - جبران خليل جبران.... ج / 5. تاريخ الاطلاع: 2008/12/16م.

ولنفترض أن كتابتهم الأدبية النبوية، لم تكن فقط استمراراً لترسيمة (المليك - الشاعر - النبي)، التي أوصلها (المتنبي) إلى ذروتها، وإنما جواباً عن سؤال لم تجرؤ الثقافة العربية في عصر النهضة على طرحه، هو سؤال الحرب الأهلية اللبنانية سنة 1840م، وفتنة دمشق الطائفية عام 1860م.. التي اتخذ فيها جواب الثلاثي المهجري، شكل الدعوة إلى ما يُشبه الإيمان الجديد، الذي يتجاوز الانقسامات ويؤلف بين الاختلافات.

وهنا نتساءل عن مدى مثالية نبوءاتهم في شكلها الواقعي الجديد، فتستوقفنا عبارة الكاتب الروسي (مكسيم غوركي):

"يجب أن نُظهر على المسرح المعاصر بطلاً واقعياً بأوسع ما في هذه الكلمة من معنى، وعلينا أن نُظهر للناس الكائن المثالي الذي يترقّبهُ العالم منذ الأزل".¹

والواقع أن الريحاني وجبران نعيمة، ناضلوا بشراسة للجمع بين مثالية الفكر والواقعية، يَنشُدون الحرية وينيرون الطريق ويعشقون الجمال، والثوري الحقيقي يزيد الفرخ في هذا العالم كما يُقال. وقد مهّدت هذه اللحظة لمشهد أدبي جديد، حيث على الكاتب أن يعيد اختراع لغته، أثناء رحلته إلى الذات والآخر، فكانت المدرسة الأدبية الروحية الأولى، التي نهضت بالتراث، ومثلت المستقبل، وحلّدت الأدب بجعله رسالة جمال وكمال.

¹ - محمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس، في الثقافة المصرية، القاهرة: دار الثقافة الجديدة ط 3، 1989م، ص 78.

فهل نحن إذًا أمام تاريخ ثقافي، يقدم إضاءته للكائن المثالي المنتظر، ويصوغ مسافة واضحة عن الوجودية؟ وهل يمكن تحليل هذه المفارقة واكتشاف دلالاتها؟ أم هي فوضى الحقل الأدبي، يحاول صوغ أجوبته داخل مناخات التغييرات المتسارعة؟

لم يزعم المهجريين أنهم مُخلصوا العالم، غير أنهم أعطوا نماذج حيّة عن نوع ذلك الخلاص المنشود وهويته، ولأن ثمة كوابح ثقيلة، تُحول بين رغبة الإنسان وحرية اختياره الشعوري، لجأوا إلى خيال يخلص الناس، ويُبهِج الروح، ويبعثها على الأمل، والذهاب إلى أبعد من ثنائية الشرق والغرب.. إلى ثراث إنساني شامل.

فَعَيْنُ الْمُسْتَقْبَلِ الَّتِي لَمْ تَرِ سِوَى الْمَاضِي، قَدْ هَيْمَنْتْ عَلَى فِكْرَةِ أُمَّةٍ حَدِيثَةٍ، يَجِبُ أَنْ تُخْلَقَ وَتُبْنَى، وَإِنْسَانٌ نَبَوِيٌّ، يَتِمَاهِي مَعَ الْقَلْقِ الْوَجُودِيِّ:

"أَزِيلُ غَشَاوَاتِ الرُّؤْيِ الْقَدِيمَةِ / أَكْتَشِفُ السَّرَابَ أَمْطَرُهُ بِكَرْبِتٍ وَنَارٍ... / وَأَنْفُضَ عَنْ غَدِي الْعُبَارَ / لِأَخْتَرَقَ بَعْنِي سَيْنِيًّا آتِيَةً / تَشْتَأِقُ إِلَى أَسَاطِيرَ فِتْيَةٍ"¹

ثقافة ما بعد الإلتزام:

لو سلّمنا بفرضية أن الرواية المهجرية، قد أظهرت مشكلات النهضة العميقة، الظاهرة أو المستترة، فإن المسألة الأساسية التي ستكتشفها، هي أزمة الثقافة والسياسة في العالم العربي، وفجأة

¹ - أدونيس، أغاني مهيار الدمشقي، بيروت: دار الآداب، 1988م، ط 1، ص 90.

انهارت الأجوبة، وبدلاً من أن تصف أو تُبلور موقفاً، صارت الكتابة بحثاً في اللائقين، وسؤالاً عن معنى الحاضر وسط تاريخ يحاصرها بالمآسي.

وبقي طموحهم إلى التغيير والتجديد طموحاً واعياً، دون قطيعة مع التراث، بل إعادة اكتشافه، من خلال مقاربات تعتمد المنهج المقارن، والنقد التاريخي، والمقاربة العرفانية، تُعطي النص القدرة على النقد، والتماهي، والتدمير، وإعادة البناء، وتضميد الجراح.

المستوى الفني العام لأعمالهم:

أحدت المهجريون الثلاثة، تجديداً في اللغة الأدبية، يتسع لمضامين الحياة الاجتماعية والفكرية والنفسية كلها، من غير أن تخرج عن إطار البساطة والوضوح.

وكان نتاجاً أدبياً مميّزاً، يلتزم قضية الحرية عامة، وحرية الكلمة على الخصوص، وقضية الإنسان بالمطلق، وقد نوّه الكثيرون بدورهم الريادي التجديدي الخلاق، وأساليبهم الجديدة.¹

اعتمدوا في نصوصهم على أسلوب قصصي، وتوليفة من الشخصيات، وحوار مباشر، ولأنّ من الأفكار والأحاسيس ما يتعدّد نقله إلاّ بالتلميح، فقد احتلّ الرمز المكانة الأولى؛ ففتح (جبران) في (النبي) بالتعبير الشعري الرمزي، المليء بالأمثال والحكم، وحقّق (نعيمه) في (مرداد)، حرارة الأسلوب وعمق الإيمان وهاجس الإبداع، وكان أشبه بأمثولات جبران الرمزية.²

¹ - ربيعة أبي فاضل، جبران والتراث العربي، دمشق: دار المشرق العربي، 2004م.

² - المرجع نفسه، ص 52.

ويبدو أن الثلاثة قد تأثروا بالفكرة العامة لكتاب (هكذا تكلم زرادشت)، للفيلسوف الألماني (فريدريش فيلهيلم نيتشه)، وهي رواية فلسفية في أربعة أجزاء صدرت بين 1883م و 1885م، تُقدّم مقارنة للفضائل الإنسانية، النابعة من الانتخاب الطبيعي، القائم على القوّة والبقاء للأصلح، لذلك فهي تُقدّس فكرة الرجل الخارق؛ فلا يحتاج الانسان إلى شعور رقيق، لأنّ كلّ المبدعين يجب أن يكونوا أقوياء الإرادة.

وتعتمد نظرية التكرار الأبدي؛ فليس هناك وجود مطلق، إنّما وجود يتكوّن، ولا تحديد نهائي، إنّما عودة أبدية.¹

غير أنّه لا يمكن الزعم أن جبران أو الريحاني أو نعيمة قد سرقا فكر (نيتشه)، لكنهم أرادوا تقليد سرديته، لعرض خلاصة أفكارهم، لا فلسفتهم أو أيّ فكر فلسفي من أي نوع. وظهر اهتمامهم بالفرد، كرؤية مستقبلية أخلاقية، تتنبأ بالإنسان الأعلى المنحدر من الإنسان الحالي، يكون فيها قويّ التفكير والمبدأ، ذكيّ وشجاع ومغامر، يستطيع تحقيق أهدافه والارتفاع إلى مستوى الحب القدري:

" أمّا ما أثبتت للقدرة الحادثة أثرا ما في العقل فليس بجبري ويسمى كسبا."²

وإذ يُؤمن جبران ونعيمة، بفكرة الإنسان المتفوّق، ونظرية التكرار، إنّما يريدان من الإنسان أن يعرف خيره وشره، وتحريره - كما النيرفانا - من الأنا، حتى يصل إلى مرحلة من الفناء بالمبدأ الكلّي

¹ - فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ترجمة: محمد الناجي، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، 2006م.

² - منير البعلبكي، موسوعة المورد العربية، بيروت: دار العلم للملايين، ج 1، 1991م.

والخير الأسمى والسلام التام للروح، وهي مرحلة من العبادة في التعاليم البوذية، يصل فيها المرء إلى الاندماج الكلي في أشياء هذا الكون؛ فتخمد الرغبات والشهوات، وتصبح كل الأشياء على مسافة متساوية من الفرد.¹

وتقترب المسحة الصوفية الكونية التي اتسم بها (مرداد)، وصوّر فيها مذهبه الأدبي والفكري والصوفي والديني عن وحدة الوجود والإنسانية الشاملة، من تلك التي أحيها (جبران) في بلاد المهجر: "كلانا يُؤمن بأنّ وراء المحسوسات قوّة لا يطالها الحس، فهي الجوهر، والمحسوسات أعراض لا غير، ولن يدركها الإنسان إلّا إذا صفا من أدران المادة، وهو لا يصفو إلّا بالخبرة تتنوّع وتكثّر عمرا بعد عمر، وكلانا يتّخذ من الكلمة أداة للتعبير عن ذلك الإيمان، فيأبى عليه إيمانه وذوقه أن يجعل منها أداة للحذقة والتدجيل والتبرُّج."²

لكنّ ليس يصحّ بحال، الاعتقاد بتقليده للنمط الجبراني، فشأن بين النثر الصوفي ل (نعيمة)، ووضوحه في الكلام عن الإنسان المعدّ للألوهة، والشعر الغنائي ل (جبران)، وجنوحه إلى التوليد البياني والإيغال في المجاز، للكلام عن الإنسان الأرضي وكيف يحسن به أن يعيش.

وينظر (كتاب خالد)، الذي صدر قبل (النبي) باثنتي عشر سنة، هذين الكتابين، بحمله لرؤى فكرية واجتماعية مستقبلية.

¹ النيرفانا - الموسوعة العربية. تاريخ الاطلاع: 2005/5/11م.

<https://www.arab-ency.com>

² - ميخائيل نعيمة، جبران خليل جبران، ص 31.

ويأخذ (كتاب خالد) على غرار (مرداد) ، شكل السيرة الغيرية؛ فدوّن (شكيب) الأول، ودوّن (نروندا) الثاني، وكانا كتابًا في كتاب؛ حيث يقدّم راوي الكتاب الأول مخطوطا عشر عليه محفوظا في المكتبة الخديوية بمصر، ويقدم راوي الكتاب الثاني مخطوطا كان بانتظاره منذ أجيال.

والحقيقة التاريخية أنّ الكتاب الثلاثة محكومون بأنساق من التصوّر عن الإنسان والحياة والعالم، وبألوان ثقافية وفكرية ودينية تتقارب مناهلها الأصلية، لكنهم اختلفوا في تمثّلها، فكان لكل أسلوبه ومنهجه، في تصوير صراعه المتطوّر مع الحياة، والنظر بعين الناقد الساخر للكثير من مُتناقضاتها، وإبراز الحقائق عارية حيّة بوجهيها الخير والشرير.

ولسنا هنا للمفاضلة بين هذه الكتب، أيّها الأجل والأهم، فالتوق إلى فهم الكلمة، يفوق التوق إلى التلّهي بحروفها، وعندها سنجد راحة نفسية في قراءتها، فما اهتموا إليه هو ما أعطوه، والمعلّم والمتعلّم كليهما طفل يجبو على طريق المعرفة، يتدرّج في طريق نعمة الفهم المقدّس، لإكمال نقائصه، وربما تغيير أهدافه وحياته.

ويعرّف هؤلاء الأدباء كيف تنجدل خيوط العناصر وتتفاعل فيما بينها، لتتماهى في نسيج نصوصهم؛ فأدبهم الرومنسي والواقعي والصوفي والثوري والحداثي، يبقى من أسرار النكهة الخاصة التي تمنح أعمالهم فرادتها وخصوصيتها.

وبعدُ:

"فمن تعب من الفكر وقف حيث تعب (...) كل إنسان وقف حيث تعب، أو حيث وجد

راحته، جلس فأطرق ومات، أو مشى حيث ينتهي به فكره، إلى أن يتعب فيقف أيضا أو يموت."¹

1- محي الدين بن عربي، القطب والنقباء وعقلة المستوفز، تحقيق: يوسف سفر فطوم، دمشق: دار حوران للطباعة والنشر والخدمات الإعلامية، ط 1، 2003م، ص 82.

الختامة

واجه الأدباء المهجريون العالم المادي، بعالم أرواحهم المندفعة بالعواطف والأفكار، وأمکن لهم، بعد سنوات من التأمل، أن يُطلّوا بلون أدبي، حمل روحا تجديدية، ونزعة إصلاحية، ورؤية مستقبلية، هذه أبرز نتائجها:

أثبت هؤلاء المهجريون أنفسهم، كمشقفين واعين يمتلكون فكرا عميقا، يسعى إلى الخلاص من المادية الغربية الكاذبة، التي لا تختلف في شروها عن الروحانية الشرفية المزيفة، محطمين لنموذج فلسفي، لم يكن يوما ما نظاما كونيا، وإنما إدارة لمشكلات لها حدودها الثقافية والدينية.

سعت نصوصهم إلى تكامل معرفي، بين ثوابت الوحي، والخبرة الإنسانية، وتجريدها الفلسفية، وأضفوا عليها ملمحا رساليا، يتنبأ بأن البشر سيعيشون في عالم واحد، يجمع بين العقلانية الغربية والصوفية الشرقية.

أدرك الريحاني وجبران ونعيمة، أنّ الإنسان حيث كان مهضوم الحق، ولا سبيل إلى خلاصه إلا بالعودة إلى ذاته، وتحطيم التخوم التي يحاول أن يقيمها البعض أمامه، لأنّه أكبر من أن يُحد، وطبيعته أوسع من أن يحصرها وزن، ومواهبه أكثر من أن تحصى، وقواه أغزر من أن تنضب، لأن جذوره تمتد في الأزلية والأبدية واللانهاية.

توهجت رسالتهم النبوية، كبارقة أمل ومحبة؛ فالحياة لا تتلّهى بالتوافه، وإذا يجب أن لا نفقد الإيمان والشجاعة، ولن يذهب جهدُ جزافا، فمن البذور ما بقي دفيناً بالتراب، ولكنه سرعان ما يتمللم إلى الحياة، حالما تتوفر له الظروف المواتية.

كان لهم مشروعهم النهضوي؛ فإن سعى جبران ونعيمة إلى وحدة الوجود، فأمين الريحاني ليس استثناء، بجهده التأسيسي والتزامه ونضاله من أجل تفاهم جديد بين العرب والغرب الذي تمثله أمريكا، على أساس من المعرفة والاحترام المتبادلين، بهدف إحلال العدل والسلام في العالم. تجاوزت محاولتهم فهم الحياة، إلى تقديم دليل شامل للحياة، يستوفي أبعاده الإنسانية، ويتحدّثنا لفهمه ولو بعد حين؛ فالحياة هي أيضا القدرة على التطلّع إلى المستقبل دون خوف. تلوّنت الكتب الثلاثة بالطابع المثالي، وأنّ بطلها ينتمي إلى مكان ولا إلى أي مكان في وقت واحد؛ فهو ابن الطبيعة وابن الإنسان، وهو الإنسان الأعلى، والإنسان الكامل. آمنوا بالشعر، ورسالة الشاعر الذي يغني الكون والإنسان، وكيف يتحوّل إلى نبي، يُحقّق الحق، وينتصر للضعيف عبر العصور..

أمّا الله الذي تكلم عنه جبران ونعيمة، فهو المطلق الماورائي الذي يتطلّع إليه البطل، ويشعر أنّه مشدود إليه منجذب نحوه بقوة لا تقاوم، وإذن يمكن القول إن الإلهي حسب تصوّرهم نابع من الإنسان؛ من إحساس لديه بأنه يحمل في داخله حقيقة لا يمكنه سترها، ورسالة ينبغي عليه نشرها، وهو شعور المرسل أو الملهّم على الأقل؛ فلا يقتصر هذا الإحساس على الأنبياء، بل إنّ العباقرة الذين حققوا التقدّم للبشر هم أيضا من الملهّمين، وفي هذه المرحلة الأخيرة، يبلغ الانشطار مداه، ويتحوّل الألم إلى ألم روحي محض، لأن الوطن المتروك ليس من هذا العالم.

وإذا كان الجسد يعتاد الغربة، والفكر يعتاد السفر بين المناهل، بحيث يصير ابن الأرض بكاملها، فإن الروح تبقى مشدودة إلى أصلها، متعطشة دائما للعودة إلى مصدرها، وإذ بالهجرة لم تعد الانتقال الجسدي، وإنما أصبحت الروح هي من يسافر، وفي سفرها انسلاخ عن عالمها المؤلف وألم، ولكن الروح تعود، إن لم تكن قد تطهّرت بعد، وفي كل عودة تتقمّص جسدا جديدا، فتعرض عند كل عودة لانشطار جديد، ما يجعل ألمها ألما دائما..

هندسوا لمصائر الإنسانية، ولفّ أفكارهم ثورة على الأعراف المتوارثة؛ إذ لا رغبة لهم في الإصلاح، بل يريدون حلولا جذرية، فحالمهم كحال المزارعين، إلا أنهم ينثرون بذورهم في الأذهان، لعل بعضها يقع في عمق عتمة الدماغ، منتظرة ربيعاً أخضر.

تتردّد في كتبهم أصداء التألف الإنساني، والنزعة التسامحية المبنية على أساس وحدة الوجود، التي تُدين ذلك الأناني المعنيّ بخلاصه الفردي.

عملوا على إقامة منبر عالمي، يمدّ جسور التفاهم بين الأديان والثقافات، يتّخذ مفهومها مُطلقا خارج حدود الزمان والمكان، لينفذ إلى السر الإلهي، ويجد طريقه إلى الوجود الأصلي.

يتجلّى سبقهم الثقافي العالمي، في صوتهم الرسولي النوراني، الذي يتنبأ بعالم موحد؛ فالمعرفة التي ستحصل، سوف تنمو، ثم ما تنفك تكبر كل يوم، لتؤسّس لشريعة كونية، تمجّد المحبّة الإنسانية الشاملة.

كانت الحرية أكثر ما شغلهم، فتناولوها بصياغات مختلفة، وروح تقدمية مُفتحة مُصغية..
فلا عقيدة أُسمى من الحرية.

تخلَّصوا من التباسات الهوية، والانتماء، والصراع الأيديولوجي، وتطلَّعوا إلى المستقبل، فعاشوا
مغامرة الخروج الدائم، وأعلنوا أنفسهم الروح الهادي للجماعة المتلهَّفة مثلهم إلى الحديد، والمتغيَّر،
وإدارة الأزمات، وطففت على سطح الرؤى آلام الحيرة والقلق ورغبات التمرد، التي ستتابع بحثها في
لعبة اقتربت من المشرق بصفته استعارة للألم الإنساني.

قدَّسوا الطبيعة والفضيلة، وهاجموا الأفكار الفاسدة، ولم يكتبوا بكلمات آنية، بل عجنوها
بمعاني لا نهائية، وموسيقى تشدُّ الروح الإنساني.

رسَّخوا للتنوع كشكل من أشكال الوحدة، وللحقيقة السامية أنَّ الدين هو وعيٍ قدسيَّة
الحياة وعمق أسرار الوجود، وأنَّ البحث عن المقدَّس هو توكٍ داخلي للتكامل والسمو، كقيم المتميِّزة
ستسيم المرحلة المقبلة من تطوُّر الإنسانية، وتُكرِّسها إلى الأبد في قلب تاريخ الأدب.

مُعاضتهم للاستعمار، ومُحاربتهم للتطرُّف، ودعوتهم إلى العلمانية والمجتمع المدني، ونشر ثقافة
التسامح والمعرفة.

استرسل جبران ونعيمة فنيا في البحث عن الحقيقة النقيَّة، دون يأس أو قنوط، فعرضوا
لحلمهم المستقبلي، الإنساني النزعة، الذي كان بمثابة شريط عن رحلتهم مع المجهول، انبعث شعاعه
البعيد من أعماقهم، يُنادي بالتوحد المطلق في جوهر الوجود.

حفروا في عمق وجدانهم، وأعطوا الإنساني الروحي بلا حساب، لمن يُحسِن الأخذ.. وتبقى
سعادة المنتبئ أن يُؤكد المجد عبر الحلم.

فُدرتهم على استشراف حوادث مستقبلية، قد تبدو عند صدورها مجرد خيالات، ولكن تلك
الخيالات قد تتحوّل إلى واقع ملموس، وهنا يزول الفاصل بين الخيال الأدبي والواقع المعيش، فيما
يُشبه السفر إلى الأمام في الوقت المناسب.

ولا شك أن انتماءهم الأصيل إلى الثقافة العربية، وإطلاعهم الواسع على الثقافة العالمية، قد
خلق لديهم حسًّا نقديًّا، يُطالب العقل دائما بفك اللغز، بعيدًا عن عقد النقص والانبهار بكل ما
هو غربي.

هذا ما كتبه الريحاني وجبران ونعيمة منذ أعوام طويلة، وكأنتهم يكتبون لزماننا!
ورغم رحيلهم، فقد احتفظت رسالتهم بالصفاء الفكري والروحي، والمغزى الأخلاقي، وما
فتأت تمدُّ الأدب العربي بموضوعات جديدة.

لكنَّ تنبؤاتهم التي فسحت المجال لتطلُّعات مستقبلية، ما تزال تحتاج إلى مساعٍ جدِّية تفعلُّها،
كجزء من عملية نضالية جديدة دمّرت جدار الخوف.

وهي دعوة للعبّ من اغترابهم، لا تمثّل قلقهم والجلوس فوق أمانيتهم.. فكفى عبثًا بأحلامهم
وسطورهم! لا سيما عقب حادثة الحادي عشر من سبتمبر 2011م، وما تلاها من ثورات عربية
من أجل الحرية.

فإنَّ إصلاحاً في الصميم مُستوعِبٌ للتعدُّدية، يستهدف توحيد الأمة العالقة بين مآزق الالتزام بالأيديولوجيات المسيطرة، في الوقت الذي تُبنى فيه قيم الحرية والعدالة ذات الطبيعة الكونية الشمولية.

وعليه، فليس مصادفةً أن نقرأ المرحلة التاريخية الراهنة، في ضوء هذه الكتب؛ فالثقافة باكتشافها للتجربة الإنسانية، تكون وسيلةً بقاءٍ في لحظات الفوضى والحروب والأحلام والكوابيس، تصنع حرية القارئ، وتُهدد الطريق نحو حوار حقيقي، يتخطى الشعارات الرنانة والكليشيات النافرة، المحصورة في موقعها الجغرافي، وموروثها الديني أو الجنسي أو العرقي، مُعلنة انسحابها، لتكون دون أن تدري الوجه الآخر لتحلُّ المشروع الأيديولوجي.

فهرس المصادر والمراجع

المصادر

أ- المصادر العربية:

1. القرآن الكريم

2. أدونيس، أغاني مهيار الدمشقي، بيروت: دار الآداب، ط 01، 1988م.
3. أحمد خليل، خليل. موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين، ط 01، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2001م.
4. أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرُّؤَيْفِيُّ الإفريقي، محمد بن مكرم بن علي. لسان العرب. بيروت: دارصادر، 2003م.
5. أبو ماضي، إيليا. ديوان إيليا أبي ماضي، بيروت: دار العودة. دت.
6. بن الجهم، علي. ديوان علي بن الجهم، تحقيق: خليل مردم بك. دمشق: مطبوعات الجمع العلمي العربي، 1949م.
7. بن عربي، محي الدين. القطب والنقباء وعقلة المستوفز، تحقيق: يوسف سفر فطوم. دمشق: دار حوران للطباعة والنشر والخدمات الإعلامية، ط 01، 2003م.
8. بريك هندي، دمشق: دار مؤسسة علاء الدين للطباعة والنشر، ط 01، 2004م. بريك هندي، دمشق: دار مؤسسة علاء الدين للطباعة والنشر، ط 01، 2004م.
9. بريك هندي، دمشق: دار مؤسسة علاء الدين للطباعة والنشر، ط 01، 2004م.
10. البعلبكي، منير. موسوعة المورد العربية، بيروت: دار العلم للملايين، 1991م، ج 01.
11. الحلاج، أبو المغيث الحسين بن منصور. الطواسين. تحقيق: لويس ماسنيون، باريس 1913م.
12. الحكمي الدمشقي، الحسن بن هانئ (أبو نواس). ديوان أبي نواس. تحقيق: عمر فاروق الطباع، دبي: دار الأرقم للنشر والتوزيع، 1998م.
13. الحلاج، ديوان الحلاج، ترجمة، تحقيق: كامل مصطفى الشبيبي - بواص نوياليسوعي، بيروت: منشورات الجمل للنشر والتوزيع، ط 03، 2007م.
14. الجر، عقل. ديوان عقل الجر. بيروت: دار الثقافة. دت.
15. خليل جبران، جبران. المجنون، ترجمة، تحقيق: أنطونيوس بشير، القاهرة: دار العرب للبيستاني، ط 01، 1990م.

16. خليل جبران، جبران. المجنون، تقديم: د. صلاح فضل، تحقيق وتعليق: د. عبد المرضي زكريا خالد، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط 02، 2016م.
17. خليل جبران، جبران. التائه، تحقيق، ترجمة: نازك سابا يارد، بيروت: مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع، ط 01، 1992م.
18. خليل جبران، جبران. نصوص خارج المجموعة، عمان، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، ط 01، 1993م.
19. خليل جبران، جبران. المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران العربية، تقديم: د. جميل جبر، بيروت: دار الجيل، 1994م.
20. خليل جبران، جبران. المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: الرسائل. تقديم: أنطوان محسن القوال، بيروت: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، 1994م.
21. النبي. ترجمة: أنطونيوس بشير، تقديم وتعريف: جميل جبر، ضبط وشرح ومداخلة: سامي ج. الخوري، بيروت: دار صادر، ط 04، 1997م.
22. خليل جبران، جبران. العواصف، القاهرة: دار العربي للبيستاني، 1997م.
23. خليل جبران، جبران. رمل وزيد، بيروت: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، ط 01، 1998م.
24. خليل جبران، جبران. يسوع ابن الإنسان، ترجمة: ثروت عكاشة، ط 06، القاهرة: دار الشروق، 1999م.
25. خليل جبران، جبران. المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران المعرّبة عن الإنجليزية، تعريب: أنطونيوس بشير، تقديم: نزار بريك هندي، دمشق: دار مؤسسة علاء الدين للطباعة والنشر، ط 01، 2004م.
26. خليل جبران، جبران. النبي. ترجمة موازية للنصّين الإنجليزي والعربي: ثروت عكاشة، القاهرة: دار الشروق، ط 09، 2000م.
27. خليل جبران، جبران. النبي. ترجمة: يوسف الخال. بيروت: دار النهار، 2000م.
28. خليل جبران، جبران. حدائق النبي، ترجمة وتحقيق: سامي ج. الخوري، ط 01، بيروت: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، 2000م. د ت.

29. خليل جبران، جبران. دمة وابتسامة، ترجمة وتحقيق: نازك سابا يارد، بيروت: مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع، ط 02، 2003م.
30. خليل جبران، جبران. السابق، تحقيق، ترجمة: نازك سابا يارد، بيروت: مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع، ط 01، 2003م.
31. خليل جبران، جبران. البدائع والطرائف، تحقيق، ترجمة: نازك سابا يارد، بيروت: مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع، ط 01، 2003م.
32. خليل جبران، جبران. الأجنحة المتكسرة، بيروت: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، طبعة 01، 2005م.
33. خليل جبران، جبران. المواكب، بيروت: شركة الأعلمي للطبعات، ط 01، 2006م.
34. خليل جبران، جبران. النبي، ترجمة: ميخائيل نعيمة، دراسة وتحليل: د. نازك سابا يارد، بيروت: نوفل، 2013م.
35. خليل جبران، جبران. المؤلفات الإنجليزية الكاملة لجبران خليل جبران، ترجمة، تحقيق: نديم نعيمة، مج 02، ص 633، بيروت: دار نوفل، 2015م.
36. الخوري، رشيد سليم. الأعاصير، بيروت: دار الآداب، 1962م.
37. الخوري، رشيد سليم. ديوان القروي، بيروت: دار الحرية للطباعة والنشر، 1973م.
38. الخوري، رشيد سليم. الأعمال الثرية الكاملة للشاعر القروي، تحقيق: الدكتور محمد قاسم الواسع، طرابلس: دار جرّوس برس، 1996م.
39. الرومي، جلال الدين. المثنوي. ترجمة: إبراهيم الدسوقي شتا، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2002م.
40. الريحاني، أمين فارس. الريحانيّات. ج 01. مج 07. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1982م.
41. الريحاني، أمين. هتاف الأودية. بيروت: دار ريحاني، 1955م.
42. الريحاني، أمين. كتاب خالد. ترجمة: أسعد رزوق، بيروت: المؤسسة العربية للطباعة والنشر. 2011م.
43. الريحاني، أمين. الريحانيات، المجموعة العربية الكاملة 07، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 01، 1982م.

44. الريحاني، أمين. وصيتي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1982م.
45. الريحاني، أمين. الريحانيات. بيروت: دار الجيل، 1987م.
46. الريحاني، أمين. الريحانيات. بيروت: دار الجيل، 1987م.
47. الريحاني، أمين. أنتم الشعراء، بيروت: مكتبة الكشاف، دت.
48. الريحاني، أمين. المكاري والكاهن، بيروت، دار الريحاني للطباعة والنشر، ط 03، 1969م.
49. الريحاني، أمين. تاريخ نجد الحديث، بيروت: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، ط 01، 2000م.
50. الريحاني، أمين. المحالفة الثلاثية في المملكة الحيوانية، القاهرة: وكالة الصحافة العربية، 2013م.
51. شيا، محمد شفيق. فلسفة ميخائيل نعيمة، ط 03، بيروت: مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع، 1987م.
52. صليبا، جميل. المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، بيروت: دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، الشركة العالمية للكتاب، 1982م.
53. الأصبهاني، أبي الفرج. أدب الغرباء. بيروت: دار الكتاب الجديد، 1972م، ص 60.
54. عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء. البداية والنهاية، ج 02، الرياض: دار عالم الكتب، 2003م.
55. عبد الملك بن هشام بن أيوب، أبو محمد. السيرة النبوية، ترجمة: عادل أحمد عبد الموجود، تحقيق: علي محمد معوض، ج 01، الرياض: مكتبة العبيكان، 2011م.
56. علاء الدين، بكري. الموسوعة العربية، دمشق: هيئة الموسوعة العربية. دت.
57. الغزالي، أبو حامد. مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب، تحقيق: محمد رشيد القباني، بيروت: دار إحياء العلوم، 1987م.
58. فيودور، دوستويفسكي. الأخوة كارامازوف، الأعمال الأدبية الكاملة، المجلد 16، ترجمة، سامي الدروبي، بيروت: دار ابن رشد، 1985م.
59. محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر. تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 02، القاهرة: دار المعارف، 1967م.
60. عريضة، نسيب. ديوان الأرواح الحائرة، عمان: دار الغزو، 1992م.

61. القزويني، أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود. عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات. تحقيق: فاروق سعد، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1973م.
62. القيس، امرؤ. ديوان امرئ القيس. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ط 04، 1984م.
63. محمد بن عربي، محيي الدين. الفتوحات المكية، بيروت: دار صادر، دت.
64. المعري، أبو العلاء. الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ، تحقيق: محمود حسن زناقي، القاهرة: مطبعة حجازي، ط 1، 1935م.
65. المعري، أبو العلاء، الفصول والغايات. تقديم: طه حسين. تحقيق: محمود حسن زناقي. القاهرة: دار المعارف. دت.
66. نعيمة، ميخائيل. الغريال، بيروت: دار صادر، 1960م.
67. نعيمة، ميخائيل. مرداد: منارة وميناء، بيروت: دار صادر، 1966م.
68. نعيمة، ميخائيل. المجموعة الكاملة، ط 02، بيروت، دار العلم للملايين، 1979م.
69. نعيمة، ميخائيل. فيمهبّ الريح، بيروت: مؤسسة نوفل، ط 09، 2004م.
70. نعيمة، ميخائيل. همس الجفون، بيروت: مؤسسة نوفل، ط 06، 2004م.
71. نعيمة، ميخائيل. همس الجفون، بيروت: مؤسسة نوفل، ط 06، 2004م.
72. نعيمة، ميخائيل. صوت العالم، ط 10، بيروت: مؤسسة نوفل، 2014م.
73. نعيمة، ميخائيل. أكابر، ط 19، بيروت: مؤسسة نوفل، 2015م.
74. الأندلسي، ابن عبد ربه. العقد الفريد، دار الكتب العلمية، ج 07، بيروت، 1982م.
75. النفري، محمد بن عبد الجبار بن الحسن، المواقف والمخاطبات، تحقيق: ارثراربري، تقديم وتعليق: عبد القادر محمود، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى. دت.
76. تنبؤات ميشيل نوستراداموس. القاهرة: مكتبة مدبولي. د ت.

ب. - المصادر الأجنبية:

1. AmeenRihani. The book of Khalid. New York :Dodd Mead and company,1911.
2. AmeenRihani. Chant of Mystics and other Poems. Beirut: TheRihani House, 1970.
3. Arthur John Arberry RumiJalaluddine. Tales from Masnavi. Richmond:Curzon Press Ltd .1993.
4. George Henry Lowes. Life of Goethe. Montana:Kessinger publishing, 2003.

المراجع

أ- المراجع العربية:

1. أيوب، رشيد. أغاني الدرويش، بيروت: دار صادر، 1959م.
2. أمين العالم، محمود. و أنيس، عبد العظيم. في الثقافة المصرية، القاهرة: دار الفكر الجديد، 1955م.
3. أبي فاضل، ربيعة. جبران والتراث العربي. دمشق: دار المشرق العربي، 2004م.
4. أحمد الثعلبي، قصص الأنبياء المسمى (العرائس)، بيروت: دار الرشد الحديثة، دت.
5. إليف شافاق، قواعد العشق الأربعون. ترجمة: محمد درويش، بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، 2013م.
6. بشروئي، سهيل بديع. جبران خليل جبران - مختارات ودراسات (مهرجان جبران العالمي من 23 إلى 30 ماي 1970م)، بيروت: دار المشرق، 1970م.
7. بدوي، سليم. مقدمة في فكر جبران السياسي، بيروت: منشورات ليبانيا، ط 01، 1983م.
8. برغسون، هنري. منبع الأخلاق والدين، ترجمة، تحقيق: سامي الدروبي وعبد الله عبد الدائم، بيروت: دار العلم للملايين، ط 02، 1984م.
9. بن حبيب النيسابوري، أبو القاسم الحسن. عقلاء المجانين، بيروت: دار النفائس، 1987م.
10. بشروئي، سهيل بديع. عباس أفندي. بيروت: منشورات الجمل، 2010م.
11. بشروئي، سهيل بديع. الأدب اللبناني بالإنجليزية ورسالة القرن العشرين (كتاب خالد أمين الريحاني مثالا)، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2000م.
12. الثعلبي، أحمد. قصص الأنبياء المسمى (العرائس)، بيروت: دار الرشد الحديثة. دت.
13. الجزيري، عبد الرحمن. الفقه على المذاهب الأربعة، بيروت: دار الكتب العلمية، دت.
14. جبر، جميل. مي وجبران. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، 1950م.
15. خالد، غستان. جبران الفيلسوف. بيروت: مؤسسة نوفل للطباعة والنشر، ط 02، 1983م.
16. الخوري، يوحنا. مع جبران في عالم الأرواح، صيدا: دير المخلص (المطبعة المخلصية)، 1959م.
17. الخطيب، حسام. ملامح في الأدب والثقافة واللغة، دمشق: وزارة الثقافة، 1977م.

18. الخطيب، حسام. جوانب من الأدب والنقد في الغرب. الطبعة الرابعة، دمشق: دار الكتاب، 1990م/1991م.
19. داية، جان. عقيدة جبران، لندن: دار سوراquia للنشر، ط 01، 1988م.
20. ديب، وديع: الشعر العربي في المهجر الأميركي، بيروت: دار العلم للملايين، ط 02، 1993م.
21. الركابي، جودت. وإسماعيل، عبد الكريم. الوافي في الأدب العربي الحديث، دمشق: مكتبة أطلس، 1963م/1964م.
22. شكيب أنصاري، محمود. تطور الأدب العربي المعاصر، أهواز: انتشارات دانشگاه شهيد جمران، 1984م.
23. الشعراي، عبد الوهاب. لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، ترجمة، تحقيق: خليل منصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 01، 1997م.
24. صيدح، جورج. أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، بيروت: دار العلم للملايين، ط 03، 1964م.
25. علي حروفش، محمد. كتاب عرب باللغة الإنجليزية. طرطوس، 2012م.
26. الغزالي، أبو حامد. مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب، تحقيق محمد رشيد القباني، بيروت: دار إحياء العلوم، 1987م.
27. القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، تحقيق: فاروق سعد، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1973م.
28. القول، أنطوان. المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران (نصوص خارج المجموعة)، بيروت: دار الجيل، ط 1، 1994م.
29. فهدود كعدي، كعدي. ميخائيل نعيمة بين قارئيه وعارفيه، بيروت: دن، 1971م.
30. فهدود كعدي، كعدي. جبران خليل جبران في الميزان. بيروت: منشورات كعدي، ط 01، 1992م.
31. الفاخوري، حنا. تاريخ الأدب العربي، بيروت: مكتبة البولسية، 1987م.
32. قمير، يوحنا. جبران في الميزان، بيروت: دار المشرق، ط 01، 1992م.
33. غصن، أمينة. أمين الريحاني في العبء الرسولي، بيروت: دار الفارابي، 2011م.

34. مبروك، علي. النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ، محاولة في إعادة بناء العقائد، بيروت: دار التنوير، 1993م.
35. منير، وليد. ميخائيل نعيمة ناقداً... القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م.
36. محمود أبو عيد، بنان، جبران خليل جبران أديب المهجر الأكبر، عمان: دار الاسراء والوضاح، 2005م.
37. محمود أبو عيد، بنان. جبران خليل جبران أديب المهجر الأكبر، عمان: دار الاسراء والوضاح، 2005م.
38. نجار، الكسندر. خليل جبران مؤلف النبي. ترجمة: محمد الدنيا. باريس: بيغماليون، 2002م.
39. نعيمة، نعيم. الحداثة والتراث. بيروت: مؤسسة نوفل، 1998م.
40. نعيمة، ميخائيل. جبران خليل جبران، بيروت: مؤسّسة نوفل، ط 06، 1971م.
41. الناعوري، عيسى. أدب المهجر. القاهرة: دار المعارف، 1967م.
42. النجار، محمد علي. وآخرون. معجم الوسيط، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، طبعة 04، 2005م.
43. نعيمة، نديم. المؤلفات الإنجليزية الكاملة لجبران خليل جبران معرّبة، المجلد الثاني، ص 633، بيروت: دار نوفل، 2015م.
44. الهواري، صلاح الدين. شعراء المهجر الشمالي، بيروت: دار ومكتبة الهلال، 2010م.
45. ووترفيلد، روبن. جبران خليل جبران: نبي عصره. ترجمة: ميشيل خوري، دمشق: دار ورد، 2003م.
46. يونغ، بريارة. هذا الرجل من لبنان، ترجمة، تحقيق: سعيد عفيف بابا، بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط 01، 1905م.
47. روسيا والمشرق العربي لقاء الثقافتين. أعمال الندوة العلمية التي عقدت في رحاب الأكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة بين 04 و 08 مارس 1999م، طرابلس: دار نشر جروس برس، 1999م.

ب- المراجع الأجنبية:

1/مراجع باللغة الفرنسية:

1. Edmond Doutte, Magie et religion dans l'Afrique du nord, Alger, 1908, Maisonneuve Geuthner, Paris, 1984.
2. Emmanuel Kant, l'Anthropologie du point de vue pragmatique, Librairie Ladrangue, Paris, 1863.
3. H. Bergson, Les deux sources de la morale et de la religion 88 .ème. Ed. - P.U.F. - 1958.

2/مراجع باللغة الإنجليزية:

1. Jean Gibran, Khalil Gibran: His Life and World, New York, Avenel Books, 1981.
2. Morgan Robertson, The wreck of the Titan or Futility. The Quinn & Boden Co. Press Rahway, N.J.1898
3. Virginia Hilu, Beloved Prophet: The love letters of Kahlil Gibran and Mary Haskell and her Private Journal, New York: Alfred A. Knopf, 1972.

ج-المجلات والجرائد:

1/ المجلات:

1. زيتوني، لطيف. أدباء المهجر وأزمة الانشطار الروحي. كتاب العربي (كتاب ريع سنوي يصدر كملحق لمجلة العربي)، ع 60. الكويت: وزارة الإعلام، أبريل/2005م.
2. زيتوني، لطيف. ملامح من الرواية اللبنانية. مجلة العربي. مجلة شهرية ثقافية مصوّرة. الكويت: وزارة الإعلام. ع 556، مارس/2005م.
3. العيد، يمى. أدب جبران خليل جبران بين الوعي والواقع، مجلة الطريق، ع 06، بيروت: 1970م.
4. كرامة، نبيل. جبران والقومية العربية، مجلة الفنون، ع 08، بيروت: 1913م.
5. الكك، فكتور. جبران والريحاني جهد رائع.. ولكنه ضائع. مجلة العربي. ع 570، الكويت: وزارة الإعلام، ماي 2006م.

2/الجرائد:

1. حبش، اسكندر. كثيرون يكتبون خارج بلادهم، فهل يصح الحديث عن أدب مهجري جديد؟ جريدة السفير. الصادرة بتاريخ 15/05/2006م.
2. جهاد فاضل، ميخائيل نعيمة.. ربع قرن على الرحيل. جريدة القبس اللبنانية. ع 14110. الصادرة بتاريخ 10/09/2012م.
3. سلوم، هدى. ضوء على محاضرة مع ميخائيل نعيمة ونلسون مانديلا للمحامي أحمد عبد الله ضمن فعاليات مهرجان عين البيضا الثقافي الحادي عشر تحت شعار «النصر لسورية».

4. يومية الوحدة السياسية، دمشق: مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر والتوزيع،
الصادرة بتاريخ الخميس 13 ديسمبر 2012م.
5. علي حسن، ديب. الحركة الأدبية العربية في أمريكا اللاتينية. جريدة الثورة. الصادرة بتاريخ
الجمعة 19 أوت 2005م.
6. عساف، زينب. أدب المهجر في الأمس واليوم. جريدة النهار. الصادرة بتاريخ السبت 29
سبتمبر 2006م.
7. مسعود، ميخائيل. حكايتي مع ميخائيل نعيمة. جريدة النهار، بيروت، العدد الصادرة بتاريخ
1984/09/11م.

ح- المواقع الإلكترونية:

1. أحمد قنديل - الأديب ميخائيل نعيمة. منتديات المعهد العربي للبحوث والدراسات.
2010/09/30م.

www.airssforum.com

2. أسعد أبو خليل - جبران خليل جبران: أساطير التفوق اللبناني. 2010/10/16م.

www.al-akhbar.com

3. جمال بن حويرب المهيري - كتاب (النبي) لجبران.. أدب عالمي أم هرطقة؟ ماي 2012م.

www.albayan.ae/opinions

4. ديب شاهين - قراءة أولى في الأدب المهجري. 2006/05/22م.

www.syrianstory.com

5. رؤوف قبيسي - جبران خليل جبران لنديم نعيمة: يكفي العبث بأحلامه وسطوره!
2015/04/20م.

newspaper.annahar.com

6. زهيدة درويش جبور - أمين ألبرت الريحاني شاعرا وناقدا ومثقفا شموليا. 2014/05/24م.

www.alhayat.com

7. سهيل بديع بشروئي - نتذكر جبران ليحيا لبنان ونتذكر لبنان ليحيا جبران (الذكرى السنوية
لغياب جبران خليل جبران ومرور ثلاثة أرباع القرن 75 عاما على وفاته).
2006/04/12م.

www.diwanalarab.com

8. عبده وازن، - سهيل بشروئي رسّخ حوار الأديان والنقد الأدبي المهجري. 2015/09/05م.

www.alhayat.com

9. نبيل خليل - أسباب المتغيرات التي طرأت على أدب المهجر في أمريكا.
2017/11/16م.

www.nabilkhalil.org

10. كوليت مرشليان - جبران خليل جبران رائد التمرد والثورة وقصيدة النثر العربية في الذكرى
125 لولادته. 2008/04/22م.

www.almustaqbal.com

11. لطفي حداد - الأدب العربي المهجري المعاصر. 2009/01/20م.

www.syrianstory.com

12. نعيم نعيمة - الأدب المهجري تأثره بالغرب وتأثيره فيه. 2006/05/27م.

www.syrianstory.com

13. نجاة فخري مرسي - حول نشأة الأدب العربي المهجري في أستراليا. 2006/05/22م.

www.syrianstory.com

14. بوابة: الزرادشتية - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. 2016/10/16م

<https://ar.wikipedia.org>

15. النيرفانا - الموسوعة العربية. 2005/05/11م.

www.arab-ency.com

ملخصات للبحث باللغة العربية
واللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية

ملخص للبحث باللغة العربية

خرج الأدب المهجري من رجم المعاناة وجمر الغربة وكَدَح المعرفة، مُبَشِّرًا بعصر الخصوبة، وبقيام طائر العنقاء من رماده صحيحا معافي؛ فحمل معول الهدم على سفاسف الماضي، مُعلِّيا صرحا جديدا من الأدب الخلاق، المتميز بصدق الشعور، ونزعة التجديد، والغيرة على حاضر الأمة ومستقبلها، متزوِّدا من الثقافة العربية الأصيلة، والغربة البنّاءة، اللتان وجدتا صداهما في عقولهم وضمايرهم وإنتاجهم.

فكان فتحا جديدا؛ فتح العيون على مباحج الحياة، وروعة المغامرة، وإغراء الحرية، بعد أن ظلَّ أدبنا أحقابا طويلة نائما في مغارة التاريخ، مُغمضا عينيه عن مُستجدات الحياة. ونحن إذ نرصد القيم الإنسانية والجمالية والشعورية، التي تضمَّنَّها هذا الأدب، لحقيق بنا نحن وورثة هذا التراث الأدبي الضخم، أن نتمثِّله كما يتمثَّل الجسم الغذاء، خاصة ونحن نعيش في عصر تميَّز بسيطرة الفكر العبثي السلفي أو العدمي التغريبي، وكأنَّ صرخة المهجريين في النصف الأول من القرن الماضي قد ذهبت أدراج الرياح.

وما أحرانا اليوم أن نعود إلى تلك القيم الإنسانية التي صدع بها الأدب المهجري، وعاش لأجلها؛ فمجتمعنا العربي الذي يحمل في ثناياه اختلافات مذهبية، أضف إلى ذلك انفتاح العالم وتطوُّر المعلوماتية، وسيطرة المؤسسات الاقتصادية العابرة للقارات، بمنتوجاتها الغنَّة والسمنية، وما نحن

في حاجة إليه وما نحن في غنى عنه، أدّت في النهاية إلى تسطيح الفكر والشعور، والجري وراء بريق الألفاظ دون أن نكلّف أنفسنا عناء البحث عن المضمون، فعدنا إلى الدجل على حساب العقلانية، وإلى الطائفية على حساب التسامح الديني، وإلى التقليد على حساب الاجتهاد، وإلى العبودية على حساب الحرية، وإلى الشكلائية على حساب المضمون.

ولعل أول قيمة من قيم الأدب المهجري، كانت التسامح الديني، وقد عبّر أدباء المهجر - وجلّهم من المسيحيين- عن هذا المعنى أبلغ تعبير، وتميّزوا به في حياتهم وفكرهم وكتاباتهم، فاعتبروا الاختلاف المذهبي في الشرق مصدر غنى، ونبذوا العصبية الطائفية على أساس اختلاف الدين؛ فزاهم يذكرون الإنجيل والقرآن الكريم، ومحمدا -صلى الله عليه وسلم- ويسوع، والمعبد والجامع، والهيكل والمحراب، في تألف ومودّة، مُعتقدين بوحدة الأديان؛ لأنّ جذور الأديان ترجع إلى طريق وحيد، ينتهي عند إله واحد، ومهما تغيّرت العناوين، ومهما اختلفت الأسماء والظواهر، فالبشر من طينة واحدة تتّصل بالألوهية المقدّسة.

فيما تأسّل أدبهم بنزعة إنسانية مكينة، طفحت بالمعاني الإنسانية؛ النابذة للحرب والظلم، الداعية إلى الصفح والعدالة الاجتماعية، وامتدّ نقدهم إلى المجتمع الأمريكي ذاته، أين تُنتهك كرامة السود، في بلد تغنى بالحرية وأخذ لها النصب.

وأما الحرية، فهي الغاية والمبتغى من الوجود الإنساني، والتي يؤدّي غيابها إلى عبثية الوجود، بل عدميته، وهل الإنسان إلاّ ذلك الكائن الذي يتميّز عن غيره من الموجودات بالنزوع إلى الحرية والوعي بها؟

لتغدو الحرية قيمة إنسانية، تستحق أن يضحّي لأجلها الإنسان، فلدجأوا إلى العالم الجديد، سعيا من أجلها، وهروبا من أغلال الاستبداد وقيود الحاجة، التي تُحيل الكائن البشري إلى ورقة ذاوية، تتقاذفها الرياح ذات اليمين وذات الشمال، بعد أن كان بُرعا يبيشر بالإثمار والإيناع. وإذ يتأمل الأديب المهجري من موقعه الجديد، في واقع عالمه العربي، يُجزئه غياب الحرية، فنراه يشور في أدبه، عسى أن ينتفض الشعب في سبيل نيل حريته..

ولأنّه يتجاوز بفهمه وإدراكه حقائق الوجود المألوف والعاوي، فهو زلزال يهدم يقينيات القارئ، وإعصار يجتث جذور المعاني الهرمة في عقله ونفسه.

ولعلّه يبالغ أحيانا إلى درجة بث الفوضى العقلية والحياتية، حين يحمل معول الهدم على البنى الاجتماعية والتاريخية، غير عابئ بالمعطيات الأنثروبولوجية والسوسولوجية، غير أن استماتته في الدفاع عن حرية الانسان المعيّبة أحقابا، وحرصه على غد عربي مُشرق، ومودّة إنسانية متسامحة، مُستمسكة بالسلم، مُعتصمة بالحرية، عاشقة للفن، متذوّقة للجمال، آخذة بالعلم سبيلا للقوّة والرفاه، هي ما يشفع له ما شاع عن بعضهم من تمرد مُضللّ بلغ حدّ الانحراف..

ولم يُغفل الأدب المهجري، وهو الأدب الباحث عن دروب الحرية والكادح في سبيل كمال الإنسان، نزعة التأمل، تلك النزعة التي تنتهي بصاحبها إلى رمي القشور والاكتفاء باللباب، والتي لا يقنع عقلها الفلسفي الثاقب ونفسها البَحَّانة الشكَّاقة، بالألفاظ وأكثرها بَرَّاق ورصيدها من الحقيقة الإنسانية قليل.

وحوِّم حول مفهوم السعادة ونسبيتها، فركَّز على الجوهر في الوجود الإنساني، وأن الرفاه المادي ليس إلا وسيلة يُفترض فيها أن تزيد من سعادة الإنسانية ككل، لا أن تتحوَّل إلى غاية وامتياز للبعض دون الآخر، ومظهرها من مظاهر الطبقيَّة والاستغلال.

وامتد تحويمه إلى الميتافيزيقا؛ فوقف أمام الموت وقفة الخاشع، لمواجهة هذا المصير الحتمي، لا على أنه عدمية، بل رحلة إلى عالم آخر، وليس شرطا أن تكون هذه الرحلة متَّفقة مع المفاهيم الدينية، بل بعضها مُستمد من الفلسفة الإشراقية والهندية، فقال بوحدة الوجود والفيض وتناسخ الأرواح، وكلُّها بهدف تفسير الوجود الإنساني، وبث السكينة في النفس الإنسانية القلقة من مواجهة الموت.

ولم تكن لغته لغة القواميس، بل لغة بسيطة، وجد فيها الإيجاء والجمال، وابتعد بها عن التكلُّف والرياء والمديح الزائف، مُلتزما، بغير رعونة الأيديولوجيا وخطابية المنابر وحماسة الصالونات، قضية النهضة والكرامة العربية، والإخلاص للأمة، والوفاء لماضيها العريق.

فحسبهم ذلك، وحسبنا أن نتمثّل هذه القيم في حياتنا، ونعْرِسَها في أجيالنا الشابة في وطننا العربي، متجاوزين قيود العصبية الدينية والمذهبية، ساعين إلى نَحْضة أوطاننا، وإلى إمداد العالم بالقيم الإنسانية الخالدة، التي هي لباب الحياة، وهي أيضا لباب الوجود الإنساني.



Résumé de la thèse

La littérature mahjarie est sorti de l'utérus de la souffrance, et les braises de l'aliénation, et de labeur de la connaissance, promettant ère de la fertilité, et le fait qu'un phénix de ses cendres vraie santé; Il portait ramasser la démolition du non-sens passé, révélé un nouveau monument de la littérature, créatif, remarquable sentiment honnêtement, et la tendance du renouveau, et la jalousie de la présente nation et son avenir, garanti de la culture arabe authentique, et occidentale constructive, qui ont été trouvés écho dans leur esprit et leur conscience et leur production.

C'était une nouvelle percée; yeux ouverts aux plaisirs de la vie, et la splendeur de l'aventure, et l'attrait de la liberté, après avoir été longtemps la littérature endormie dans l'histoire de la grotte, fermant les yeux sur l'évolution de la vie.



Comme nous surveillons les valeurs humanitaires et esthétiques et émotionnels, contenus dans cette littérature, et nous sommes les héritiers de ce grand héritage littéraire, nous devons métaboliser tout comme la nourriture, d'autant plus que nous vivons dans une époque marquée par le contrôle des salafistes absurde ou nihiliste pensée occidental, comme si le cri des mahjarist dans la première moitié de Le siècle dernier est soufflé au vent.

Et ça sera mieux pour nous de revenir à ces valeurs humaines, appelé par la littérature mahjarie, et qu' il a vécu pour cela; surtout que notre société Arabe qu' elle intègre les différences doctrinales, ajouter a cela l'ouverture du monde et le développement de l'informatique, et le contrôle des institutions économiques transcontinentales, avec ses produits grossiers et toxiques, et ce dont nous avons besoin et ce dont nous n'avons pas besoin, ont finalement conduit à



l'aplatissement de la pensée et du sentiment, et nous sommes revenus à la dichotomie au détriment de la rationalité, du sectarisme aux dépens de la tolérance religieuse, de l'imitation au détriment de la diligence, de l'esclavage au détriment de la liberté et de la formalité au détriment du contenu.

Peut-être la première valeur de la littérature mahjarie, était la tolérance religieuse, et à travers les écrivains mahjarist – dont la plupart sont des chrétiens – se sont les plus expressif, et se caractérisé dans leurs vies et pensées et écrits, ils ont considéré la différence sectaire à l'est comme un source de richesse, et a renoncé au nerf sectaire sur la base de la religion différente; Nous les voyons rappeler l'Évangile et le Saint Coran, et Muhammad-la paix soit sur lui-et Jésus, le temple et la mosquée, et le temple et la niche, dans l'harmonie et l'affection, croyons à l'unité des religions; parce que les racines des religions sont dues à un seul chemin, qui se termine par un



seul dieu, et quels que soient les titres, aussi différents que soient les noms et les phénomènes, les êtres humains sont d'une nature divinité divine.

Et comme leur littérature était profondément enracinée dans un instinct humain, ils ont déni la guerre et d'injustice, appelant au pardon et à la justice sociale, et étendait ses critiques à la société américaine elle-même, où la dignité des noirs, dans un pays qui enrichit la liberté.

Quant à la liberté, est le but de l'existence humaine, dont l'absence conduit à l'absurdité de l'existence, même à son absence, et que l'être humain n'est que ceux distingue des autres créatures par la tendance à la liberté, Et avoir Conscience de cela?

La liberté devient une valeur humaine, digne du sacrifice de l'humain, alors ils sont retournés au Nouveau Monde, pour la poursuite de celle-ci, et l'évasion des chaînes de la tyrannie et



des restrictions du besoin, qui transmet l'être humain à un papier, renvoyé par le vent à gauche et à droite, après qu'il était un Bourgeois hérauts de fruits et de floraison.

Médité sur sa nouvelle position, dans la réalité de son monde arabe, il est attristé par l'absence de liberté, et pour cela ont le voit révoltant dans sa littérature, que le peuple puisse se lever pour obtenir sa liberté.

Et parce que sa compréhension et sa réalisation transcende des faits de l'existence familière et ordinaire, il est un tremblement de terre qui détruit les rationalités du lecteur, et un ouragan qui enraciné les vieux significations dans son esprit et lui-même.

Il est parfois exagéré au niveau du désordre mental et de la vie, quand il porte une charge de démolition sur les structures sociales et historiques, non indistinctement aux données anthropologiques et sociologiques, mais son endurance à



défendre la liberté de l'homme absent, et son enthousiasme pour un brillant arabe demain, et une amitié humaine tolérante, gardant la paix, la liberté, amoureux de l'art, connaisseur de la beauté, prenant la science comme un moyen de force et de bien-être, est ce qui intercède ce qui est commun à certains d'entre eux d'une rébellion malavisée qui a atteint le niveau de déviation..

La littérature mahjarie, et elle est La littérature qui cherche les chemins de la liberté et de l'industriosité pour la perfection humaine, n'a pas négligez la tendance de la méditation, cette tendance qui se termine avec son propriétaire par jeter les croûtes et se contenter des noyaux, dont l'esprit philosophique persuasif et les chercheurs sceptiques ne convainquent pas des mots ou la plupart brillant et l'équilibre de sa vérité humaine est peu.



Il s'inquiète du concept de bonheur et de sa proportionnalité, se concentrant sur l'essence de l'existence humaine, et ce bien-être matériel n'est qu'un moyen d'accroître le bonheur de l'humanité dans son ensemble, et ne pas devenir une fin et un privilège pour les autres, et une manifestation de classe et d'exploitation.

Son vol s'étend à la métaphysique; Il se tenait humblement devant la mort, pour affronter ce destin inévitable, non pas en tant que nihilisme, mais en tant que voyage vers un autre monde, et nom conditionné que le voyage soit en accord avec les concepts religieux, mais certains dérivés de la philosophie indienne et orientales, en vue de interprété l'existence humaine, et transmettre la sérénité de l'âme humaine préoccupée par la confrontation de la mort.

Et sa langue était pas le langage des dictionnaires, mais un langage simple, dans lequel il a trouvé la suggestion et la



beauté, et se détourna d'afféterie, l'hypocrisie et de faux éloges, commis, sans La frivolité de l'idéologie et les forums rhétorique et l'enthousiasme des salons, la question de la renaissance et la dignité arabe, et la fidélité à la nation, et loyauté envers son patrimoine passé.

Et alors, il nous faut métaboliser ces valeurs dans nos vies, et instillez-le dans nos jeunes générations dans notre patrie arabe, au-delà des contraintes de la nervosité religieuse et sectaire, afin de fournir le monde des valeurs humaines éternelles, qui sont le noyau de la vie, et aussi le noyau de l'existence humaine.



Summary of the thesis

Almahjarie literature came out of the womb of suffering and the strangeness of the alienation and the drudgery of knowledge, heralding the age of fertility, and the phoenix of its ashes healthy and healthy; He brought the demolition of the past to the ruins of the past, revealing a new dimension of creative literature, distinguished by the truthfulness of the sense of renewal and the jealousy of the present and future of the nation, guaranteed by the authentic Arab culture and the constructive echo that found them in their minds, consciences and production.

It was a new breakthrough; Open eyes to the joys of life, and the splendor of adventure, and the temptation of freedom, after our literature long tongues sleeping in the cave of history, closing his eyes on the latest developments of life.



As we observe the human, aesthetic and poetic values embodied in this literature, we have to metabolized this huge literary heritage, as the body of food, especially as we live in an age characterized by the control of the absurd Salafi or nihilistic thought western, as if the cry of the Mahjrist in the first half of the last century is blown in the wind.

And it will be better for us to return to these human values, called by the Mahjarist literature, and that he lived for that; moreover than our Arab society that it integrates the doctrinal differences, add to that the openness of the world and the development of informatics, and the control of the transcontinental economic institutions, with its crude and toxic products, and what we need and what we need, have finally led to the flattening of thought and feeling, Without resorting to the search for content, we have returned to the dichotomy at the expense of rationality, sectarianism at the expense of



religious tolerance, imitation at the expense of diligence, slavery at the expense of freedom, and formality at the expense of content.

Perhaps the first value of the literature mahjarie, was religious tolerance, and through the writers mahjarist - and most of them Christians - the meaning of the most expressive, and characterized in their lives and thought and writings, they considered the sectarian difference in the east source of wealth, and renounced sectarian nerve on the basis of different religion; We see them reminding the Gospel and the Holy Quran, and Muhammad-peace be upon him-and Jesus, the temple and the mosque, and temple and the niche, in harmony and affection, believe in the unity of religions; because the roots of religions are due to a single path, which ends with one God, and whatever the titles change, however different the



names and phenomena, Human beings are of one nature and are related to the divine divinity.

And as their literature was deeply rooted in a humane instinct, they have denied the war and injustice, calling for forgiveness and social justice, and extended their criticism to the American society itself, where the dignity of blacks, in a country that enriches freedom and took the monument.

for the freedom, is the purpose of the human existence, whose absence leads to the absurdity of existence, even to his absence, and is the human only that which is distinguished from other assets by the tendency to freedom and awareness of it?

Freedom becomes a human value, worthy of the sacrifice, so they returned to the New World, for the pursuit of it, and the escape from the chains of tyranny and restrictions of need, which transmits the human being to a paper, which returns the



human being Like a paper, shaken by the wind left and right to the north, after he was a buds heralds preaching to feed and bloom.

Meditated on his new position, in the reality of his Arab world, he is saddened by the absence of freedom, and he sees it revolting in his literature, that the people may rise up in order to obtain his freedom.

And because it transcends his understanding and realization of the facts of the familiar and ordinary existence, it is an earthquake that destroys the reader's rationalities, and a hurricane is rooted in the meanings of the pyramid in his mind and himself.

It is sometimes exaggerated to the degree of mental disorder and life, when it carries a load of demolition on the social and historical structures, not indifferent to anthropological and sociological data, but its stamina in



defending the freedom of the absent man, and his keenness on a bright Arab tomorrow, and tolerant human friendship, keeping peace, Freedom, a lover of art, a connoisseur of beauty, taking science as a way of strength and well-being, is what intercedes with what is common to some of them a misguided rebellion that has reached the extent of deviation..

Literature which seeks the paths of freedom and industriousness for human perfection, did not neglect the tendency of meditation, this tendency which ends with the owner to throw the crusts and be content with the cores, whose persuasive philosophical spirit and skeptical researchers do not convince the words and the most glamorous and their balance of human truth.

He concerned about the concept of happiness and its proportionality, focusing on the essence of human existence, and that material well-being only a means to increase the



happiness of whole humanity, not to become an end and privilege for some without the other and a manifestation of class and exploitation.

His flight extends to metaphysics; He stood humbly to death, face to this inevitable destiny, not as a nihilism, but as a journey to another world, and not conditioned that the journey is accordance with religious concepts, but some derived from Indian philosophy and Eastern, in order to interpret human existence, and to convey the serenity of the human soul preoccupied by the confrontation of death.

And His language was not the language of dictionaries, but a simple language, in which he found inspiration and beauty, and he departed from arrogance, hypocrisy and false praise, committed, without the frivolity of ideology and the rhetoric of forums and the enthusiasm of salons, the cause of the Renaissance and the Arab dignity and devotion to the nation.



And then, we need to metabolize these values in our lives, and instill them in our younger generations in our Arab homeland, beyond the constraints of religious and sectarian nervousness, to provide the world with everlasting human values, which are the core of life, and also the core of human existence.

فهرس المحتويات

العنوان	رقم الصفحة
المقدمة.....	13 - 5
المدخل: التأصيل التاريخي والمعرفي للأدب النبوي.....	63 / 14
تمهيد تاريخي.....	33 - 16
الأدب العربي المهجري.....	35 - 33
تاريخ الهجرة العربية.....	35
المهجر الجديد.....	37 - 35
المهجر بين الأمس واليوم.....	38 - 37
مدرسة المهجر وأدباؤها.....	39 - 38
الجماعات الأدبية العربية في المهجر بداية القرن العشرين.....	43 / 39
1- الرابطة القلمية.....	40 - 39
2- العصبة الأندلسية.....	41
3- رابطة منيرفا.....	41
4- الرابطة الأدبية.....	43 - 42
قراءة في مصطلح الأدب المهجري.....	45 - 43
فسيفساء الأدب المهجري.....	46
الحياة المهجرية.....	47

48 - 47	إنجازات الحركة الأدبية المهجرية.....
50 - 48	الخصائص الفنية للأدب المهجري.....
63 - 51	أزمة الانشطار الروحي عند أدباء المهجر.....
98 / 64	الفصل الأول: كتاب خالد لأمين الريحاني.....
70 - 67	نبذة عن حياة أمين الريحاني.....
73 - 70	مؤلفاته.....
81 / 73	أدبه ومواقفه.....
77 - 75	1- الثائر والمصلح الإنساني.....
80 - 77	2- أمين الريحاني الناقد.....
81 - 80	3- عقيدة الريحاني.....
81	تاريخ نشر كتاب خالد.....
86 - 81	أحداث الرواية.....
86	عنوان الكتاب.....
23 - 86	أفكار الرواية وإطارها العام.....
95 - 92	صدى كتاب خالد في عالمنا اليوم.....
98 - 96	قراءة فنية لكتاب خالد.....
190 / 99	الفصل الثاني: النبي لجبران خليل جبران.....
105 - 103	نبذة عن حياة جبران خليل جبران.....
106 - 105	مؤلفاته.....

115 / 106	محطات في حياة جبران.....
107 - 106	1- نشأته في لبنان.....
109 - 108	2- هجرة العائلة إلى أمريكا.....
111 - 109	3- العودة إلى لبنان.....
113 - 111	4- عودته إلى أمريكا.....
115 - 114	5- رحيل جبران.....
119 - 115	جبران وماري هاسكل.....
120	جبران وماري زيادة.....
121	علاقاته الغرامية.....
143 / 121	أدبه ومواقفه.....
127 - 122	1- جبران الرومانتيكي.....
130 - 127	2- جبران الإنساني.....
133 - 130	3- جبران السياسي.....
137 - 134	4- جبران الناقد.....
143 - 137	5- عقيدة جبران.....
147 - 143	شخصية المجنون ودلالاتها في أدب جبران.....
150 - 147	مفهوم الحرية الجبرانية وهدفها.....
153 / 150	أنواع الحرية الجبرانية.....
150	1- الحرية الصغرى.....

153 - 151الحريّة الكبرى	2-
159 / 153جبران في الذاكرة العالميّة	
154 - 153الإتحاد العالمي لدراسة حياة جبران وآثاره	1-
157 - 154حديقة النصب التذكاري في العاصمة واشنطن دي سي	2-
158جائزة جبران	3-
159 - 158أكاديمية جبران خليل جبران العالميّة	4-
161 - 159جبران بين منتقديه ومناصريه	
163 - 162تاريخ نشر النبي	
165 - 163محتوى النبي	
165عنوان الكتاب	
184 - 165أفكار النبي	
186 - 184النبي بين معارضيّه ومؤيديه	
187 - 186فنانون تعنّوا بكلماته	
190 - 188قراءة فنية للنبي	
241 / 192الفصل الثالث: مرداد لميخائيل نعيمة	
193 - 192نبذة عن حياة ميخائيل نعيمة	
197 - 194مؤلّفاته	
208 / 197أدبه ومواقفه	
200 - 1971- الخلفية الثقافيّة لميخائيل نعيمة	

203 - 200	2- البعد الإنساني في فكر نعيمة.....
203	3- المحور العربي في أدب نعيمة.....
205 - 203	4- نعيمة الناقد.....
208 - 205	5- من الأدب إلى التصوف.....
209	نعيمة بين منتقديه ومناصريه.....
210	تاريخ نشر مرداد.....
211 - 210	عنوان الكتاب.....
35 - 211	محتوى مرداد.....
239 - 214	أفكار مرداد.....
241 - 240	قراءة فنية لمرداد.....
264 / 242	الفصل الرابع: دراسة موازنة.....
250 - 244	جدلية الشرق والغرب.....
252 - 250	الروح التحتية للحركة المهجرية.....
254 - 252	النزعة الروحية.....
256 - 254	التجربة التأملية.....
257 - 256	الرسالة الإنسانية.....
259 - 257	البعد النبوي.....
260 - 259	ثقافة ما بعد الإلتزام.....
264 - 260	المستوى الفني العام لأعمالهم.....

271 - 265	الخاتمة
288 - 272	فهرس المصادر والمراجع
310 / 289	فهرس الملخصات
294 - 290	1- ملخص للبحث باللغة العربية
302 - 295	2- Résumé de la thèse
310 - 303	3- Summary of the thesis
317 - 311.....	فهرس المحتويات